



دولة ماليزيا
وزارة التعليم العالي kpt
جامعة المدينة العالمية
كلية العلوم الإسلامية
قسم التفسير وعلوم القرآن

الترakinah القرآنية

وأثر تقلباتها ودلائلها اللغوية في التفسير

أطروحة تقدمت بها الطالبة :

زهراء البتوح محمود طباخ

لليل درجة الدكتوراه

إشراف د . هاني محمد البشبيشي

العام الجامعي فبراير 2011م

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيْمِ

صفحة الإقرار

صفحة الإقرار

أقرت جامعة المدينة العالمية بمالزيا بحث الطالب (زهراء البتوول محمود الطباخ) من الآية أسماؤهم:

المشرف

د/هان محمد البشبيشي

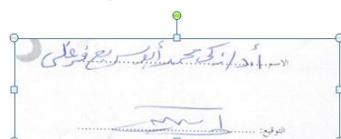
د/هان محمد البشبيشي

المتحن الداخلي

د/ الصاف صلاح الصاف

د/ الصاف صلاح الصاف

المتحن الخارجي



عبد الرحمن بن سعيد

عبد الرحمن بن سعيد

أحمد محمد عبد العاطي

أحمد محمد عبد العاطي
Ahmed Ali Mohamed

APPROVAL PAGE

The dissertation of (Zahra elbatol mahmoud) has been approved
:by the following

Supervisor

د/هالى محر أحمد المنشنى

Internal Examiner

الدكتور هالى محر أحمد المنشنى

External Examiner



د/هالى محر أحمد المنشنى

د/هالى محر أحمد المنشنى

Chairman

د/أحمد علي محمود
Ahmed Ali, Mohamed

إعلان

أقر بأن هذا البحث هو من عملي الخاص، قمتُ بجمعه ودراسته، وقد عزوت النقل والاقتباس إلى مصادره.

اسم الطالب: زهراء البتوح محمود الطباخ

التوقيع:

الطالبة : زهراء البتوح بنت محمود طباخ

الرقم المترافق: Ai 204

التوقيع:

التاريخ:

DECLARATION

I hereby declare that this dissertation is the result of my own investigation, except where otherwise stated

Student's name: Zahra elbatol mahmoud

:Signature

الطالبة: زهراء البشول بنت محمود طباف

Al_2O_4 : المُرْجَفِيَّ

الله
بِسْمِ

Date _____

جامعة المدينة العالمية

إقرار بحقوق الطبع وإثبات استخدام الأبحاث العلمية غير المنشورة

حقوق الطبع © 2009 (زهراء البتوول محمود الطباخ)

عنوان البحث: "التراكيب القرآنية

وأثر تقلباتها ودلائلها اللغوية في التفسير

لا يجوز إعادة إنتاج أو استخدام هذا البحث غير المنشور في أي شكل أو صورة من دون إذن مكتوب من الباحث إلا في الحالات الآتية:

1. يمكن الاقتباس من هذا البحث بشرط العزو إليه.

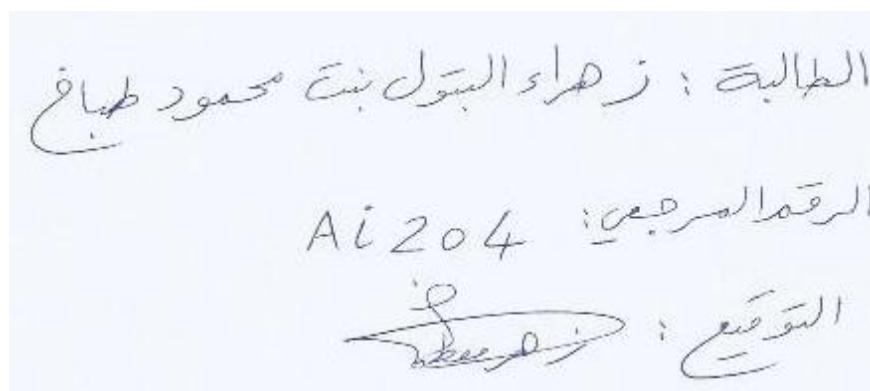
2. يحق لجامعة المدينة العالمية بماليزيا الإفادة من هذا البحث بشتى الوسائل وذلك لأغراض تعليمية، وليس لأغراض تجارية أو تسويقية.

3. يحق لمكتبة جامعة المدينة العالمية بماليزيا استخراج نسخ من هذا البحث غير المنشور إذا طلبتها مكتبات الجامعات، ومراكز البحوث الأخرى.

أكّد هذا الإقرار: زهراء البتوول محمود الطباخ

التاريخ

التوقيع



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

المقدمة

الحمد لله رب العالمين ، الرحمن الرحيم ، أنزل القرآن العظيم هاديا شافيا وضاء ، شفت براهينه أعينا عميا فأبصرت ، وقرعت حججه آذانا صما فسمعت ووعت ، وأضاءت أنواره قلوبًا غلبا ففتحت واهتدت ، والصلوة والسلام على من أرسله الله بأفصح لسان ، وأنصع بيان ، فآتاه الحكمة وفصل الخطاب .

والرضا عن الصحاة الأخيار والتابعين لهم بإحسان الذين ساروا على الدرب على بصيرة فكانوا خير دعاة وأفضل هداة .

وبعد :

فإن القرآن الكريم كتاب هداية وإعجاز ، والإعجاز فيه ليس مجرد التعجيز ، وإنما لتحقيق الغاية النبيلة التي نزل من أجلها هذا القرآن ، ألا وهي المداية للي هي أقوم ، بكل ما تحمله الكلمة (أقوم) من التنکير الذي يفيد العموم في هذا التفضيل المطلق كما أشار إلى ذلك قوله سبحانه :

﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلّٰتِي هُوَ أَقْوَمُ﴾⁽¹⁾

فالقرآن الكريم حجة دامغة وهداية ماضية ومعجزة حالدة ، خاطب الله به العقل والفكر والقلب والوجدان ، وتحدى به البشرية جموعه . وعلى تاليه أن يتدارك معانيه ويتأملها ، كلما رتل سوره وردد آياته قال تعالى : ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ أُخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾⁽²⁾

(1) من سورة الإسراء 17: (الآية / 9) .

(2) من سورة النساء 4 : (الآية / 82) .

(فالقرآن أفضـل كـتب الله الجـليلـة أـنـزلـه الله عـلـى خـيـر خـلقـه عـامـة ، وـبـعـثـه بـه إـلـى خـيـر أـمـة ، أـعـجـزـت الفـصـحـاء مـعـارـضـتـه ، وـأـعـيـتـ الـأـلـبـاء مـنـاقـضـتـه ، وـأـخـرـسـتـ الـبـلـغـاء مـشـاـكـلـتـه ، فـلا يـأـتـونـ بـمـثـلـه وـلـو كـانـ بـعـضـهـ لـبـعـضـ ظـهـيرـا ، جـعـلـ أـمـثالـهـ عـبـراـ لـالـمـتـدـبـرـينـ ، وـأـوـامـرـهـ هـدـىـ لـالـمـسـتـبـصـرـينـ ، وـضـرـبـ فـيـهـ الـأـمـثـالـ ، وـفـرـقـ فـيـهـ بـيـنـ الـحـلـالـ وـالـحـرـامـ ، وـكـرـرـ الـقـصـصـ وـالـمـوـاعـظـ بـأـلـفـاظـ لـاـ تـمـلـ وـلـاـ تـخـلـقـ عـلـىـ كـثـرـةـ السـرـدـ ، وـحـشـنـاـ عـلـىـ فـهـمـ مـعـانـيـهـ وـبـيـانـ أـغـرـاضـهـ وـمـبـانـيـهـ ، فـلـيـسـ المـرـادـ حـفـظـهـ وـسـرـدـهـ مـنـ غـيـرـ تـأـمـلـ لـمـعـناـهـ وـلـاـ تـفـهـمـ لـمـقـاصـدـهـ ، فـقـالـ جـلـ مـنـ قـائـلـ : ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ كُلُوبٍ أَفَقَالُهَا ﴾⁽¹⁾)

إنـ الـلـفـظـةـ بـعـرـفـهـاـ فيـ كـتـابـ اللهـ عـزـ وـجـلـ تـمـثـلـ أـرـقـىـ أـلـوـانـ الـجـمـالـ ، وـإـحـدـىـ صـورـ الإـعـجازـ ، فـتـبـعـتـ عـلـىـ التـأـمـلـ الـذـيـ يـقـودـ إـلـىـ الـهـدـاـيـةـ .

(إنـ الـأـدـاءـ الـقـرـآنـيـ يـمـتـازـ بـالـتـبـيـيرـ عـنـ قـضـاـيـاـ وـمـدـلـوـلـاتـ ضـخـمـةـ ، فـيـ حـيـنـ يـسـتـحـيلـ عـلـىـ الـبـشـرـ أـنـ يـعـبـرـوـاـ فـيـهـ عـنـ مـثـلـ هـذـهـ الـأـغـرـاضـ وـذـلـكـ بـأـوـسـعـ مـدـلـولـ ، وـأـدـقـ تـبـيـيرـ وـأـجـمـلـهـ وـأـحـيـاهـ أـيـضـاـ ، مـعـ الـتـنـاسـقـ الـعـجـيبـ بـيـنـ الـمـدـلـولـ وـالـعـبـارـةـ وـالـظـلـالـ وـالـجـوـ ، وـمـعـ جـمـالـ التـبـيـيرـ دـقـةـ الـدـلـالـةـ فـيـ آـنـ وـاحـدـ ، بـحـيـثـ لـاـ يـعـنـيـ لـفـظـ عـنـ مـوـضـعـهـ ، وـبـحـيـثـ لـاـ يـجـورـ الـجـمـالـ عـلـىـ الدـقـةـ وـلـاـ الدـقـةـ عـلـىـ الـجـمـالـ ، وـبـيـلـغـ مـنـ ذـلـكـ كـلـهـ مـسـتـوـيـ لـاـ يـدـرـكـ إـعـجاـزـهـ أـحـدـ ، كـمـاـ يـدـرـكـ ذـلـكـ مـنـ يـزاـوـلـوـنـ فـنـ التـبـيـيرـ فـعـلـاـ ، لـأـنـ هـؤـلـاءـ هـمـ الـذـينـ يـدـرـكـونـ حدـودـ الطـاقـةـ الـبـشـرـيةـ فـيـ هـذـاـ الـمـحـالـ ثـمـ يـتـبـيـنـوـنـ بـوـضـوـحـ أـنـ هـذـاـ مـسـتـوـيـ فـوـقـ الطـاقـةـ الـبـشـرـيةـ قـطـعاـ⁽³⁾)

فالـكـلـامـ الـبـلـيـغـ وـالـبـيـانـ الـكـامـلـ هـوـ الـذـيـ يـكـافـيـ فـيـ الـإـنـسـانـ قـوـيـ التـفـكـيرـ وـالـوـجـدانـ ، وـيـؤـتـيـ الـنـفـسـ الـإـنـسـانـيـ حـظـهـاـ مـنـ الـفـائـدـةـ الـعـقـلـيـةـ وـالـمـتـعـةـ الـوـجـданـيـةـ مـعـاـ .

وـهـذـاـ يـتـحـقـقـ بـصـدـقـ فـيـ الـقـرـآنـ الـكـرـيمـ كـلـامـ رـبـ الـعـالـمـينـ ، حـيـثـ إـنـ اللهـ هـوـ الـقـادـرـ عـلـىـ أـنـ يـخـاطـبـ الـعـقـلـ وـالـقـلـبـ مـعـاـ ، وـيـمـزـجـ الـحـقـ وـالـجـمـالـ مـعـاـ يـلـتـقـيـانـ وـلـاـ يـبـغـيـانـ . لـاـ يـنـسـىـ حـقـ الـعـقـلـ مـنـ حـِكـمـهـ وـعـبـرـهـ ، وـلـاـ يـنـسـىـ حـظـ الـقـلـبـ مـنـ تـشـويـقـهـ وـتـنـفـيـرـهـ .

(1) من سورة محمد 47 : الآية / 24 .

(2) الدر المصنون في علوم الكتاب المكتونون لابن السمين الحلبي تحقيق الدكتور أحمد الخراط ، دار القلم ، ط ، 1415هـ : (ج 3/1)

(3) في ظلال القرآن لسيد قطب ، دار الشروق ، ط 11 ، 1405هـ - 1985م : (ج 3 / 1787) .

ومن أكبر الأدلة على عظمة القرآن وإعجازه أننا لا نستطيع أن نبدل لفظة من القرآن بلفظة أخرى ، فكل لفظة في سياقها تؤدي مهمتها ومعانيها الرائعة ، ولا يقوم مقامها أية لفظة أخرى . فكتاب الله لو نزعت منه لفظة ثم أدير لسان العرب على لفظة أحسن منها لم توجد بل

هو كما وصفه الله ﷺ **الرَّكِبُ الْحِكْمَةُ إِيَّاهُمْ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَيْرٍ**  ^(١)

وخطاب العقل والقلب معاً يتحقق في القرآن الكريم يقول الدكتور محمد عبد الله دراز : (فإن سرّك أن ترى كيف تجتمع هاتان الغايتان على تمامهما بغير فترة ولا انقطاع ، فانظر حيث شئت من القرآن الكريم ، تجد بياناً قد قدر على حاجة النفس أحسن تقدير ، يؤدي لك من كل معنى صورة نقية وافية ، نقية لا يشوها شيء مما هو غريب عنها ، وافية لا يشد عنها شيء من عناصرها الأصلية ولو احتجها الكمالية ، كل ذلك في أوجز لفظ وأنقاہ)

هذا ولو رجعت إليه كرة أخرى لرأيك منه بإزاء معنى جديد ، غير الذي سبق إلى فهمك أول مرة ، وكذلك حتى ترى للجملة الواحدة أو محتمل للصحة ، كأنما هي فص من الماس يعطيك كل ضلع منه شعاعاً ، فإذا نظرت إلى أضلاعه جملة بمرتك بألوان الطيف كلها ، فلا تدري ماذا تأخذ عينك وماذا تدع ؟ ولعلك لو وكلت النظر فيها إلى غيرك رأى منها أكثر مما رأيت . وهكذا تجد كتاباً مفتوحاً مع الزمان يأخذ كل منه ما يسر له ، بل ترى محيطاً مترامي الأطراف لا تحد عقول الأفراد ولا الأجيال ^(٢)

(فالبلاغة التفتت إلى الصور الجزئية وتركت ما يسمى بالدلالة ، الدلالة شيء مختلف عن البلاغة . البلاغة تبحث عن حلاوة التشبيه ، وروعة الاستعارة ، وقوة الكنایة ، وجمال الفصل أو الوصل ، وجمال الإنشاء والخبر ، إلى آخر هذه القضايا التي تشيرها علوم البلاغة . لكن البحث في دلالة اللفظ وتطور هذه الدلالة ، شيء ينبغي أن تخصص له بحوث كثيرة ، وخصوصاً فيما يتعلق

(١) من سورة هود ١١ : (الآية ١) .

(٢) النبأ العظيم للدكتور محمد عبد الله دراز ، دار القلم ، ط ٦ ، ١٤٠٥ هـ ، ١٩٨٤ م : (١١١) .

باستخدام الألفاظ بين القرآن ولغة الجاهلية . فالقرآن يمكن أن يضع أيدينا على كثير من الحقائق ، ويوقفنا عليها)^١

وإذا تأملنا القرآن وجدنا الإبداع ظاهرا في احتواه أوضح الألفاظ الرائعة المعبرة التي يتلقاها السمع أحسن قبول ، فأي مفردة تناولناها بالفχص وجدنا حروفها متلاقة متآلفة ، وأسرار معانيها منسجمة غاية الانسجام مع سياق الآية أو الآيات التي وردت فيها تلك اللفظة . فالله سبحانه وتعالى محيط بكل شيء علما ، وقد أحاط جل شأنه باللسان العربي علما فمخضه وألقى زبدته في كتابه الكريم .

قال الراغب الأصفهاني^(٢) : (واتبع هذا الكتاب إن شاء الله تعالى ونسأ في الأجل بكتاب ينبي عن تحقيق الألفاظ المترادفة على المعنى الواحد ، وما بينها من الفروق الغامضة ، فبذلك يعرف اختصاص كل خبر بلفظ من الألفاظ المترادفة دون غيره من أخواته)^(٣) (وإن من أسس البلاغة وعمادها وضع اللفظ في المعنى الذي هو به أخص وأولي ، فإنه إذا أبدل غيره مكانه نجم عنه تبدل في المعنى يفسد الكلام أو يذهب بالرونق فتتدنى البلاغة . فإن في الكلام العربي ألفاظا يحسبها أكثر الناس متساوية في بيان مراد المتكلم كالحمد والشكر وغيرها كثير ، غير أن لكل لفظة خاصة تميزها عن اللفظة التي تقاربها في بعض المعنى وإن كانت تشتراك معها في بعض الدلالة)^(٤)

ثم تابعت العصور ، وبقي هذا الإعجاز القرآني كالطود الشامخ معجزا ومتحديا ، وسيظل كذلك حتى تقوم الساعة ، لأن حكمة الله البالغة اقتضت أن تكون معجزة الإسلام شيئا يصلح للبقاء ، فكان هذا القرآن المعجز كلاما يتلى في أذن الدهر ، وحديثا يقرأ على سمع الرمان ، وما

(١) من محاضرة (القرآن واللغة العربية) د . عبد الصبور شاهين بتاريخ : 1398/11/4 ، من محاضرات نادي المنورة الأدبي .

(٢) الراغب الأصفهاني : الحسين بن محمد بن المفضل ، إمام في اللغة من كتبه : المفردات في غريب القرآن ، وتفسير القرآن الكريم ، ودرة التأويل في متشابه التنزيل ، وكتاب الشامل في اللغة ، وتحقيق البيان في تأويل القرآن . توفي 502هـ ينظر : بغية الوعاة للسيوطى 2 / 297 ، وسير أعلام النبلاء للذهبي : 18 / 120 .

(٣) مقدمة مفردات ألفاظ القرآن ، للشيخ الراغب الأصفهاني ، تحقيق الدكتور / صفوان عدنان داودي ، دار القلم ، الدار الشامية ، ط ، 1412هـ ، 1992م ، ص 55 .

(٤) المعجزة الخالدة للدكتور حسن عتر ، دار البشائر الإسلامية ، ط 3 ، 1415هـ ، 1994م ، ص 203 .

كان لأسرار إعجازه أن تبلغ ما بلغت لو لا ما فيه من فنون الفصاحة وروائع البيان ، مما يتعدى على أفضح الفصحاء وأبلغ البلغاء أن يلحق بها أو أن يقدر على محاكاتها لأنها كلام الله وكفى .

تعريف الإعجاز وأنواعه وأغراضه :

قال الله تعالى : ﴿ قُلْ لَّئِنْ أَجْمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ، وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِيَعْضِ ظَهِيرًا ﴾⁽¹⁾

وقال الرسول صلى الله عليه وسلم : ((ما من الأنبياء نبي إلا أعطى من الآيات ما مثله آمن عليه البشر ، وإنما كان الذي أوتيته وحيا أو حاه الله إلي ، فأرجو أن أكون أكثرهم تابعا))⁽²⁾ فالقرآن الكريم هو أعظم آية وأجل معجزة .

(الإعجاز) : إثبات العجز ، والعجز في التعارف : اسم للقصور عن فعل الشيء ، وهو ضد القدرة ، وإذا ثبت الإعجاز ظهرت قدرة المعجز⁽³⁾

(المعجزة) : أمر خارق للعادة ، مقرن بالتحدي ، سالم عن المعارضة ، وهي إما حسية وإما عقلية ، وأكثر معجزات بني إسرائيل كانت حسية⁽⁴⁾

وجاء في تعريف المعجزة : (هي أمر يعجز البشر متفرقين ومجتمعين عن الإتيان بمثله أو هي أمر خارق للعادة خارج عن حدود الأسباب المعروفة ، يخلقه الله على يد مدعى النبوة عند دعواه إليها شاهدا على صدقه)⁽¹⁾

(1) من سورة الإسراء 17 : (الآية / 88) .

(2) رواه البخاري : (فضائل القرآن باب 1 ، ج 9 ص 3 ، رقم الحديث 4981 ، اعتصام باب 1 ، ج 13 ص 247 ، رقم الحديث 7274) ، ومسلم : (إيمان ، رقم الحديث 239 ، ج 2 / ص 186) .

(3) مباحث في علوم القرآن للدكتور مناع القطان ، مؤسسة الرسالة ، ط 12 ، 1403 هـ 1983 م ، ص 258 . 259

(4) الإتقان في علوم القرآن للسيوطى ، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف ، 1426 هـ ، ج 1 / 116 .

اقتضت حكمة الله سبحانه أن يؤيد أنبياءه ورسله بمعجزات حارقة للعادات تدلل على صدق دعواهم ، وأن ما يدعون إليه ليس من عند أنفسهم ، وإنما هم مبلغون عن ربهم .
(لأنه لا يصح بعثة النبي من غير أن يؤتى دلالة ، ويؤيد بأية ، لأن النبي لا يتميز من الكاذب بصورته ولا بقول نفسه ، ولا بشيء آخر سوى البرهان الذي يظهر عليه فيستدل به على صدقه)⁽²⁾

فكانَتْ مَعْجِزَاتُ الرَّسُولِ عَلَيْهِمْ أَفْضَلُ الصَّلَاةِ وَأَزْكَى التَّسْلِيمِ تَنَاسِبُ مَا شَاعَ وَانْتَشَرَ فِي عَصْرِهِ لِتَكُونَ أَبْلَغَ فِي التَّحْدِي وَأَرْجَى لِلِّإِقْنَاعِ .

فمثلاً حين كان السحر منتشرًا في عهد موسى عليه السلام كانت المعجزة التي أيد الله بها موسى في وجه فرعون وسحرته هي قلب العصا حية تسعى ، وهي في نظرهم من نوع سحرهم الذي يعرفون ، فإذا غلبتهم وقهقرهم على سحرهم تبين لهم بطلان ما هم عليه من السحر ، وظهر لهم بالبرهان القاطع والمعجزة الباهرة الحق الذي كانوا يجهلونه فيؤمنوا به .

ولما كان رسول الله الكرام يبعثون إلى قومهم خاصة فقد كانت معجزاتهم خاصة بأذمامهم أيضاً لا تتعداها ، يشاهدها أهل زمامهم وتنقضي بانقضائهم ، إلا ما كان من معجزة سيد الخلق وحبيب الحق رسولنا محمد صلى الله عليه وسلم حيث كانت معجزة خالدة لأن دعوته صلى الله عليه وسلم خاتمة الدعوات وهي باقية ما بقيت الأرض والسموات ، ألا وهي معجزة القرآن الكريم .

لذلك اقتضت حكمته سبحانه أن تكون معجزة هذا الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم باقية خالدة ، تعجز وتحدى في كل زمان ومكان حتى يرث الله الأرض ومن عليها ، (لأن نبوة النبي صلى الله عليه وسلم معجزتها الباقية القرآن)⁽³⁾

(1) منهاج العرفان في علوم القرآن للشيخ محمد عبد العظيم الزرقاني ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت لبنان ، ط 3 ص/66.

(2) إعجاز القرآن للقاضي الباقياني ، دار المعارف ، القاهرة ، 1954 مـ 1374 هـ . ج 1/ 251 .

(3) البرهان في علوم القرآن للإمام بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي ، خرج حديثه : مصطفى عبد القادر عطا ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ط 1988 مـ 1408 هـ . ج 2/ 101 .

(وإن القرآن بما اشتمل عليه من هذه المعجزات الكثيرة قد كتب له الخلود ، فلم يذهب بذهاب الأيام ، ولم يميت بموت الرسول عليه الصلاة والسلام ، بل هو قائم في الدنيا يجاج كل مكذب ، ويتحدى كل منكر)⁽¹⁾

نزل القرآن على حبيبينا محمد صلى الله عليه وسلم وقريش في قمة الفصاحة والبلاغة ليكون التحدي بلغة القرآن وهم على هذه الدرجة أوقع وأظهر ، وهذا هو الإعجاز البياني .

ومن عجيب أمر القرآن أنه تنازل للعرب عن تحديه بجميع القرآن إلى سورة واحدة ، ومع ذلك عجزوا وانهزموا حيث قال لهم في سورة الطور أول ما تحداهم :

﴿ أَمْ يَقُولُونَ نَقَوْلَهُ، بَلْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ ٢٣ ﴿ فَلَيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِ، إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ ﴾⁽²⁾

فلما عجزوا قال لهم : ﴿ أَمْ يَقُولُونَ أَفْرَنَهُ قُلْ فَأَتُوا بِعَشْرِ سُورٍ مِّثْلِهِ، مُفْتَرِيَتٍ وَآدُعُوا مَنِ أَسْتَطَعْتُمْ مِّنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ ١٣ ﴿ فَإِنَّ اللَّهَ يَسْتَحِبُّوْلَكُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّمَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ أَنَّمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَأَنَّ لَلَّهَ إِلَّا هُوَ فَهَلْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾⁽³⁾ ١٤

فلما عجزوا نزل معهم إلى أن يأتوا بسورة واحدة ومع ذلك عجزوا ولم يستطعوا ، قال الله لهم : ﴿ وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَرَرْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأَتُوا بِسُورَةٍ مِّنْ مِثْلِهِ، وَآدُعُوا شَهَدَاءَكُمْ مِّنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ ٢٣ ﴿ فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ أَلَّا تَرَوُنَّ الْأَنَاسُ وَالْجِنَّا رَأَيْتَ أَعِدَّتْ لِلْكُفَّارِينَ ﴾⁽⁴⁾ ٢٤

فكأن عجزهم بعد ذلك أشنع وأبغض وسجل الله عليهم المزية أبد الدهر ، (ولا خلاف بين العقلاء أن كتاب الله تعالى معجز لم يقدر أحد على معارضته بعد)

تحديهم بذلك قال تعالى : ﴿ وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ أَسْتَجَارَكَ فَاجْرِهُ ﴾

(1) منهال العرفان للشيخ محمد عبد العظيم الزرقاني : ج 2 / 232 .

(2) من سورة الطور : (الآياتان / 33 — 34) .

(3) من سورة هود : (الآياتان / 13 — 14) .

(4) من سورة البقرة 2 : (الآياتان / 23 — 24) .

حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَمَ اللَّهِ ⁽¹⁾ فلو لا أن سماعه حجة لم يقف أمره على سماعه ، ولا يكون حجة إلا ⁽²⁾ وهو معجزة

لقد كان لهذا القرآن الكريم تأثير السحر في نفوس العرب ، وأسلم كثير منهم بسبب فصاحته وإعجازه البلياني ، والذين لم يؤمنوا كان عدم إيمانهم بسبب العناد

وال McKinsey والحسد قال تعالى : **وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا هَذَا الْقُرْءَانُ وَالْغَوْفِيْهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِيْبُونَ** ⁽³⁾

إنها طريقة في النصر والغلب طريفة وسابقة : والغوا فيه !! أي لا تمكنا الناس من سماع القرآن وذلك بما تحدثونه عند قراءة النبي له من صخب وتشويش وضوضاء .

(فالقرآن المعجز هو البرهان على صحة النبوة ، أما صحة النبوة فليست برهانا على إعجاز القرآن ، أي أننا إذا أثبتنا أن القرآن معجز نكون قد أثبتنا أو أقمنا الدليل على صحة النبوة ولكن العكس غير صحيح .

إن الأدلة على أن القرآن وحي تثبت أنه كتاب إلهي أو سماوي نزل على محمد صلى الله عليه وسلم وتضعه مع الكتب الإلهية التي نزلت على الأنبياء السابقين كالتوراة والإنجيل في كونها جميعاً تشتراك في أنها وحي ، في حين ينفرد القرآن الكريم بأنه وحي معجز فالإعجاز إذن وصف زائد على أن القرآن الكريم وحي وأنه من كلام الله تعالى ⁽⁴⁾

وقد ذكر العلماء رحمهم الله للإعجاز أنواعاً منها : الإعجاز البلياني ، والإعجاز الغيبي ، والإعجاز العلمي ، والإعجاز التشريعي .

فالإعجاز الغيبي أن يخبر القرآن بأمور مستقبلية لا يعلمها إلا الله فتقع كما أخبر الله جل وعلا ، مثل الإخبار عن أبي هب وزوجته أنهما في النار ، وفعلا ماتا على الكفر ولم يسلما مع أن سورة المسد نزلت قبل أن يموتا بعشرين سنة ، والإعجاز العلمي هو أن يخبرنا الله بحقيقة علمية لم تكتشف إلا في العصر الحديث فتكون سبباً في إسلام الكثير حيث تكون المعجزة العلمية

(1) من سورة التوبة 9 : (الآية / 6) .

(2) الإتقان في علوم القرآن للسيوطى : ج 5 / 1874 .

(3) من سورة فصلت 41 : (الآية / 26) .

(4) علوم القرآن وإعجازه للدكتور عدنان زرزور ، دار الأعلام ، ط ، 1426 هـ ، 2005 م ، ص 473 . 474

موجودة في القرآن فيكون هذا دليلاً على أن القرآن الكريم من عند الله وليس من عند محمد صلى الله عليه وسلم ، أما الإعجاز التشريعي فهو أن القرآن دستور تشريعي كامل يقيم الحياة الإنسانية على أفضل صورة وأرقى مثال ويصلح لكل الأماكن والأزمان ، وسيظل إعجاز القرآن التشريعي قريناً لإعجازه الغيبي واللغوي والعلمي إلى الأبد .

وأوضح جانب وأبرزه هو الإعجاز البصري لأن القرآن الكريم أنزل بلسان عربي مبين على أمة عربية .

(فإذا برع اللفظ في المعنى البارع كان لطفاً وأملاكاً للب من ورود اللفظ في المعنى المعروف المتداول ، وإذا توافقت الألفاظ مع المعاني ومع المعاني مع الألفاظ من غير زيادة في أحدهما على الآخر كانت البراعة أظهر وأفصح أتم ، فالمعاني الجديدة التي تضمنها القرآن الكريم قد وردت بتلك الألفاظ البدعة ، وقد وافق بعضها بعضاً في اللطف والبراعة)⁽¹⁾

فما لفظة في القرآن إلا لها دلالة خاصة وموقع سديد ، ولو نزعنا كلمة منه ثم نظرنا في لسان العرب كله إلى أحسن منها في موقعها واتلافها مع ما حولها لا ارتد إليها طرفنا خاسئاً وهو حسير ، من عظمة البلاغة والفصاحة القرآنية .

وكلما ازداد الماء بصيرة بأسرار العربية وامتلاكاً لناصية البيان ازداد للقرآن إذاعاناً وبإعجازه إيماناً .

أهمية البحث وسبل اختياره :

إن العلوم القرآنية أشرف العلوم وأجلها ، والمشتغل فيها ينال رفعة وكرامة لا يجد لها أي مشتغل بأي علم آخر ، لما لهذا الكتاب العظيم من أثر طيب في توجيه الناس إلى كل خير. والتدرج بالمؤمنين إلى أرقى مراتب الكمال ، وذلك لمعرفتهم بحقيقة ما يريدهم ربهم منهم، وفهمهم لأسرار الكتاب الذي نزل لهم حتى يحسوا نداءه غضباً طرياً ، ويستشعروا خطابه حياً ندياً فيكون لهم من الأجر أعظم .

فالقرآن الكريم حجة دامغة ، وهداية ماضية ومعجزة خالدة ، وعلى تاليه أن يتذمر هذه المعاني كلها ويتأملها كلما رتل سوره ، وردد آياته .

(1) المعجزة الخالدة لحسن عتر / 204

إن اللفظة بمفرداتها في كتاب الله عز وجل تمثل أرقى ألوان الجمال ، وإحدى صور الإعجاز، فتبعد على التأمل الذي يقود إلى الهدایة .

من أجل هذا كله فقد كان لهذه الاعتبارات جميعها أثراً كبيراً في جعلني أتوجه إلى هذا الموضوع كي أجمع ما يتيسر لي من دراسة تلك الدقائق اللغوية في القرآن الكريم ، حتى تتضح بعض صور الإعجاز القرآني التي تشير الهدایة التي من أجلها كان هذا القرآن العظيم .
ومن هنا فإني لن أقف في هذه الدراسة عند حدود الإعجاز اللغوي بعيداً عن أثره في الهدایة ، وإنما سوف أقوم بتوظيف تلك الدراسة اللغوية وأستثمرها لخدمة تلك الغاية النبيلة .

منهج البحث :

سأتابع بإذن الله المنهج التطبيقي والتحليلي الذي يعتمد على البحث والتحليل .
وقد راعيت الأمور التالية :

- 1 _____ عزوّت الآيات القرآنية إلى السور مع ذكر رقم الآية .
- 2 _____ كتبت الآيات القرآنية بالخط العثماني من مصحف المدينة النبوية .
- 3 _____ عزوّت الأحاديث الواردة في الصحيحين إلّيهمَا بذكر اسم الكتاب واسم الباب ورقم الحديث وموضعه بالجزء والصفحة في الشرح . وإذا كان الحديث في غير الصحيحين ذكرت من صحّه أو حسنّه من العلماء .
- 4 _____ ضبطت أحاديث الدراسة بالشكل .
- 5 _____ ذكرت معاني مفردات الألفاظ الغريبة بعد الرجوع إلى المعاجم والقواميس المشهورة مثل : لسان العرب والقاموس المحيط والنهاية في غريب الحديث والأثر ونحو ذلك .
- 6 _____ ترجمت لراوي الحديث من الصحابة فقط دون غيره من رواة الحديث .
- 7 _____ ترجمت للأعلام الواردين في الدراسة ترجمة مختصرة ولو كانوا من المشهورين .
- 8 _____ حرصت على الرجوع إلى المصادر الأصلية مباشرة .
- 9 _____ رتبت كلمات القرآن داخل كل مبحث أثناء دراستي لها حسب ترتيب السور في المصحف الشريف .

موضوع الدراسة :

جعلت هذه الدراسة في مقدمة وفصلين وستة مباحث وخاتمة .

المقدمة وتشمل :

تعريف الإعجاز وأغراضه وأنواعه ، وتحدثت فيها عن أهمية الموضوع وأسباب اختياره
ومنهج البحث فيه وخطته .

الفصل الأول : الأسماء :

وفيه ثلاثة مباحث :

المبحث الأول : ما يحتمل معندين فقط .

المبحث الثاني : ما يحتمل ثلاثة معانٍ .

المبحث الثالث : ما يحتمل أكثر من ثلاثة معانٍ .

الفصل الثاني : الأفعال :

وفيه ثلاثة مباحث :

المبحث الأول : ما يحتمل معندين فقط .

المبحث الثاني : ما يحتمل ثلاثة معانٍ .

المبحث الثالث : ما يحتمل أكثر من ثلاثة معانٍ .

الخاتمة

أهم المصادر والمراجع

الفهارس

هذا جهد المقلّ ، فما كان من صواب فمن الله وحده وله الفضل والشكر ، وما كان من خطأ فمن نفسي ومن الشيطان ، ولا أنسى أنأشكر المشرف على الرسالة الأستاذ الدكتور محمد هاني البشبيشي على ملاحظاته ومتابعاته القيمة ، جزاه الله عني خير الجزاء ، وجعل ذلك في موازين حسناته . والحمد لله رب العالمين ، وصلى الله وسلم على سيدنا وحبيبنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

الفصل الأول : الأسماء .

و فيه مباحث :

المبحث الأول : ما يحتمل معنيين .

المبحث الثاني : ما يحتمل ثلاثة معانٍ .

المبحث الثالث : ما يحتمل أكثر من معنى .

الفصل الأول : (الأسماء)

المبحث الأول : ما يحتمل معانيين .

الكلمة الأولى : (الحمد) من قوله تعالى : ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾⁽¹⁾

فكلمة الحمد لها معانٍ : 1 ————— الثناء (المدح) . 2 ————— الشكر .

وأراد الله بكلمة الحمد هذين المعانيين : معنى الحمد (الثناء على الجميل من نعمة أو غيرها

⁽²⁾ مع (الحبة والإجلال)⁽³⁾

(1) من سورة الفاتحة 1 : (الآية 1) .

(2) البحر الخيط لأبي حيان محمد بن يوسف بن علي بن حيان ، دار الكتب العلمية ، لبنان 1422هـ 2001م ، تحقيق عادل أحمد عبد الموجود : ج 1 / 130 .

(3) الكشاف لأبي القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي ، دار المعرفة ، بيروت ، لبنان ، ط : ج 1 / 37 .

فالحمد أن تذكر محسن الغير سواء كان ذلك الثناء على صفة من صفاته الذاتية كالعلم والصبر والرحمة والشجاعة أم على عطائه وتفضله على الآخرين ، ولا يكون الحمد إلا للحي العاقل .

وهذا من أشهر ما فرق بينه وبين المدح ، فإننا قد ن مدح المؤلّف ولكن لا نحمده . جاء في تفسير الرازى⁽¹⁾ : (إن المدح قد يحصل للحي ولغير الحي ، ألا ترى أن من رأى المؤلّفة في غاية الحسن أو ياقوته في غاية الحسن فإنه قد يمدحها ويستحيل أن يحمدها ، فثبتت أن المدح أعم من الحمد ، وإن المدح قد يكون قبل الإحسان وقد يكون بعده ، أما الحمد فإنه لا يكون إلا بعد الإحسان)⁽²⁾

فالمدح أعم من الحمد ، إلا أن في الحمد تعظيم وإجلال ومحبة ليس موجوداً في المدح . ولذلك قال الله : (الحمد لله) ولم يقل : (المدح لله) ، وكذلك لم يقل الله : (الشكر لله) لأن الشكر لا يمكن إلا في المكافأة والجزاء ، والحمد يكون ابتداء بمعنى الثناء ، (الحمد: الثناء على الجميل سواء كان نعمة مسداة إلى أحد أم لا ، يقال : حمّدت الرجل على ما أنعم به عليه وحمّدته على شجاعته ، ويكون باللسان وحده دون عمل الجوارح ، إذ لا يقال حمّدت زيداً ، أي عملت له بيدي عملاً حسناً بخلاف الشكر فإنه لا يكون إلا نعمة مسداة إلى الغير ، يقال : شكرته على ما أعطاني ولا يقال : شكرته على شجاعته ويكون بالقلب واللسان والجوارح قال تعالى: ﴿أَعْمَلُوا إَلَّا دَاؤُدَ شُكْرًا﴾⁽³⁾)⁽⁴⁾

⁽¹⁾ الرازى : محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين أبو عبد فخر الدين الرازى الإمام المفسر ، أوحد زمانه في المعقول والمنقول وعلوم الأولئ ، من تصانيفه : مفاتيح الغيب ثمان مجلدات في تفسير القرآن الكريم ، ولوامع البيانات في شرح أسماء الله تعالى والصفات ، ومعالم أصول الدين ، وله شعر بالعربية والفارسية ، توفي 606هـ الأعلام للزركلى : ج 6/313 .

⁽²⁾ تفسير الرازى المسمى مفاتيح الغيب لأبي عبد الله محمد بن عمر بن الحسن التىمى الرازى الملقب بفخر الدين الرازى ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، 1421هـ - 2000م ، ط : ج 1/178 .

⁽³⁾ من سورة سباء 34 : الآية / 13 .

⁽⁴⁾ مفردات ألفاظ القرآن للراغب الأصفهانى / 130 .

جاء في لسان العرب : (والحمد والشكر متقاربان ، والحمد أعمهما ، لأنك تحمد الإنسان على صفاته الذاتية وعلى عطائه ، ولا تشكره على صفاته)⁽¹⁾

(فكان اختيار الحمد أولى من الشكر ، لأنه أعم فإنك تبني عليه بنعمه الواضحة إليك ، وإلى الخلق أجمعين ، وتبني عليه بصفاته الحسنة الذاتية وإن لم يتعلّق شيء منها بك ، فكان اختيار الحمد أولى من المدح والشكر)⁽²⁾

ولمعرفة الفرق بين الحمد والشكر ننظر كذلك إلى ضد كل واحد منهما (فالحمد ضد الدّم والشكر ضد الكفران ، فالحمد يكون على النازل المحبوب والمكرود ، بينما لا يرد الشكر بحال إلا على المحبوب)⁽³⁾

فالحاامد قسمان : شاكر ومحب بالصفات الجميلة ، أما المادح فقد يمدح صفات خلقية في المدح . قال الراغب : (الحمد لله الثناء عليه بالفضيلة وهو أخص من المدح وأعم من الشكر ، يقال فيما يكون من الإنسان باختياره وبما يكون منه وفبه بالتسخير ، فقد يمدح الإنسان بطول قامته وصباحته وجهه كما يمدح ببذل ماله وشجاعته وعلمه ، والحمد يكون في الثاني دون الأول)⁽⁴⁾

(وفرقوا بين الحمد والمدح بأمور : أن الحمد يشترط صدوره عن علم لا ظن ، وأن تكون الصفات الحمودة صفات كمال والمدح قد يكون عن ظن وبصفة مستحسنة وإن كان فيها نقص ما ، وأن في الحمد من التعظيم والفحاممة ما ليس في المدح وهو أخص بالعقلاء والعظماء وأكثر إطلاقاً على الله ، وإن الحمد إخبار عن محسن الغير مع الحبة والإجلال ، والمدح إخبار عن المحسن ولذا كان الحمد إخباراً يتضمن إنشاء والمدح خبراً مختصاً ، والحمد مأمور به مطلقاً ، والمدح ليس كذلك : ((إذا رأيتم المداهين فاحثوا في وجوههم التراب))⁽⁵⁾)

(1) لسان العرب ، للإمام أبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور ، دار الفكر ، ط ، ١٣٠٠هـ : مادة حمد : ٤ / ١٣٣.

(2) لمسات بيانية للدكتور فاضل السامرائي ، دار عمار ، ط ٣ ، ١٤٢٧هـ / ٢٠٠٦م.

(3) المعجزة الخالدة لحسن عتر / ٢٠٤ .

(4) للراغب الأصفهاني / ١٣٠ .

(5) رواه مسلم : باب الزهد ، رقم الحديث ٦٩ ، ج ١٨ ، ص ١٢٨ .

ثم إن (الحمد) فيما تواتر مرفوع وهو مبتدأ خبره (الله) ، قال الحافظ ابن الجزرى⁽²⁾ : (كل قراءة وافقت العربية ولو بوجه ، ووافت أحد المصاحف العثمانية ولو احتمالا ، وصح سندها ، فهي القراءة الصحيحة التي لا يجوز ردها ، ولا يحل إنكارها ، بل هي من الأحرف السبعة التي نزل بها القرآن ، ووجب على الناس قبولها)⁽³⁾ والقراءة الشاذة هي التي فقدت أحد الشروط الثلاثة ، وهي بذلك جملة اسمية لتدل على الثبوت والدوام بخلاف الفعلية فإنما تدل على التجدد والحدوث . والجملة الاسمية أقوى وأثبت وأدوم .

(ولذلك قال العلماء : إن جواب خليل الرحمن عليه السلام في قوله تعالى حكاية عنه) قال

سَلَّمٌ⁽⁴⁾ أحسن من قول الملائكة (قَالُوا سَلَّمًا)⁽⁵⁾ امثالا لقوله تعالى : فَحَيُوا بِأَحْسَنِ مِنْهَا⁽⁶⁾⁽⁷⁾ ، والسبب في تفضيل (سلام) لأن المذوف اسم أي : سلامي سلام وهذا يعني أنها جملة اسمية فهي تفيد الثبوت والدوام ، أما (سلاماً) قول الملائكة ، فالمحذف فعل أي : أسلم سلاماً وهذا يعني أنها جملة فعلية وهذا يفيد التجدد والانقطاع .

جاء في الكشاف : (والعدل بها عن النصب إلى الرفع على الابتداء للدلالة على ثبات المعنى واستقراره ، ومنه قوله تعالى : فَقَالُوا سَلَّمًا قَالَ سَلَّمٌ⁽⁸⁾ رفع السلام الثاني للدلالة على أن

(1) روح المعاني لأبي الفضل شهاب الدين السيد محمود الأوليسي البغدادي ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، لبنان ، ط 4 ، 1405 هـ - 1985 م : ج 1 / 70 .

(2) ابن الجزرى : محمد بن محمد بن علي بن يوسف الجزرى ، وكنية مولده أبو الخير ولد 751 هـ ، مؤلفات نافعة ما بين منثور ومنظوم ، توفي سنة 833 هـ .

(3) علوم القرآن وإعجازه للدكتور عدنان زرزور / 296 .

(4) من سورة هود 11 : (الآية / 69) .

(5) من سورة هود 11 : (الآية / 69) .

(6) من سورة النساء 4 : (الآية / 86) .

(7) الدر المصون في علوم الكتاب المكتوب : ج 1 / 40 .

(8) من سورة الذاريات 51 : (الآية / 25) .

إبراهيم عليه السلام حياهم بتحية أحسن من تحيتهم لأن الرفع دال على معنى ثبات السلام لهم دون تجده وحدوثه .⁽¹⁾

وجاء في البحر المحيط : (وقراءة الرفع أمكن في المعنى ، ولهذا أجمع عليها السبعة لأنها تدل على ثبوت الحمد واستقراره لله تعالى ، فيكون قد أخبر بأن الحمد مستقر لله تعالى ... ومن نصب فلا بد من عامل تقديره : أَحْمَدَ اللَّهُ أَوْ حَمَدَ اللَّهُ فَيَتَحَصَّصُ الْحَمْدُ بِتَخْصِيصِ فَاعِلِهِ وَأَشْعَرُ بِالتَّجَدُّدِ وَالْحَدُوثِ)⁽²⁾ .

وجاء في تفسير البيضاوي : (وإنما عدل عنه إلى الرفع ليدل على عموم الحمد وثباته دون تجده وحدوثه)⁽³⁾ .

ومن الفروق بين الحمد والمدح (أن حمد يتضمن الثناء مع العلم بما يثنى به ، فإن تجرد عن العلم كان مدحا ولم يكن حمدا ، فكل حمد مدح دون العكس ، ومن حيث كان يتضمن العلم بخصال المحمود جاء فعله على حَمِدٍ بالكسر موازنا لعلم ، ولم يجيء كذلك مدح فصار المدح في الأفعال الظاهرة كالضرب ونحوه ، ومن ثم لم تجد في الكتاب والسنة حمد ربنا فلانا ويقول : مدح الله فلانا وأئنني على فلان ، ولا تقول حمد إلا لنفسه ، ولذلك قال سبحانه : الحمد لله بلام الجنس المفيدة للاستغراف ، فالحمد كله له إما ملكا وإما استحقاقا ، فحمدته لنفسه استحقاق ، وحمد العباد له وحمد بعضهم لبعض ملك له ، فلو حمد هو غيره لم يسع أن يقال في ذلك الحمد ملك له لأن الحمد كلامه ، ولم يسع أن يضاف إليه على جهة الاستحقاق وقد تعلق بغيره)⁽⁴⁾

والحمد إخبار عن محسن المحمود مع حبه وإجلاله وتعظيمه ، أما المدح فهو خبر مجرد عن الحب والإجلال ، فالسائل إذا قال : الحمد لله تضمن كلامه الخبر عن كل ما يحمد عليه تعالى باسم جامع محيط ، وذلك يستلزم إثبات كل كمال يحمد عليه الرب تعالى ، وهذا لا تصلح هذه اللفظة على هذا الوجه ولا تبغي إلا لمن هذا شأنه وهو الحميد الجيد ، ولما كان هذا المعنى مقارنا

(1) الكشاف للزمخشري : 39 / 1 .

(2) البحر المحيط لأبي حيان : 1 / 118 ————— 119 .

(3) تفسير البيضاوي للإمام ناصر الدين أبو الحسن عبد الله الشيرازي البيضاوي ، دار الفكر ، ط 1402 هـ ، 1982 م ، ص 3 .

(4) بدائع الفوائد لابن قيم الجوزية ، دار الكتاب العربي ، بيروت لبنان ، ط : ج 2 / 92 .

للحمد لا ت تقوم حقيقته إلا به ، فسره من فسره بالرضى والمحبة وهو تفسير له بجزء مدلوله بل هو رضاء ومحبة مقارنة للثناء .

ولذلك كله كان اختيار لفظة (الحمد) مناسبة للمقام مؤدية للمعنى المراد لا يؤديه غيرها من الألفاظ والحمد لله .

الكلمة الثانية : (الدين)

(¹) من قوله تعالى : ﴿مَلِكٌ يَوْمَ الْدِين﴾

من سورة الفاتحة ، (والدين) : العادة والشأن ، والدين : الطاعة ، والدين : الحكم والجزاء في

قوله عز وجل : ﴿مَلِكٌ يَوْمَ الْدِين﴾ والدين : الحال (²)

ومرد هذه المعاني إلى معنيين : الجزاء والحساب ، قال الماوردي (³) : (وأما قوله تعالى : (يوم الدين) ففيه تأويلان : أحدهما : أنه الجزاء ، والثاني : أنه الحساب .

وفي أصل الدين في اللغة قولان : أحدهما : العادة ، والثاني : أن أصل الدين الطاعة ، وفي هذا اليوم قولان : أحدهما : أنه يوم ابتداؤه طلوع الفجر وانتهاؤه غروب الشمس ، والثاني : أنه ضياء يستدlim إلى أن يحاسب الله تعالى جميع خلقه فيستقر أهل الجنة في الجنة ، وأهل النار في النار .
وفي اختصاصه بملك يوم الدين تأويلان :

أحدهما : أنه يوم ليس فيه ملك سواه ، فكان أعظم من ملك الدنيا التي تملّكتها الملوك .

والثاني : أنه لما قال : (رَبِّ الْمَكَلَمِينَ) يريد به ملك الدنيا ، قال بعده : (مَلِكٌ يَوْمَ الْدِين) (⁴) يريد به ملك الآخرة ليجمع بين ملك الدنيا والآخرة

(1) من سورة الفاتحة 1 : (الآية / 4) .

(2) بجمل اللغة لأحمد بن فارس بن زكرياء ، تحقيق زهير عبد الحسن سلطان ، مؤسسة الرسالة ، ط 2 ، 1406 هـ 1986 م ، مادة : دين / 342 .

(3) الماوردي : علي بن محمد بن حبيب أبو الحسن الماوردي ، أقضى قضاة عصره ، من العلماء الباحثين ، أصحاب التصانيف الكثيرة النافعة ، ولد في البصرة عام 364 هـ من كتبه النكت والعيون في تفسير القرآن ، توفي 450 هـ . ينظر للأعلام ج 327/4 .

(4) النكت والعيون لأبي الحسن علي بن محمد بن حبيب الماوردي البصري ، راجعه وعلق عليه : السيد بن عبد المقصود بن عبد الرحيم ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، مؤسسة الكتب الثقافية : (ج 1 / 56 — 57) .

قال أبو جعفر⁽¹⁾ : (والدين في هذا الموضع بتأويل الحساب والمحازاة بالأعمال ، قال الله

تعالى : ﴿كَلَّا بَلْ تُكَذِّبُونَ بِاللَّهِن﴾ ⁽²⁾ يعني بالجزاء قوله تعالى :

﴿فَلَوْلَا إِن كُنْتُمْ غَيْرَ مَدِينِين﴾ ⁽³⁾ يعني غير مجزيين بأعمالكم ولا محاسبين ⁽⁴⁾

و يوم الدين : يوم الجزاء من الرب سبحانه لعباده كما قال : ﴿وَمَا أَدْرَنَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ﴾ ⁽⁵⁾

﴿يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ شَيْئًا وَالْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ﴾ ⁽⁶⁾

(ودان : عصى وأطاع ، وذلّ وعزّ فهو من الأضداد ، والدين : القضاء ومنه قوله تعالى:

﴿وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِمَا رَأَفْتَهُ فِي دِينِ اللَّهِ﴾ ⁽⁷⁾ أي في قضاائه وحكمه ، والدين : الحال ، وأيضا الطاعة

و منه قوله تعالى : ﴿وَمَنْ أَحَسَنُ دِينًا﴾ ⁽⁸⁾ ويستعار للملة والشريعة أيضا قال تعالى :

﴿أَفَغَيْرَ دِينِ اللَّهِ يَعْبُوتُ﴾ ⁽⁹⁾ يعني الإسلام بدليل قوله تعالى :

﴿وَمَنْ يَبْتَغَ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ﴾ ⁽¹⁰⁾

⁽¹⁾ أبو جعفر : محمد بن جرير بن يزيد الطبرى ، أبو جعفر المؤرخ المفسر الإمام ، استوطن بغداد وتوفي بها سنة 310هـ ، له كتاب : جامع البيان في تفسير القرآن . ينظر الأعلام ج 6/ 69 ومعجم المؤلفين ج 9/ 147 .

⁽²⁾ من سورة الانفطار 82 : (الآية / 9) .

⁽³⁾ من سورة الواقعة 56 : (الآية / 86) .

⁽⁴⁾ تفسير الطبرى المسمى جامع البيان في تأويل القرآن ، لأبي جعفر محمد بن جرير الطبرى ، دار الكتب العلمية ، بيروت لبنان ، ط 3 ، 1420هـ - 1999م : (ج 1 / 98) .

⁽⁵⁾ من سورة الانفطار 82 : (الآياتان / 17 - 19) .

⁽⁶⁾ من سورة النور 24 : (الآية / 2) .

⁽⁷⁾ من سورة النساء 4 : (الآية / 125) .

⁽⁸⁾ من سورة آل عمران 3 : (الآية / 83) .

⁽⁹⁾ من سورة آل عمران 3 : (الآية / 85) .

⁽¹⁰⁾ الدر المصنون في علوم الكتاب المكون للسمين الحلبي : ج 1/ 54 .

ويوم الدين هو يوم الجزاء ويفيد قوله تعالى : ﴿الْيَوْمَ تُبَحَّرِي كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ﴾

(¹)

و﴿الْيَوْمَ تُبَحَّرِي مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ (٢٨)

جاء في روح المعانى : (وأيضا للدين معان شاع استعماله فيها كالطاعة والشريعة ، فتذهب نفس السامع إلى كل مذهب سائغ ، وقد قال بكل من هذين المعنى بعض أهل العلم ، والمعنى حينئذ على تقدير مضاف ، فعلى الأول يوم الجزاء الكائن للدين ، وعلى الثاني يوم الجزاء الثابت في الدين ، وإذا أريد بالطاعة في الأول : الانقياد المطلق لظهوره ذلك اليوم ظاهرا وباطنا ، وجعل إضافة يوم للدين في الثاني لما بينهما من الملابسة باعتبار الجزاء لم يحتاج إلى تقدير)⁽³⁾ وإضافة يوم للدين في الثاني لأن الجزاء لا ينتهي ، فأهل الجنة حالدون فيها ، وأهل النار حالدون فيها ، وجزاء كل منهم فيها غير منقض فذلك هو يوم الدين .

جاء في حاشية الجرجاني على الكشاف في قوله : ﴿مَنِلِكِ يَوْمَ الْدِين﴾ (فإن الجزاء يتناول جميع أحوال الآخرة إلى السرمد)⁽⁴⁾

وفي تفسير النسفي⁽⁵⁾ : يوم الدين (أي يوم الجزاء ويقال : كما تدين تدان ، أي كما تفعل تجازى ، وهذه إضافة اسم الفاعل إلى الظرف على طريق الاتساع أي مالك الأمر كله في يوم الدين ، والتخصيص بيوم الدين لأن الأمر فيه لله وحده ، وإنما ساغ وقوعه صفة للمعرفة مع أن إضافة اسم الفاعل إضافة غير حقيقة لأنه أريد به الاستمرار فكانت الإضافة حقيقة فساغ أن يكون صفة للمعرفة)⁽⁶⁾

(1) من سورة غافر 40 : (الآية / 17) .

(2) من سورة الجاثية 45 : (الآية / 28) .

(3) روح المعانى للألوسي : (ج 1 / 85) .

(4) حاشية الجرجاني على الكشاف : (145/1) .

(5) النسفي : عبد الله بن أحمد بن محمود النسفي ، أبو البركات ، حافظ الدين فقيه حنفي مفسر ، له مصنفات جليلة منها : مدارك الترتيل في تفسير القرآن ، وكفر الدقائق في الفقه ، والمنار في أصول الفقه ، توفي 710 هـ . ينظر الأعلام ج 4 / 67 .

(6) تفسير النسفي ، لأبي البركات عبد الله بن أحمد بن محمود النسفي ، مطبعة علي صبيح وأولاده ، بدون تاريخ : (ج 1 / 7) .

﴿ يَوْمَئِذٍ يُوقَّيْهُمُ اللَّهُ دِينَهُمْ ﴾

ومن الأدلة من القرآن على معنى الدين قوله تعالى :

﴿ الْحَقَّ ﴾⁽¹⁾ قوله تعالى : ﴿ أَئُنَا مَدِينُونَ ﴾⁽²⁾ ٥٣

(وحكى أهل اللغة : دِته بفعله دِينا) (بفتح الدال) وديننا (بكسرها) جزيته ، ومنه الديان في صفة الرب تعالى أي المجازي ، وفي الحديث : ((الكيس من دان نفسه))⁽³⁾ أي حاسب)

ومن هنا نرى أن الكلمة الدين متناسبة مع الآية التي وردت فيها

﴿ مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ ﴾⁽⁴⁾ ومتناسبة مع سورة الفاتحة بشكل عام .

(لأن إيشار لفظ الدين أي الجزاء للإشعار بأنه معاملة العامل بما يعادل أعماله المجزي عليها في الخير والشر ، وذلك العدل الخاص قال تعالى : ﴿ الْيَوْمَ تُبَحَّرَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ لَا ظُلْمَ الْيَوْمَ ﴾⁽⁵⁾ فلذلك لم يقل ملك يوم الحساب ، فوصفه بأنه ملك يوم العدل الصرف ، وصف له بأشرف معنى الملك ، فإن الملوك تتخلد حمامدهم بمقدار تفاضلهم في إقامة العدل)⁽⁶⁾

الكلمة الثالثة : المفلحون من قوله تعالى : ﴿ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾⁽⁷⁾ ، كل من أصاب شيئاً من الخير فقد أفلح ، والمصدر الفلاح وهو أيضاً : البقاء .

(1) من سورة النور 24 : (الآية / 25) .

(2) من سورة الصافات 37 : (الآية / 53) .

(3) رواه الترمذى : (كتاب القيمة ، باب حديث 2459) ، رقم الحديث 25 ، ج 4 ص 550 ، روى الحبيب حسن ، وابن ماجه : (كتاب الرهد ، باب 31 ، رقم الحديث 4260) ، والحاكم كتاب الإيمان رقم 191 ، وكتاب التوبة والإنابة 7639 وقال حديث صحيح على شرط البخاري ولم يخرجاه .

(4) الجامع لأحكام القرآن ، للإمام أبي عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي ، دار الكتب العلمية ، بيروت لبنان ، ط 1408 هـ 1988 م : (ج 1 / 101) .

(5) من سورة غافر 40 : (الآية / 17) .

(6) التحرير والتنوير المعروف بتفسير ابن عاشور تأليف محمد الطاهر بن عاشور ، مؤسسة التاريخ العربي ، بيروت لبنان ، ط 1421 هـ ، 2000 م : (ج 1 / 174) .

(7) من سورة البقرة 2 : (الآية / 5) .

(الفلاح : الفوز والنجاة والبقاء في الخير ، والسّحور ، والفلح : الشق والمكر والتجش في البيع ، والفالح : الملاح والأكار والفالحة الحراة)⁽¹⁾

والمفلحون تشتمل على معنيين : أهمل الفائزون السعداء (والمعنى الثاني : المقطوع لهم بالخير ، لأن الفلاح في كلامهم القطع ، وكذلك قيل للأكار : فلاح ، لأنه يشق الأرض)⁽²⁾

(قال ابن قتيبة⁽³⁾ : المفلحون : الفائزون ببقاء الأبد . وأصل الفلاح : البقاء ، وقال الزجاج⁽⁴⁾ : المفلح : الفائز بما في حله غاية صلاح حاله ، قال ابن الأنباري⁽⁵⁾ : ومنه : حي على الفلاح ، معناه : هلموا إلى سبيل الفوز ودخول الجنة)⁽⁶⁾

(والفالح : أصله الشق ومنه قوله : ((إن الحديد بالحديد يفلح))⁽⁷⁾ ، ويعبر به عن الفوز والظفر بالغية وهو مقصود الآية ، ويراد به البقاء)⁽⁸⁾

وفي تفسير الطبرى: (المفلحون هم المنجحون المدركون ما طلبوا عند الله تعالى ذكره بأعمالهم وإيمانهم بالله وكتبه ورسله من الفوز بالثواب والخلود في الجنان ، والنجاة مما أعد الله تبارك وتعالى لأعدائه من العقاب)⁽⁹⁾

(1) القاموس المحيط ، تأليف مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز أبادى ، مطبعة مصطفى البابى الحلبي ، ط 2 ، 1371هـ 1952م ، مادة فلح ، ج 1 / 249 .

(2) النكت والعيون للماوردي : (ج 1 / 71) .

(3) ابن قتيبة : عبد الله بن مسلم بن قتيبة بن مسلم المروزي ، ولد سنة 213 ، له مصنفات كثيرة بلغت خمسة وستين مصنفا منها : غريب الحديث ، تفسير غريب القرآن ، أدب الكاتب ، تأويل مشكل الحديث ، تأويل مشكل القرآن ، توفي سنة 276هـ . كتاب المعارف .

(4) الزجاج : إبراهيم بن السري بن سهل الزجاج صاحب كتاب معاني القرآن ، كان من أهل الفضل والدين حسن الاعتقاد له مؤلفات حسان في الأدب . توفي 311هـ . إنباه الرواة : ج 1 / 194 .

(5) ابن الأنباري : كان أحفظ الناس لغة والنحو والشعر والتفسير والقرآن مات 328هـ . ينظر طبقات الحنابلة ج 1 / 202 .

(6) زاد المسير في علم التفسير ، للإمام أبي الفرج جمال الدين عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي القرشي البغدادي ، المكتب الإسلامي ، ط 4 ، 1407هـ 1987م : ج 1 / 27 .

(7) مثل عربي : مجمع الأمثال ! / 8 .

(8) الدر المصور في علوم الكتاب المكتوب للسميين الحلبي : ج 1 / 104 .

(9) تفسير الطبرى : ج 1 / 140 — 141 .

فعلى هذا يكون التعبير بـ (المفلحون) أولى من (الفائزون) لأنها جمعت معنى : الفائزون بالبقاء والمدركون غايتها والمقطوع لهم بالخير في الدنيا والآخرة الناجحون .

(والمفلح الفائز بالبغية كأنه الذي انفتحت له وجوه الظفر ولم تستغلق عليه ، والتركيب دال على معنى الشق والفتح)⁽¹⁾

وفي تفسير الخازن : (فيكون المعنى أو لئك هم الباقيون في النعيم المقيم ، وأولئك هم المقطوع لهم بالخير في الدنيا والآخرة)⁽²⁾

وقد استعمل الفلاح في السحور ومنه الحديث : (حتى خشينا أن يفوتنا الفلاح مع رسول الله صلى الله عليه وسلم قلت : وما الفلاح ؟ قال : السحور)⁽³⁾ فكأن معنى الحديث (أن السحور به بقاء الصوم فلهذا سمى فلاحا)⁽⁴⁾ ، وسمى السحور : الفلاح لأن به بقاء البدن والحفظ من الضعف .

(ثم الفلاح بمعنى إدراك البغية على ضربين دنيوي وأخروي ، فالدنيوي : الظفر بالسعادات التي بها تطيب حياة الدنيا ، والأخروي : أربعة أشياء : بقاء بلا فناء ، وغنى بلا فقر ، وعز بلا

(1) الكشاف للزمخشري : ج 1 / 25.

(2) تفسير الخازن المسمى لباب التأويل في معاني التنزيل ، دار المعرفة للطباعة والنشر ، ط ، بيروت لبنان : ج 1 / 24.

(3) أخرجه أبو داود في كتاب شهر رمضان رقم الحديث (1362)، ج 4 / 249 ، والترمذني في الصوم : رقم الحديث (

806)، ج 3 / 169 ، والنمسائي في كتاب السهو ، باب ثواب من صلى مع الإمام حتى ينصرف : (ج 3 / ص

84) رقم الحديث 103، وابن ماجه في إقامة الصلاة رقم الحديث 1327، باب ما جاء في قيام شهر رمضان ، ج 1

/ ص 421 ، وأحمد 21485 (163/5) ، والدارمي 2547 (42/2) 1777، وابن حبان 288(6) 2206 (340/3) 2210 (337/3) 2206

وقال حسين سليم أسد في تعليقه على الدارمي : صحيح ، وقال شعيب الأرنؤوط في تعليقه على أحمد وابن حبان : إسناده صحيح على شرط مسلم .

(4) فتح القدير محمد بن علي بن محمد الشوكاني ، تحقيق د . عبد الرحمن عميرة ، دار الوفاء ، المنصورة ، ط 2 1418هـ 1997م : ج 1 / 116 .

ذل ، وعلم بلا جهل . ولذلك قال الصادق المصدوق صلى الله عليه وسلم : ((لا عيش إلا عيش الآخرة))⁽¹⁾ ، قوله تعالى : ﴿ وَقَدْ أَفْلَحَ الْيَوْمَ مَنِ اسْتَعْلَى ﴾⁽²⁾ ﴿ ٦٤ ﴾⁽³⁾ فكأنه قيل للمؤمنين : مفلحون ، لفوزهم بالبقاء في النعيم المقيم هذا هو الأصل ، ثم قيل ذلك لكل من عقل وحزم وتكاملت فيه خلال الخير⁽⁴⁾ ولذلك لم يقل الله : فائزون لأن لها معنى واحدا ، أما (مفلحون) فجمعت بين الفوز مع البقاء والخلود في هذا الفوز ومع أنهم متصفون بصفات الكمال وخلال الخير فاستحقوا هذا الفوز وهذا الخلود . اللهم اجعلنا منهم . (وقد نميل إلى فهم إفلاح المؤمنين بدلالة إسلامية على التوفيق إلى ما يرضي الله سبحانه ويرضيهم . والله أعلم)⁽⁵⁾ وأكبر دليل على هذا قوله تعالى في سورة المؤمنون : ﴿ قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ١ ﴾⁽⁶⁾ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَشِعُونَ إلى قوله : ﴿ أُولَئِكَ هُمُ الْوَرِثُونَ ١٠ ﴾⁽⁷⁾ الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفَرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَلِيلُونَ⁽⁸⁾ فبدأ بـ (أفلاج) وختم بأهم المنعمون الوارثون الباقيون .

(1) أخرجه البخاري : (كتاب مناقب الأنصار ، باب دعاء النبي صلى الله عليه وسلم : أصلح الأنصار والهاجرة ، رقم الحديث 3795 ، ج 7 / ص 118) ، وأحمد : 170/3 ، رقم الحديث 12752 .

(2) من مسند أبو داود : الآية / 64 .

(3) عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ ، للشيخ شهاب الدين أحمد بن يوسف بن محمد بن مسعود بن إبراهيم الحلبي ، تحقيق محمد السيد الدغيم ، دار السيد للنشر ، ط ، 1407هـ-1987م ، صورة المخطوطة المحفوظة في خزانة مكتبة نور عثمانية في استانبول : ص 432—433 مادة فلح .

(4) تفسير غريب القرآن لأبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة ، تحقيق السيد أحمد صقر ، دار الكتب العلمية ، بيروت لبنان ، 1398 هـ 1978م : ص 39 .

(5) الإعجاز البياني للقرآن ومسائل ابن الأزرق ، دراسة قرآنية لغوية وبيانية ، د . عائشة عبد الرحمن بنت الشاطئ ، دار المعارف ، ط 2 ، 1404 هـ 1984 م ، 342.

. (6) من سورة المؤمنون 23 : (الآيات 1 —————— 11)

الكلمة الرابعة : الخاشعون من قوله تعالى :

﴿ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَشُوعِ ﴾⁽¹⁾

(والخشوع في اللغة : التواضع والتطامن وقيل السكون)⁽²⁾ ، (والخشوع : الخضوع وأصله : اللين والسهولة ومنه الخشعة للرملة المتطامنة ، وفرق بعضهم بين الخضوع والخشوع فقال : الخضوع في البدن خاصة ، والخشوع في البدن والصوت والبصر)⁽³⁾

(والخشوع بالجوارح ولذلك إذا تواضع القلب خشت الجوارح)⁽⁴⁾ ، (والخشوع : الضراء ، والخشوع : هيئة في النفس يظهر منها في الجوارح سكون وتواضع ، والخشوع في القلب هو الخوف وغض البصر في الصلاة ، وأكثر ما يستعمل الخشوع فيما يظهر على الجوارح)⁽⁵⁾ ، (الخشوع : فعل يرى فاعله أن من يخضع له فوقه وأنه أعظم منه ، والخشوع في الكلام خاصة والشاهد قوله تعالى : ﴿ وَخَشَعَتِ الْأَصْوَاتُ لِرَحْمَنٍ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا ﴾⁽⁶⁾ ،

وقيل : بما من أفعال القلوب ، قال ابن دريد⁽⁷⁾ : يقال: خضع الرجل للمرأة وأخضع إذا لأن كلامه لها ، والخاضع: المطاطئ رأسه وعنقه ، وفي التنزيل : ﴿ فَظَلَّتْ أَعْنَقُهُمْ لَهَا خَضِيعِينَ ﴾⁽⁸⁾ ، وعند بعضهم : أن الخشوع لا يكون إلا مع خوف الخاشع للمخشوّع له ولا يكون تكلاً ، ولهذا يضاف إلى القلب فيقال : خشع قلبه وأصله البس ، ومنه يقال : قف خاشع ، للذى تغلب عليه السهولة ، والخضوع هو التطامن والتطاوطر ولا يقتضي أن يكون معه خوف ،

(1) من سورة البقرة 2 : (الآية / 45) .

(2) زاد المسير في علم التفسير لابن الجوزي : ج 1/ 76 .

(3) الدر المصنون في علوم الكتاب المكتون للسميين الحلبي : ج 1/ 331 .

(4) الكليات لأبي البقاء أبوبن موسى الحسيني الكفووي ، وضع فهارسه : د . عدنان درويش ، محمد المصري ، مؤسسة الرسالة ، ط ، 1412هـ 1992م / ص 431 .

(5) مفاتيح فهم القرآن لأحمد علي الإمام ، دار المنى ، ط ، 1421هـ 2000 م / 39 .

(6) من سورة طه 20 : (الآية / 108) .

(7) ابن دريد : محمد بن الحسن بن دريد الأزدي من أزد عمان من قحطان من أئمة اللغة والأدب ولد 223هـ توفي 321هـ . الأعلام ج 6/ 80 .

(8) سورة الشعرا 26 : (الآية / 4) .

ولهذا لا يجوز إضافته إلى القلب فيقال : خضع قلبه ، وقد يجوز أن يخضع الإنسان تكلفا من غير
أن يعتقد أن المخضوع له فوقه ولا يكون الخشوع كذلك)⁽¹⁾

ومن هنا يتبين الفرق واضحا بين الخشوع والخضوع ولذلك لم يقل الله : (وإنما لكبيرة إلا
على الخاضعين) وإنما قال ﴿إِلَّا عَلَى الْخَشِعِينَ﴾ حيث الخشوع في الكلام ، وهو فعل يرى
فاعله أن من يخشع له أعظم منه ، ولا يكون الخشوع إلا مع خوف الخاشع للمخضوع له ولا
يكون تكلفا ، وهذا يضاف إلى القلب .

(وأصل الخشوع السكون فالخاشع ساكن إلى الطاعة ، وقيل الخشوع : الضراعة ، وأكثر ما
تستعمل في الجوارح)⁽²⁾

(والخشوع الإحبات والتطامن ومنه الخشعة للرممة المتطامنة ، وأما الخضوع فاللين والانقياد
ومنه خضعت بقولها إذا لينته)⁽³⁾

قال الله تعالى : ﴿فَلَا تَخْضَعُنَّ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعُ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ﴾⁽⁴⁾

(قال ابن زيد⁽⁵⁾ : الخشوع : الخوف والخشية لله ، وقرأ قول الله : ﴿خَشِعَنَّ مِنَ الْأُذُنِ﴾⁽⁶⁾ ، قال : قد أذهم الخوف الذي نزل بهم وخشعوا له ، وأصل الخشوع : التواضع
والتدلل والاستكانة)⁽⁷⁾

({ على الخاضعين }) وهم المتواضعون المستكينون ، وأصل الخشوع : الإحبات ومنه الخشعة:
الرمم المتطامن)⁽¹⁾

(1) الفروق اللغوية لأبي هلال العسكري ، دار الكتاب العلمية ، بيروت لبنان ، تحقيق حسام الدين القدسـي / 206 .

(2) تفسير الخازن : ج 1 / 48 .

(3) الكشاف للزمخشري : ج 1 / 67 .

(4) من سورة الأحزاب 33 : (الآية / 32) .

(5) ابن زيد : أحمد بن محمد بن أحمد بن زيد بن شهاب الدين أبو العباس فاضل دمشقـي ، من علماء الحنابلة ، توفي 870 هـ . ينظر الأعلام ج 1 / 230 .

(6) من سورة الشورى 42 : (الآية / 45) .

(7) تفسير الطبرـي : ج 1 / 300 .

(والمراد بالخاشع هنا الذي ذلّ نفسه وكسر سورتها وعوّدتها أن تطمئن إلى أمر الله وتطلب حسن العواقب ، وأن لا تغتر بما تزييه الشهوة الحاضرة ، فهذا الذي كانت تلك صفتة قد استعدت نفسه لقبول الخير ، وكأن المراد بالخاشعين هنا الخائفون الناظرون في العواقب فتحف عليهم الاستعانة بالصبر والصلوة مع ما في الصبر من القمع للنفس ، وما في الصلوة من التزام أوقات معينة وطهارة في أوقات قد يكون للعبد فيها اشتغال بما يهوى أو بما يحصل منه مالاً أو لذة)⁽²⁾

ومن هنا نخلص إلى أن الخشوع يجمع بين معنوي التواضع والتذلل . (قال سفيان الثوري ⁽³⁾ : سألت الأعمش ⁽⁴⁾ عن الخشوع فقال : يا ثوري أنت تريد أن تكون إماماً للناس ولا تعرف الخشوع ، سأله إبراهيم النخعي ⁽⁵⁾ عن الخشوع فقال : أعيمش ! تريد أن تكون إماماً للناس ولا تعرف الخشوع ، ليس الخشوع بأكل الخشن ولبس الخشن وتطاوطُ الرأس ! لكن الخشوع أن ترى الشريف والديه في الحق سواء ، وتخشع الله في كل فرض افترض عليك ، ونظر عمر بن الخطاب ⁽⁶⁾ إلى شاب قد نكس رأسه فقال : يا هذا ارفع رأسك فإن الخشوع لا يزيد على ما في القلب . وقال علي بن أبي طالب ⁽⁷⁾ : الخشوع في القلب وأن تلين كفيك للمرء المسلم وألا تلتفت في صلاتك)⁽⁸⁾

(1) روح المعاني للألوسي : ج 1/249 .

(2) التحرير والتنوير لابن عاشر : ج 1/464 .

(3) سفيان الثوري : بن سعد بن مسروق بن حبيب شيخ الإسلام إمام الحفاظ سيد العلماء في زمانه ولد 97هـ توفي 126هـ ، ينظر سير أعلام النبلاء : ج 7/229 .

(4) الأعمش : سليمان بن مهران الأسدية أبو محمد الملقب بالأعمش تابعي مشهور ، كان عالماً بالقرآن والحديث والفرائض ولد 61هـ ، توفي 148هـ . ينظر الأعلام : ج 3/135 .

(5) إبراهيم النخعي : بن يزيد بن الأسود بن عمرو أبو عمران ، الفقيه الكوفي النخعي أحد الأئمة المشاهير ، تابعي توفي 95هـ ، وعمره 49 سنة . ينظر وفيات الأعيان ج 1/25 .

(6) عمر بن الخطاب : بن نفيل بن عبد العزى أمير المؤمنين ثانى الخلفاء الراشدين ، ولد بعد الفيل بثلاث عشرة سنة، لقب بالفاروق أحد العشرة المبشرين بالجنة قتل سنة 23هـ . ينظر الإصابة ج 4/279 .

(7) علي بن أبي طالب : بن عبد المطلب بن هاشم يكنى أباً الحسن ، وقال ابن إسحاق : أول من آمن بالله وبرسوله محمد صلى الله عليه وسلم من الرجال علي بن أبي طالب ، شهد بدرا ، وخطبه ومواعظه ووصاياته كثيرة مشهورة ، توفي سنة 40هـ . ينظر الاستيعاب : ج 2/42-68 ، وال المعارف : ج 1/117-127 .

(8) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي : ج 1/255 .

فالخوف من الله إذا سكن القلب ظهر أثره على جوارح
بالخشوع والسوء كون قال تعالى : ﴿تَقْشَعُّرُ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ
يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ﴾⁽¹⁾

الكلمة الخامسة : بلاء من قوله تعالى :

﴿وَفِي ذَلِكُمْ بَلَاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ﴾⁽²⁾

(البلاء : المحنّة تنزل بالمرء ليختبر بها ، والغم والحزن والجهد الشديد في الأمر)⁽³⁾

والبلاء يكون في الخير والشر قال تعالى : ﴿وَنَبْلُوكُمْ بِالشَّرِّ وَلِلْخَيْرِ فِتْنَةٌ﴾⁽⁴⁾ ، لأن الابلاء امتحان فيمتحن الله عباده بالخير ليشكروا ، وبالشر ليصبروا ، قال النحاس⁽⁵⁾ : (فاسم الإشارة من قوله : (وفي ذلكم) يجوز أن يكون إشارة إلى الإنجاء وهو خير محظوظ ، ويجوز أن يكون إشارة إلى الذبح وهو شر مكرور)⁽⁶⁾

(والبلاء : المحنّة إن أشير بـ (ذلك) إلى صنيع فرعون ، والنعمة إن أشير به إلى الإنجاء)⁽⁷⁾
ولذلك قال الله (بلاء) ولم يقل : نعمة أو محنّة ، وهذا هو الإعجاز البياني حيث أن كلمة بلاء شملت المعنيين : النعمة والمحنّة .

(1) من سورة الزمر 39 : (الآية / 23) .

(2) من سورة البقرة 2 : (الآية / 49) .

(3) المعجم الوسيط ، قام بإخراجه : إبراهيم مصطفى ، أحمد الزيادات ، حامد عبد القادر ، محمد علي النجار ، دار الدعوة ، مطبع دار المعارف ، 1400هـ 1980م : 71 مادة بلى .

(4) من سورة الأنبياء 21 : (الآية / 35) .

(5) النحاس : أبو جعفر أحمد بن محمد بن إسماعيل النحاس النحوي المصري كان من الفضلاء له : تفسير القرآن الكريم وإعراب القرآن والناسخ والمنسوخ توفي بمصر 338هـ . ينظر وفيات الأعيان ج 1 / 99 .

(6) الدر المصنون في علوم الكتاب المكتون للسميين الحلي : ج 1/348 .

(7) الكشاف للزمخشري : ج 1/279 .

﴿وَفِي ذَلِكُمْ بَلَاءٌ مِّنْ رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ﴾⁽¹⁾ (أي محنـة إن أشير إلى صنيعهم ، أو نعمة إن أشير إلى الإنجاء)⁽²⁾

(وسمـي التـكـلـيف بـلاء من أوجهـه :

1— أن التـكـالـيف كـلـها مشـاق عـلـى الـأـبـدـان فـصـارـت من هـذـا الـوـجـه بـلاء .

2— أنها اختـبارـات . ولهـذا قال الله عـز وـجل : ﴿وَنَبْلُونَكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبْلُونَا أَخْبَارَكُمْ﴾⁽³⁾

3— أن اختـبار الله تعالى للـعـبـاد تـارـة بـالـمـسـار ليـشـكـرـوا ، وـتـارـة بـالـمـضـار ليـصـبـرـوا ، فـصـارـت المـحـنة وـالـمـنـحة جـمـيعـا بـلاء ، فـالـمـحـنة مـقـتضـية لـلـصـبـر وـالـمـنـحة مـقـتضـية لـلـشـكـر . والـقـيـام بـحـقـوق الصـبـر أـيـسـر من الـقـيـام بـحـقـوق الشـكـر ، فـصـارـت المـنـحة أـعـظـم الـبـلـاءـين . وبـهـذا النـظـر قال عمر : (بلـينا بـالـضـرـاء فـصـبـرـنا وـبلـينا بـالـسـرـاء فـلـم نـشـكـر) وـقال تعالى :

﴿وَلِيُبَلِّيَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَاءً حَسَنًا﴾⁽⁴⁾

وـفي قـولـه تعالى : ﴿وَفِي ذَلِكُمْ بَلَاءٌ مِّنْ رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ﴾ تـأـوـيـلـان : (أـحـدـهـما : أن فـيـما كـانـوا يـفـعـلـونـه بـهـم : من سـوء العـذـاب وـذـبـح الـأـبـنـاء وـاستـحـيـاء النـسـاء شـدـة وجـهـدا عـظـيـمـا .

وـالـثـانـي : أن فـيـإنـجـائـهـم من آـل فـرـعـون الـذـين كـانـوا يـفـعـلـونـ ذلك بـهـم نـعـمة من رـبـهـم عـظـيـمة .

وـأـصـلـ الـبـلـاء : الاختـبار فيـالـخـيـر وـالـشـر كما قال عـز وـجل : ﴿وَنَبْلُوكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً﴾⁽⁶⁾ لأن الاختـبار قد يكون بالـخـيـر كما يكون بالـشـر⁽⁷⁾

(1) من سورة البقرة 2 : (الآية / 49) .

(2) الكليات لأبي البقاء الكفوـي : 145 ————— 146 .

(3) من سورة محمد 47 : (الآية / 31) .

(4) من سورة الأنفال 8 : (الآية / 17) .

(5) مفردات ألفاظ القرآن للراغب الأصفهـاني : 145 ————— 146 مـادـة بـلـيـ.

(6) من سورة الأنبياء 21 : (الآية / 35) .

(7) النـكـتـ وـالـعـيـونـ للـمـاـورـديـ : جـ1 / 118 ————— 119 .

قال تعالى : ﴿ وَبَلَوْنَهُم بِالْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ ﴾⁽¹⁾ أي اختبرناهم .

(ثم يقال للخير بلاء وللشر بلاء ، لأن الاختبار الذي هو بلاء وابتلاء يكون بما قال الله

تعالى : ﴿ وَنَبَلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً ﴾⁽³⁾ أي نختبركم بالشر لنعلم كيف صبركم ؟ وبالخير لنعلم كيف شكركم ؟ فتنة : أي اختبارا ، ومنه يقال : اللهم لا تبلنا إلا بالي هي أحسن . أي لا تخترنا إلا بالخير ولا تخترنا بالشر⁽²⁾

(وأصل البلاء الاختبار ، وإذا نسب إليه تعالى يراد منه ما يجري مجرأه مع العباد على

المشهور ، وهو تارة يكون بالمسار ليشكروا ، وتارة بالمضار ليصبروا ، وتارة بهما ليرغبوا ويرهبا ، فإن حملت الإشارة ((ذلكم)) على المعنى الأول فالمراد بالباء المحسنة ، وإن حملت على الثاني

فالمراد به النعمة ، وإن على الثالث فالمراد به القدر المشترك كالامتحان الشائع بينهما⁽³⁾

(ولما كان الاختبار يوجب الضجر والتعب سمي بلاء كأنه يخلق (يُيلِي) النفس ، ثم شاع في اختبار الشر لأنه أكثر إعناتا للنفس ، وأشهر استعماله إذا أطلق أن يكون للشر ، فإذا أرادوا به الخير احتاجوا إلى قرينة أو تصريح .

فالباء يطلق غالبا على المصيبة التي تحل بالعبد لأن بها يختبر مقدار الصبر والأناة⁽⁴⁾ وبهذا كانت لفظة ((بلاء)) تحتمل المعنيين المحسنة والمنحة ، وهذا هو الإعجاز وهذا هو الذي أراده الله أن تختلف آراء العلماء في تفسير الآية ، وإن اختلاف آراء العلماء رحمة .

وهكذا البلاء يكون حسنا ويكون سيئا وأصله المحسنة ، والله عز وجل يليو عبده بالصنع الجميل ليتحقق شكره ، ويبلوه بالبلوى التي يكرهها ليتحقق صبره ، فقيل للحسن بلاء وللسيء بلاء .

﴿ وَفِي ذَلِكُمْ بَلَاءٌ مِّنْ رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴾ (ليكون إنها يختبركم بعدها أعظم نعمة ، ولتعلموا أن من صبر على أشد البلاء نال أعظم الجزاء سيما في دار الجزاء ، ثم هذا الإنعام يقتضي من الشكر

(1) من سورة الأعراف 7 : (الآية / 168) .

(2) تأويل مشكل القرآن ، لأبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة ، شرحه السيد أحمد صقر ، المكتبة العلمية ، بيروت لبنان ، ط 3 ، 1401 هـ 1981 م / ص 469 .

(3) روح المعاني للألوسي : ج 1 / 254 .

(4) التحرير والتنوير لابن عاشور : ج 1 / 477 .

ما يقصر معه كل عبادة شاقة ، وقد تحمل أوائلكم هذه المشاق من أعدائهم ، فما لكم لا تتحملون مشاق عبادته وقد خففها عليكم في هذه الشريعة)⁽¹⁾

الكلمة السادسة : صبغة ، من قوله تعالى :

﴿ صَبَّغَ اللَّهُ وَمَنْ أَحْسَنْ مِنَ اللَّهِ صَبَّغَ ﴾⁽²⁾

({ صبغة الله } يعني دين الإسلام استعار له هذا الاسم إشعاراً بأن الله تعالى هو الذي يفعل ذلك ، كما يفعل الصباغ في التوابل المصبوغ ، وقصد تعالى بذلك المشاكلة ، وذلك أن النصارى كانت إذا ولد لهم ولد غمسوه في ماء المعمودية ويقولون : الآن صار نصراانيا ، ويقولون : قد انصبغ بالنصرانية ، فقال تعالى ذلك مقابلة لقولهم ، فعبر عن ملة الإسلام بالصبغة ، وقيل : سميت الملة صبغة لأن النصارى امتنعوا من تطهير أولادهم بالختان ، وابتدعوا تطهيرهم بماء أصفر يصبغون به أولادهم ، وقيل : صبغة الله لما أوجده في الناس من العقول المتميزة به عن البهائم كالفطرة في قوله تعالى : ﴿ فَطَرَتِ اللَّهُ أَلَّى فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا ﴾⁽³⁾)

فكلمة صبغة لها معنيان : الأول الدين الإسلامي ، والثاني : اللون الذي يصبغ به هذا الدين صاحبه ، أي الأثر الذي يتركه هذا الدين فيمن التزم ونفعه في حياته . وهذا يعني أن الدين يرى أثره من الخارج مثل الصبغة للثوب يراها كل الناس ، (صبغ : تلوين الشيء بلون ما ، تقول : صبغته أصبعه ، ويقال للرطبة : قد صبغت ، فأما قوله تعالى : ﴿ صَبَّغَ اللَّهُ ﴾ ، فقال قوم : هي فطرته لخلقه . وقال آخرون : كل ما تُقْرِبُ ب_____ إلى الله تعالى صبغة)⁽⁵⁾ وهي التي صبغت لبيان أثره على الإنسان ، كظهور الصبغ على الثوب .

(1) تفسير القرآن المسمى بصير الرحمن ويسير المنان للعلامة علي بن أحمد المهاجمي ، عالم الكتب ، ط 2 ، 1403هـ . 43/ج 1983م .

(2) من سورة البقرة 2 : (الآية / 138) .

(3) من سورة الروم 30 : (الآية / 30) .

(4) مفردات ألفاظ القرآن للراغب الأصفهاني : 287 باختصار .

(5) معجم مقاييس اللغة ، لأبي الحسن أحمد بن زكريا بن فارس ، مطبعة البابي الحلبي ، ط 2 ، 1389هـ - 1969م : ج 3/331 مادة صبغ .

(والصبغة من صبغ كالمجلس من جلس ، وهي الحالة التي يقع عليها الصبغ ، والمعنى تطهير الله لأن الإيمان يطهر النفوس)⁽¹⁾

(الصبغة : هنا اسم للماء الذي يغسل به اليهود عنوانا على التوبة لمغفرة الذنب ، والأصل فيها عندهم الاغتسال الذي جاء فرضه في التوراة على الكاهن إذا أراد تقديم قربان كفاره عن الخطيئة عن نفسه أو عن أهل بيته ، والاغتسال الذي يغسله الكاهن أيضا في عيد الكفار عن خطايا بني إسرائيل في كل عام ، وعند النصارى الصبغة أصلها التطهير في نهر الأردن ، وهو اغتسال سنة النبي يحيى بن زكريا لمن يتوب من الذنب ، فكان يحيى يعظ بعض الناس بالتوبة ، فإذا تابوا أتوا فلما يغسلوا في نهر الأردن رمزا للتطهير الروحاني .

فقوله : ﴿ صِبَغَةُ اللَّهِ ﴾ رد على اليهود والنصارى معا ، أما اليهود فلأن الصبغة نشأت فيهم ، وأما النصارى فالأنها سنة مستمرة فيهم ، ولما كانت المعمودية مشروعة لهم لغلبة تأثير الحسوسات على عقائدهم ، رد عليهم بأن صبغة الإسلام الاعتقاد والعمل المشار إليهما بقوله : ﴿ قُولُوا إِنَّا مُؤْمِنُونَ ﴾⁽²⁾ إلى قوله : ﴿ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴾⁽³⁾ ، أي إن كان إيمانكم حاصلا بصبغة القسيس ، فإيماننا بصبغة الله وتلوينه أي تكييف الإيمان في الفطرة مع إرشاده إليه ، بإطلاق الصبغة على الإيمان استعارة علاقتها المشابهة ، وهي مشابهة خفية حسنها قصد المشاكلة ، والمشاكلة من المحسنات البديعية ، ومرجعها إلى الاستعارة ، وإنما قصد المشاكلة باعت على الاستعارة ، وإنما سماها العلماء المشاكلة لخفاء وجه التشبيه ، المشاكلة هي الإitan بالاستعارة لداعي مشاكلة لفظ لفظ وقع معه) وهكذا يظهر لنا أن كلمة صبغة لها دلالتان : دلالة الدين ودلالة الصبغ والأثر على الشخص المتدين ، مما أفصح ألفاظ القرآن وما أبلغها !

الكلمة السابعة : مصيبة من قوله تعالى :

(1) الكشاف للزمخشري : ج 1/316 .

(2) من سورة البقرة 2 : الآية / 136 .

(3) التحرير والتنوير لابن عاشور : ج 1/722 ب اختصار 724 .

﴿الَّذِينَ إِذَا أَصَبْتُهُم مُّصِيبَةً﴾⁽¹⁾

المصيبة هي الكارثة أو النازلة وهي أيضاً بمعنى : أصابت الهدف .

(يقال : أصاب كذا أي وجد ما طلب كقولك : أصابه السهم ، وأصاب السهم إذا وصل إلى

الرمي بالصواب ، والمصيبة أصلها في الرمية ثم اختصت بالنائبة قال الله تعالى :

﴿أَوَلَمَّا كُلِّمْتُكُمْ مُّصِيبَةً قَدْ أَصَبْتُمْ مِّثْلَهَا﴾⁽²⁾ قال تعالى :

﴿فَكَيْفَ إِذَا أَصَبْتُهُم مُّصِيبَةً﴾⁽³⁾

فأصل الكلمة أصاب يصيب فهو مصيب ، وللمرأة مصيبة أي أصابت الهدف ، فكأن الله عز وجل أراد بكلمة (مصيبة) المعنيين : الكارثة وإصابة الهدف ، قال الله تعالى :

﴿يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا﴾⁽⁵⁾ لنا ولم يقل علينا ، فأمر المؤمن كله خير ، قال الرسول

صلى الله عليه وسلم ((عجباً لأمر المؤمن إن أمره كله له خير ، وليس ذاك لأحد إلا المؤمن ، إن أصابته سراء شكر فكان خيراً له ، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيراً له))⁽⁶⁾ ، وهكذا يكون

البلاء على قدر الإيمان قال صلى الله عليه وسلم : ((يبتلى الرجل على حسب دينه ، فإن كان في دينه صلاة زيد في بلائه ، وإن كان في دينه رقة خفف عنه ، وما يزال البلاء بالعبد حتى يمشي

على ظهر الأرض ليس عليه خطيئة))⁽⁷⁾

(1) من سورة البقرة 2 : (الآية / 156) .

(2) من سورة آل عمران 3 : (الآية / 165) .

(3) من سورة النساء 4 : (الآية / 62) .

(4) مفردات ألفاظ القرآن للراغب الأصفهاني : 494 – 495 .

(5) من سورة التوبة 9 : (الآية / 51) .

(6) رواه مسلم : (كتاب الزهد / رقم الحديث 64 ، ج 18 ، ص 125) ، والدارمي : (رفاق / 61) ، وأحمد بن حنبل : (ج 5 / 24 ، رقم الحديث 20549 ، ص 1469) .

(7) رواه الدارمي : (رفاق / 67) ، وأحمد بن حنبل : (ج 1 / 172 ، رقم الحديث 1481 ، ص 138) ، قال حسين سليم أسد في تعليقه على الدارمي : إسناده حسن والحديث صحيح ، قال شعيب الأرنؤوط في تعليقه على مسنده أحمد : إسناده حسن .

(والمصيبة : النائبة وأصلها في الرمية ثم اختصت بالنائبة الفادحة ، وأصاب يستعمل في الخير والشر قال تعالى : ﴿ إِنْ تُصِبَّكَ حَسَنَةً تَسُوءُهُمْ وَإِنْ تُصِبَّكَ مُصِيبَةً يَقُولُوا قَدْ أَخْذَنَا آمَرَنَا مِنْ قَبْلٍ وَيَكْتُلُونَا وَهُمْ فَرِحُونَ ﴾⁽¹⁾ ، وقال بعضهم: الإصابة بالخير اعتبارا بالصواب وهو المطر ، وفي الشر اعتبارا بإصابة السهم وكلاهما يرجعان إلى أصل واحد⁽²⁾

(والمصيبة هي ما يصيب الإنسان من مكروره وأصلها الوصول ، من صاب السهم المرمى وأصابه وصل إليه)⁽³⁾

ومن هنا يتبين أن الله جل جلاله ذكر كلمة (مصيبة) لحكمة جليلة ، وهي أن المصيبة أصابت هدفها في هذا الإنسان المصاب ، والله الحكيم يعلم ما يصلح العباد فيصيّبهم بما ينفعهم ويربيهم في الدنيا والآخرة : ﴿ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ الْلَّطِيفُ الْحَبِيرُ ﴾⁽⁴⁾ .

الكلمة الثامنة : قروء من قوله تعالى :

﴿ وَالْمَطَّلَقَاتُ يَرَبَّضُنَّ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَاثَةٌ قُرُوءٌ ﴾⁽⁵⁾

لفظة (قروء) لها معنيان : الحيض والأطهار . (وإنما جعل الحيض قراءا والطهر قراءا: لأن أصل القراء في كلام العرب : الوقت . يقال : رجع فلان لقرئه ، أي لوقته الذي كان يرجع فيه ، فالحيض يأتي لوقت والطهر يأتي لوقت)⁽⁶⁾

(1) من سورة التوبة 9 : (الآية / 50) .

(2) عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ للسمين الحلي : 302 مادة صوب .

(3) تنوير الأذهان من تفسير روح البيان ، للشيخ إسماعيل حقي البروسوي ، تحقيق الشيخ محمد علي الصابوني ، دار القلم دمشق ، ط، 1408هـ 1988م : ج 1/122 .

(4) من سورة الملك 67 : (الآية / 14) .

(5) من سورة البقرة 2 : (الآية / 228) .

(6) تفسير غريب القرآن لابن قتيبة / 86—87 .

ولحكمة عظيمة قال الله : (ثلاثة قروء) ، ولم يقل : (ثلاث حيضات) أو (ثلاثة أطهار) حتى يكون هناك سعة في الحكم الفقهي في عدة المطلقة ، فيحصل منه رحمة بسبب اختلاف العلماء ، واللغة تحتمل هذين المعنين ، والقرآن أنزل باللغة العربية ، والمفسر يجب أن يكون عالماً باللغة العربية حتى يفسر القرآن الكريم .

(القرء عند أهل الحجاز الطهر ، وعند أهل العراق الحيض ، وكل قد أصاب ، لأن القرء خروج من شيء إلى شيء غيره ، فخرجت المرأة من الحيض إلى الطهر ومن الطهر إلى الحيض)⁽¹⁾

(واحدها قراء — بالفتح — وهو الحيض وقيل : هو الطهر ، وجمعه القليل أقرؤ على غير القياس ، قوله : (ثلاثة ق——روء) وكان القياس ثلاثة أ——راء لأن من الثلاثة إلى العشرة يضاف إلى الجمع القليل)⁽²⁾

قال تعالى : ﴿يَرَبَّصُنَ إِنْفَسِهِنَ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ﴾ أي مدة ثلاثة قروء .

(واختلفوا في اشتتاقي الأقراء على قولين : أحدهما : أن القرء الاجتماع ، ومنه أخذ اسم القرآن لاجتماع حروفه ، وقيل قدقرأ الطعام في شدقه وقرأ الماء في حوضه إذا جمعه ، فمن جعل القرء اسمًا للحيض سماه بذلك لاجتماع الدم في الرحم ، ومن جعله اسمًا للطهر فلاجتماعه في البدن .

والقول الثاني : أن القرء الوقت ، بحسب الشيء المعتمد بحيئه لوقت معلوم ، ولإدبار الشيء المعتمد إدباره لوقت معلوم ، فمن جعل القرء اسمًا للحيض فلأنه وقت خروج الدم المعتمد ، ومن جعله اسمًا للطهر فلأنه وقت احتباس الدم المعتمد)⁽³⁾

(القرء : هو لفظ مشترك بين الحيض والطهر بإجماع أهل اللغة ، فالقراء عند أهل الحجاز : الطهر ، وعند أهل العراق الحيض ، وكل قد أصاب لأن القرء خروج من شيء إلى شيء ، وقال

(1) مفاتح فهم القرآن لأحمد علي الإمام / 96 .

(2) غرائب النفسير وعجائب التأويل لمحمود بن حمزة الكرماني ، دار القبلة للثقافة الإسلامية ، جدة ، مؤسسة علوم القرآن ، بيروت ، ط ، 1408هـ—1988م / ص 214 — 215 .

(3) النكت والعيون للماوردي : ج 1 / 290 — 292 .

ابن السكّيت⁽¹⁾ : القرء : الطهر والحيض وهو من الأضداد ، وإنما أطلق على كل واحد منها ، لأن كل اسم موضوع لمعنىين معا يطلق على كل واحد منها كالمائدة للخوان والطعام ، ثم قد يسمى كل واحد منها بانفراده بالمائدة ، وليس القرء اسما للطهر مجردا ، ولا للحيض مجردا ، بدلالة أن الطاهر التي لم تر الدم لا يقال لها ذات قروء ، وكذا الحائض التي استمر بها الدم⁽²⁾

الكلمة التاسعة : سعيا ، من قوله تعالى :

﴿ثُمَّ أَجْعَلْتَ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزَءًا ثُمَّ أَدْعَهُنَّ يَا تَيَّنَاكَ سَعِيًّا﴾⁽³⁾ ({سعيا} ساعيات مسرعات في طيراهن أو في مشيهن على أرجلهن)⁽⁴⁾

قال الله (سعيا) ولم يقل طيرانا أو مشيا لأن ذلك أبعد من الشبهة لأنها لو طارت لظن ظان أنها غير تلك الطيور التي أمر سيدنا إبراهيم عليه السلام أولا أن يضمها إليه ليتأملها جليا قبل أن يذبحها ثم ليتأكد بعد الإحياء أنها نفسها ، وأن أرجلها سليمة غير عرجاء .

وقيل السعي : الحركة الشديدة ، ثم سعيا وليس ساعين أو ساعيات أي أنهن أصبحن كلهن سعيا ليس فيهن شيء يثقلهن . (إذ هي مشية الجد الراغب فيما يمشي إليه ، فكان من المبالغة أن رأى إبراهيم جدها في قصده وإحاجة دعوته ، ولو جاءته مشيا لزالت هذه القرينة ، ولو جاءت طيرانا لكن ذلك على عرف أمرها ، فهذا أغرب منه)⁽⁵⁾

({ثُمَّ أَدْعَهُنَّ}) قل لهن تعالين بإذن الله { يَا تَيَّنَاكَ سَعِيًّا } مصدر في موضع الحال ، أي ساعيات مسرعات في طيراهن أو في مشيهن على أرجلهن ، وإنما أمره بضمها إلى نفسه بعد

(1) ابن السكّيت : يعقوب بن إسحاق أبو يوسف ابن السكّيت ، إمام في اللغة والأدب أصله من خوزستان ، ولد 186هـ توفي 244هـ . ينظر الأعلام ج 8/ 195 .

(2) الكليات لأبي البقاء الكفووي / 730 مادة قراء .

(3) من سورة البقرة 2 : الآية / 260 .

(4) الكشاف للزمخشري : ج 1/ 159 .

(5) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ، للقاضي أبي محمد عبد الحق بن غالب بن عطيه الأندلسبي ، تحقيق : عبد السلام عبد الشافي محمد ، دار الكتب العلمية ، بيروت لبنان ، ط ، 1413هـ - 1993م : ج 1/ 355 .

أخذها ليتأملها ويعرف أشكالها وهيئةها وحالها لثلا تلتبس عليه الأحياء ولا يتورّم أنها غير تلك ⁽¹⁾

وفي اللغة العربية إذا ذكر المصدر كان أبلغ في المعنى ،
مثل : رجُل صَوْمٌ يعني كثير الصيام ، أي أنه صار كله صياما ، أو رجل نُومٌ يعني كثير النوم وهكذا ، (فإنما هي إقبال وإدبار ، وما كان مثله من قيل أن من وصف بالمصدر فقال : هذا رجل زَوْرٌ وصَوْمٌ ونحو ذلك ، فإنما ساعَ ذلك له لأنَّه أراد المبالغة ، وأن يجعله هو نفس الحدث لكثرته ذلك منه) ⁽²⁾ فكلمة (سعيا) حولت الطيور إلى سعي فقط (وقيل المراد بالسعي الإسراع والعدو وقيل : المشي ، والحكمة في سعي الطيور إليه دون الطيران ، لأن ذلك أبعد من الشبهة لأنَّها لو طارت لتورّم متورّم أنها غير تلك الطيور أو أنَّ أرجلها غير سليمة ، فنفي الله تعالى هذه الشبهة بقوله : { يَأْتِينَكَ سَعِيًّا }) ⁽³⁾

إذن الكلمة (سعيا) كان تحتها معنيان : المعنى الأول : المشي السريع ، والمعنى الثاني : هو تفحص سيدنا إبراهيم عليه السلام وتأكده من أن هذه الطيور هي نفسها التي ذبحها بيده عليه السلام ولو قال { طيرانا } لم يتم هذا المعنى والله أعلم .

الكلمة العاشرة : نباتا ، من قوله تعالى : ﴿ فَقَبَّلَهَا رَبِّهَا يَقْبُولُ حَسَنٌ وَأَنْبَتَهَا نَبَاتًا ﴾

حسَنًا ⁽⁴⁾ قال الله { نباتا } ولم يقل { إنَّباتا } فذكر الله اسم المصدر وليس المصدر ، والمصدر اسم الحدث الجاري على الفعل ويشتمل على كل حروف الفعل ، أما إذا نقص عن حروف الفعل يسمى اسم مصدر ، لأن الفعل أنت مصدره إنَّباتا ، والفعل نبت مصدره نباتا ، لأن الله لو قال : { أَنْبَتَهَا إِنَّباتا } فهو المبت سبحانه إذا ولا دخل ولا فضل لمريم عليها

(1) تفسير النسفي : ج 1/ 128 .

(2) الخصائص لأبي الفتح عثمان بن جني ، تحقيق محمد علي النجار ، عالم الكتب ، بيروت ، ج 3/ 189 .

(3) تفسير الخازن : (ج 1/ 193) .

(4) من سورة آل عمران 3 : الآية / 37 .

السلام ، ولكن حين قال : نباتا جعل الله للسيدة مريم عليها السلام فضلا حيث جعلها تتجاوب مع هذا الإنبات ، فأظهر فضلها ومعدتها الكريم بهذا التجاوب فبنت نباتا حسنا متباوحة حسب فضلها وكرمها .

(المصدر هو الاسم الذي يدل على الحدث المجرد من غير ارتباط بزمان أو مكان أو بذات أو بعلمية ، ومدلوله الحقيقي أمر معنوي محض يدل عليه اللفظ المعروف ، وتسميته مصدرًا مجاز ، ولا بد من ناحيته اللغوية أن يشتمل على جميع الحروف الأصلية والزائدة في فعله لفظاً أو تقديرًا ، وقد يزيد عنها كأكراها ، ولا يمكن أن ينقص ، أما اسم المصدر فهو كالمصدر في معناه من حيث دلالته على الحدث المجرد ، ويكون علم جنس ، وينخالفه في لفظه بنقص حروفه عن حروف فعله)⁽¹⁾

(ومعنى {وَأَنْبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا} أنشأها إنشاء صالحاً ، وذلك في الخلق ونزاهة الباطن ، فشبّه إنشاؤها وشباها بنبات النبات الغض على طريق الاستعارة ، {ونبات} مفعول مطلق لأنبـت وهو مصدر نبت وإنما أجري على أنبـت للتخفيف)⁽²⁾

({وَأَنْبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا} مجاز عن التربية الحسنة ، قال ابن عطاء⁽³⁾ : مما كانت ثمرته مثل عيسى فذاك أحسن النبات ، ونباتا مصدر على خلاف الصدر ، أو التـ قديـر : فـ بـتـ نـباتـا)⁽⁴⁾

فالله عز وجل أحسن تربية السيدة مريم وكانت تربة خصبة ومحلاً فاضلاً لتلك التربية ، وكان لها دور رائع في مواجهة نفسها على طاعة الله ، ولذلك استحقت هذا المدح وذاك الفضل فهي المرأة الوحيدة التي ذكرت في القرآن الكريم .

(1) أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك ، لجمال الدين عبد الله الأنباري ، تحقيق يوسف الشقيق محمد البغاعي ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع . ج3/234 .

(2) التحرير والتنوير لابن عاشور : ج3/88 .

(3) ابن عطاء : أحمد بن عبد الكـريم أبو الفضـل تاج الدين ابن عطاء الله الاسكندرـي من العلمـاء تـوفي 709ـهـ يـنظر الأعلام ج1/221ـ222 .

(4) تفسـير النـسـفي : ج1/152 .

وبآية أخرى يتضح المقصود أكثر قال الله تعالى : ﴿ وَيُرِيدُ الشَّيْطَنُ أَن يُضْلِلُهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا ﴾

^(١) لم يقل الله : { يضلهم إضلالا } وإنما قال : ضالا لئوكد ويثبت أن للكافار

والمنافقين دوراً كبيراً في هذا الضلال ، فنفوسهم سيئة وقلوبهم مريضة فهي مرتع خصب لإضلال الشيطان وليس الشيطان هو السبب الوحيد في الضلال ، وهكذا يتبيّن لنا سر من أسرار القرآن الكثيرة لأنَّه كلام الله وكفى .

(والقبول مصدر من : { قبلها ربه } فأخرج المصدر على غير لفظ الفعل . ولو كان على لفظه لكان : { فتقبلها ربه تقبلاً حسناً } وقد تفعل العرب ذلك كثيراً لأن يأتوا بالمصادر على أصول الأفعال وإن اختلفت ألفاظها في الأفعال بالزيادة ، وذلك كقولهم :

{ تكلم فلان كلاما } ولو أخرج المصدر على الفعل لقيل : { تكلم فلان تكلما } ومنه قوله:
{ وَأَنْبَتَهَا بَيْتًا حَسَنًا } ولم يقل { إِنْبَاتًا حَسَنًا })⁽²⁾

(وللمفسرين في معنى النبات الحسن قولان : أحدهما : أنه كمال النشوء . قال ابن عباس ⁽³⁾ : كانت تنبت في اليوم ما ينبت المولود في عام . والثاني : أنه ترك الخطايا . قال قتادة ⁽⁴⁾ : حدثنا أنها كانت لا تصيب الذنوب كما يصيب بنو آدم) ⁽⁵⁾

وهذا القولان يؤيدان المعنيين المذكورين سابقاً حيث أن القول الأول وهو كمال الشوء يؤيد المعنى الأول وهو إنبات الله للسيدة مريم ، والقول الثاني وهو ترك الخطايا يؤيد المعنى الثاني وهو مجاهدة السيدة مريم نفسها في سبيل طاعة الله والله أعلم .

. (1) من سورة النساء 4 : (الآية / 60) .

. 240/3 ج (2) تفسير الطبرى

(3) عبد الله بن عباس : بن عبد المطلب بن هاشم يكفي أبا العباس ، ولد قبل الهجرة بثلاث سنين ، دعا له الرسول الكريم بالفقه في الدين وتعلم التأویل ، توفي 68هـ . ينظر الاستيعاب في أسماء الأصحاب لابن عبد البر ج 1 / 559 — 562 .

(4) قتادة : بن دعامة السدوسي أبو الخطاب البصري الأكمه كان تابعاً وعالماً كبيراً ولد 60هـ وتوفي 117هـ . ينظر وفيات الأعيان ج 4/85—86 ، والأعلام ج 5/189 ، وتمذيب التهذيب ج 8/351 — 356 .

(5) زاد المسير في علم التفسير لابن الجوزي : ج 1/ 378 .

الكلمة الحادية عشرة : ذائقه ، من قوله تعالى :

﴿كُلُّ نَفِسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ﴾⁽¹⁾

(ذائقه) تفيد معنيين : المعنى الأول : الذوق وهو يفيد الكمية القليلة ، فإذا ذاق الإنسان عسلا فإنه يعني أنه أخذ منه شيئاً قليلاً ليذوقه ، والمعنى الثاني : الاتصال والاتصال ، فعندما يذوق الإنسان شيئاً يكون في فمه يذوقه ويتحسسه ، فالله عز وجل عندما قال : ﴿كُلُّ نَفِسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ﴾ أفاد أن كمية قليلة من الموت تكفي في مفارقة الروح للجسد وهذا هو الذوق ، وأفاد أن الموت يتحول إلى شيء يكون في الفم يذوقه ، يعني أن الموت ليس خيالا وإنما هو حقيقة تذاق .

(وأصل الذوق : وجود طعم الشيء بالفم ، وأصله : تناول ما يقل دون ما يكثر فإن ما يكثر يقال فيه أكل⁽²⁾)

(والذوق عبارة عن قوة مرتبة في العصبة البسيطة على السطح الظاهر من اللسان ، من شأنها إدراك ما يرد عليه من خارج الكيفيات الملمسة وهي الحرارة والرطوبة والبرودة والبيوسة . والذوق في الأصل : تعرف الطعام ثم كثر حتى جعل عبارة عن كل تجربة . يقال : ذقت فلاناً و ذقت ما عنده ، وقد استعمل الإذاقة في الرحمة والإصابة في مقابلتها ، قال تعالى : ﴿وَإِذَا أَذَقْنَا النَّاسَ رَحْمَةً﴾⁽³⁾)

وقال : ﴿وَإِن تُصِبُّهُمْ سَيِّئَةً﴾⁽⁴⁾ تبيها على أن الإنسان بأدنى ما يعطى من النعمة يبطر ويأشر⁽⁵⁾)

(1) من سورة آل عمران 3 : (الآية / 185) .

(2) عمدة المخاطب في تفسير أشرف الألفاظ للسمين الحلبي / 188 مادة ذوق .

(3) من سورة يونس 10 : (الآية / 21) .

(4) من سورة الشورى 42 : (الآية / 48) .

(5) الكليات لأبي البقاء الكفووي / 462 مادة ذوق .

الكلمة الثانية عشرة : نشوزا ، من قوله تعالى :

﴿ وَإِنْ أُمْرَأٌ حَافَتْ مِنْ بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا ﴾⁽¹⁾

(النشر : المكان المرتفع كالنشاز ، والمرأة تنسُر وتتشيز نشوزا استعصت على زوجها وأبغضته ، وبعلها عليها ضربها وجفاتها وقلب ناشز ارتفع عن مكانه رعبا ، وأنشر عظام الميت رفعها إلى مواضعها وركب بعضها على بعض ، والنثر محركة : المسن القوي)⁽²⁾

فكلمة النشوز أعطت هذين المعنين وهما الترفع والارتفاع ، مع البغض والكره

ويعبر عن الإحياء بالنشر والإنشاز لكونه ارتفاعا بعد اتساع ، قال تعالى : **﴿ وَانْظُرْ إِلَى**

الْعِظَامِ كَيْفَ تُنْشِرُهَا⁽³⁾ ، ونشوز المرأة : بغضها لزوجها ورفع نفسها عن طاعته وعينها عنها إلى غيره)⁽⁴⁾

(والبعل هو السيد وسمى الزوج بعلا لأنه سيد المرأة ، نشوزا يعني بغضا ، وقيل : هو ترك مضاجعتها ، وأصله من النشر وهو المرتفع من الأرض ، والنشوز قد يكون من الزوجين ، وهو أن يكره كل واحد منهما صاحبه ، فنشوز الزوج هو أن يعرض عن المرأة وهو قوله تعالى : {أَوْ إِعْرَاضًا }⁽⁵⁾

({ نُشُوزًا } أي استعلاء وارتفاعا بنفسه عنها إلى غيرها لسبب من الأسباب ، ويطلق على كل من صفة أحد الزوجين)⁽⁶⁾

(والنشوز يكون من قبل المرأة والرجل ، والنشوز هاهنا من الرجل لا من المرأة ، ونشوزه أن يكون تحته المرأة الكبيرة فيريد أن يتزوج عليها شابة فيؤثرها في القسمة والجماع ، فينبغي له

(1) من سورة النساء 4 : (الآية / 128) .

(2) القاموس المحيط للفيروز أبادي : 201 مادة نشر .

(3) من سورة البقرة 2 : (الآية / 259) .

(4) مفردات ألفاظ القرآن للراغب الأصفهاني : 806 مادة نشر .

(5) تفسير الخازن : ج 1 / 409 .

(6) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثانى للألوسي : ج 5 / 161 .

أن يقول للكبيرة : إني أريد أن أتزوج عليك شابة وأوثرها عليك ، فإن هي رضيت صلح ذلك له ، وإن لم ترض فلها من القسمة ما للشابة⁽¹⁾

وهكذا اختار الله لفظة (نشوزا) لتعطي معنى العلو والترفع ، ولتعطي معنى آخر هو البعض والكره ، وينتج عنه سوء العشرة ، وهذا هو الإعجاز البياني حيث لا توجد لفظة في اللغة العربية تؤدي هذين المعنين غير لفظة (نشوزا) فما أجمل ألفاظ القرآن وما أبلغها وأفصحها !!

({ نشوزا } تجافيا عنها وترفعا عن صحبتها كراهة لها ومنعا لحقوقها)⁽²⁾

({ نشوزا } : إن خافت امرأة من زوجها ترفاها ونبوا ملل ، أو إعراضاً لموجدة أو بذل فلا إثم في أن يتصالحا على أن تترك له من مهرها أو بعض ثاثتها ما يتراضيان به)⁽³⁾

(والنشر الرفع ، ومنه نشوز المرأة على زوجها ، وهو ترفعها عليه وعدم امتناعها أمره ،

ومنه قوله تعالى : ﴿وَالَّتِي تَحَاوُنَ نُشُوزْهُر﴾⁽⁴⁾ ، والنشر من الأرض المرتفع)⁽⁵⁾

الكلمة الثالثة عشرة : شرعة من قوله تعالى :

﴿لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شَرِيعَةً وَمِنْهَاجًا﴾⁽⁶⁾

الشرعية : الدين والمنهج : الطريق (الشرعية في اللغة : المشرع والمورد إلى الماء ، ويقال : شرعت الباب إلى الطريق وأشرعته : أي فتحته على الشارع وهو الطريق الواسع ، جمعه شوارع . واستعير الشرع والشرعية لما شرعه الله تعالى لعباده)⁽⁷⁾

(1) معان القرآن لأبي زكريا يحيى الفراء ، عالم الكتب ، ط 3 ، 1403 هـ 1983 م : ج 1 / 290 .

(2) تفسير البيضاوي : 129 .

(3) درة الترتيل وغرة التأويل لأبي عبد الله محمد الإسکافي ، اعنى به الشيخ خليل مأمون شيخا ، دار المعرفة ، بيروت لبنان ، ط ، 1422 هـ 2002 م 59 / .

(4) من سورة النساء 4 : (الآية / 34) .

(5) عمدة المخاطب في تفسير أشرف الألفاظ للسمين الحلي / 576 مادة نشر .

(6) من سورة المائدة 5 : (الآية / 48) .

(7) الإعجاز البياني للقرآن ومسائل ابن الأزرق لعائشة عبد الرحمن بنت الشاطئ / 312 .

(وأصل الشرع : نهج الطريق الواضح نحو : شرعت له طريقا ، والشرع : مصدر شرع ، ثم استعير للطريق النهج ، فقيل : شرع وشريعة وشرعه ومنه قوله تعالى : ﴿لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَا جَأَجَ﴾⁽¹⁾ ، واستعير ذلك للطريقة الإلهية من الدين ، وقيل : سميت الملة شريعة وشرعها لظهورها⁽²⁾

(شرع : الشين والراء والعين أصل واحد وهو شيء يفتح في امتداد يكون فيه ، من ذلك الشريعة وهو مورد الشاربة الماء ، واشتق من ذلك الشريعة في الدين والشريعة ، قال الله تعالى : ﴿لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَا جَأَجَ﴾ ، وقال سبحانه حانه : ﴿إِذْ تَأْتِيهِمْ جَعَلْنَاكَ عَلَى شَرِيعَةٍ مِنَ الْأَمْرِ﴾⁽³⁾ ، وقيل في التفسير في قوله تعالى :

حيثاً هم يوم سُبْتُهُمْ شُرَّعًا⁽⁴⁾ إنما الرافعه رؤوسها⁽⁵⁾

وهكذا اختار الله لفظة { شرعة } و { شريعة } للدين لتحقق المعنين : المعنى الأول : الامتداد والارتفاع ، والمعنى الثاني : الارتواء والتطهر ، وهكذا الدين فعلاً واسع ومتداً ، لا تنتهي أحکامه وعجائبها ، ويروي ويرفع من ينهل من معينه ويتمسك به .

فالشرع هي الطريق الموصى إلى الماء ، والشريعة سبب الحياة الأبدية ، لذلك سمى الله الدين شريعة وشريعة ، فالماء والشريعة هما للري والتطهر .

(أما الشريعة فهي الشريعة وهي الطريقة الظاهرة ، وكل ما شرعت فيه من شيء فهو شريعة ، ومن ذلك قيل لشريعة الماء شريعة لأنها أظهر طرقه إليه)⁽⁶⁾

(1) من سورة المائدة 5 : (الآية / 48) .

(2) عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ للسمين الحلبي : 264 ————— 265 مادة شرع .

(3) من سورة الجاثية 45 : (الآية / 18) .

(4) من سورة الأعراف 7 : (الآية / 163) .

(5) معجم مقاييس اللغة لابن فارس : 262 ————— 263 مادة شرع .

(6) النكت والعيون للماوردي : ج 2 / 45 .

(والشرعية في اللغة : الطريق الذي يتوصل منه إلى الماء ، والطريقة الظاهرة التي يتوصل بها إلى النجاة ، وقد شرع لهم يشرع شرعاً أي سن ، والشارع : الطريق الأعظم ، والشريعة ما شرع الله لعباده من الدين)⁽¹⁾

فالشرعية هي مورد الإبل إلى الماء الجاري ، ثم استعير لكل طريقة موضوعة بوضع إلهي ثابت من نبي من الأنبياء .

وهكذا سمى الله الدين شريعة فهي طريق موصل إلى الماء حقيقة ، فماء سبب الحياة والدين سبب الحياة .

(قال بعضهم : سميت الشريعة شريعة الماء من حيث إن من شرع فيها على الحقيقة المصدقة روي وتطهر ، قال : وأعني بالري ما قال بعض الحكماء : كنت أشرب فلا أروى ، فلما عرفت الله تعالى رويت بلا شرب ، وبالتطهر ما قال تعالى : ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيَطْهِرُكُمْ تَطْهِيرًا﴾⁽²⁾)

(وكل ما شرعت فيه من شيء فهو شريعة ، ومن ذلك قيل لشريعة الماء { شريعة } لأنه يُشرع منها إلى الماء ، ومنه سميت شرائع الإسلام شرائع لشروع أهله فيه ، ومنه قيل للقوم إذا تساووا في الشيء { هم شرعاً } سواء)⁽³⁾

(والشرعية هي الطريقة إلى الماء ، شبه بها الدين لأن طريق إلى ما هو سبب الحياة الأبدية)⁽⁴⁾
 (والشرعية هي في الأصل : الطريق الظاهر الذي يوصل منه إلى الماء ، والمراد بها الدين ، واستعمالها فيه لكونه سبيلاً موصلاً إلى ما هو سبب للحياة الأبدية ، كما إن الماء سبب للحياة الفانية ، أو لأنه طريق إلى العمل الذي يظهر العامل عن الأوساخ المعنوية ، كما أن الشريعة طريق إلى الماء الذي يظهر مستعمله عن الأوساخ الحسية)⁽⁵⁾

(1) مفاتح فهم القرآن لأحمد علي إمام / 217 .

(2) من سورة الأحزاب 33 : (الآية / 33) .

(3) تفسير الطبرى : ج 4 / 609 .

(4) تفسير البيضاوى : 152 .

(5) روح المعانى فى تفسير القرآن العظيم والسبع المثانى للألوسى : ج 6 / 153 .

(والشريعة في كلام العرب : المشرعة التي يشرعها الناس فيشربون ويستقون منها ، وقيل :
 الشرعية هي الطريقة ، ثم استعير ذلك للطريقة الإلهية المؤدية إلى الدين)⁽¹⁾
 والشريعة والشريعة : الماء الكثير من نهر أو واد ، يقال : شريعة الفرات ، وسميت الديانة
 شريعة على التشبيه ، لأن فيها شفاء النفوس وطهارتها ، والعرب تشبيه بالماء وأحواله كثيرا)⁽²⁾

الكلمة الرابعة عشرة : غمرات من قوله تعالى :

﴿وَلَوْ تَرَى إِذ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ﴾⁽³⁾ الغمرة هي ما يعم
 ويغمر من الماء فلا يترك للمغمور ملخصا ، فهو قد أحاطت به أم——واج متلاطمـة
 من كل اتجاه . فكيف ستكون نفسه ؟! وهذا شأن الظالم حين تغمره سكرات
 الموت .

(والغمرة معظم الماء الساترة لمقرها ، وجعل مثلا للجهالة التي تغمر صاحبها ، قال الله
 تعالى : ﴿فَدَرْهُمٌ فِي غَمَرَاتِهِمْ حَتَّى حِينٍ﴾⁽⁴⁾ ، وقال تعالى : ﴿الَّذِينَ هُمْ فِي غَمَرَةٍ

سَاهُونَ﴾⁽⁵⁾ ، وقيل للشدائد غمرات . قال تعالى : { في غَمَرَاتِ الْمَوْتِ }⁽⁶⁾
 والغمرة أصلها الشيء الذي يغمر الأشياء فيعطيها ، ثم وضعت في موضع الشدائـد والمكارـه ،
 فكلمة غمرات تعطي المعنى : معنى الشيء الذي يعطي ويعـم ، ومعنى الشدة والمكارـه والمصاعـب
 التي يعنيها الظـالـمون أثـنـاء سـكـراتـ الموـت ، فالـكلـمة القرـآـنية الكـرـيمـة أـعـطـت وـصـفـا زـائـدا وـهـو
 الغمرة في الماء تشـبـيهـا لـحـالـةـ الـذـيـ يـحـضـرـ وـيـعـاـينـ سـكـراتـ الموـتـ كـأـنـهـ فيـ بـحـرـ لـجـيـ .

(وسميت الشدة غمرة لأنها تغمر القلب أي تركـهـ وتـعـطـيهـ ، ومنـهـ اـشـتـدـ مـرضـهـ حـتـىـ غـمـرـ عـلـيـهـ
 أي أغـمـيـ عـلـيـهـ)⁽⁷⁾

1) تفسير الخازن : ج 1/ 470 .

2) التحرير والتنوير لابن عاشور : ج 5/ 125 .

3) من سورة الأنعام 6 : (الآية / 93) .

4) من سورة المؤمنون 23 : (الآية / 54) .

5) من سورة الذاريات 51 : (الآية / 11) .

6) مفردات ألفاظ القرآن للراغب الأصفهاني : 614 مادة غـمـرـ .

7) عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ للسمين الحلبي / 402 مادة غـمـرـ .

غمرات الموت أي شدائده من غمره إذا غشيه .

(والغمرات : جمع غمرة ، وغمرة كل شيء كثرته ومعظمها ، وأصله : الشيء الذي يغمر الأشياء فيعطيها)⁽¹⁾

(والغمرة هي المصيبة المبهمة المذهلة ، وهي مشبهة بغمرة الماء)⁽²⁾

إنما غمرات وليس غمرة ، فليستعد كل إنسان للخلاص من هذه الغمرات والمصائب المذهلة بالأعمال الصالحة ، فإن فتنة الممات وسوء الخاتمة — والعياذ بالله — من أسوأ الغمرات التي يخاف منها كل مسلم ، فاللهم ثبتنا بقولك الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة ، وارزقنا حسن الختام بلا إله إلا الله .

(والغمرة : ما يغمر أي يغم من الماء فلا يترك للمغمور مخلصا ، وشاعت استعارتها للشدة تشبّهها بالشدة الحاصلة للغريق حين يغمر الوادي أو السيل حتى صارت الغمرة حقيقة عرفية في الشدة الشديدة .

وجمع الغمرات يجوز أن يكون لتعدد الغمرات بعدد الظالمين ، فتكون صيغة الجمع مستعملة في حقيقتها ، ويجوز أن يكون لقصد المبالغة في تهويل ما يصيبهم بأنه أصناف من الشدائدين لتعدد أشكالها وأحوالها لا يعبر عنها باسم مفرد . فيجوز أن يكون هذا وعدا بعذاب يلقونه في الدنيا في وقت النزع ، ولما كان للموت سكريات جعلت غمرة الموت غمرات .

{ وفي } للظرفية المحازية للدلالة على شدة ملابسة الغمرات لهم ، حتى كأنها ظرف يحيط بهم ، فالموت على هذا الوجه مستعمل في معناه الحقيقي ، وغمراته هي آلام النزع⁽³⁾ ويحيط بهم ، وهذا اختيار الله لفظة (غمرات) لتدوي تلك المعاني ، ولو لا هذه اللفظة ما كانت هذه المعاني .

الكلمة الخامسة عشرة : الجمل من قوله تعالى :

(1) تفسير الطبرى : ج 5 / 270 .

(2) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز لابن عطية : ج 2 / 323 .

(3) التحرير والتنوير لابن عاشور : ج 6 / 222 ————— 223 .

(حَتَّىٰ يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخَيَاطِ)⁽¹⁾

كلمة الجمل لها معنيان : الأول : البعير المعروف . والثاني : الحبل الغليظ . فعلى المعنى الأول حتى يدخل البعير في ثقب الإبرة أي لا يدخلون الجنة أبداً لأنه علقه بما لا يكون .
(وَالْجَمَلُ بُوزَنِ الْحَبَلِ وَمَعْنَاهَا : الْقَلْسُ الْغَلِيظُ لِأَنَّهُ حَبَالٌ جَمَعَتْ وَجَعَلَتْ جَمْلَةً وَاحِدَةً)⁽²⁾
إذن الكلمة الجمل على وزن حَبَل جمع حبال .

(حَتَّىٰ يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخَيَاطِ)⁽³⁾ أي حتى يدخل ما هو مثل في عظم الجرم وهو البعير فيما هو مثل في ضيق المسلك ، وهو ثقبة الإبرة وذلك مما لا يكون ، وكذا ما يتوقف عليه ، والجمل كالحبل وهي الحبل الغليظ من القنب وقيل : حل السفينة (حَلَ السَّفِينَةُ)⁽³⁾
والجمل في اللغة العربية له معنيان : الجمل المعروف وكذلك القلس الغليظ لأنه حبال جمعت وجعلت جملة واحدة .

الكلمة السادسة عشرة : عمل من قوله تعالى :

(قَالَ يَنْتُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ)⁽⁴⁾

عمل مصدر من عمل يعمل عملاً ، أي تحول ابن سيدنا نوح عليه السلام إلى كتلة عمل غير صالحة ، ولم يبق فيه شيء من البشرية والإنسانية .
وهكذا الإنسان إن زكي نفسه وطهرها وجاحد في طاعة الله أصبح ينافس الملائكة في علياء السماء ، أما إن دسي نفسه في المعاصي أصبح خبيث النفس بل تردى إلى درجة البهيمية أو أقل .

(1) من سورة الأعراف 7 : (الآية / 40) .

(2) الكشاف للزمخشري : ج 2 / 62 .

(3) تفسير البيضاوي : 205 .

(4) من سورة هود 11 : (الآية / 46) .

قال الله تعالى : ﴿أُولَئِكَ كَلَّا لَنْعِنْ بَلْ هُمْ أَضَلُّ﴾⁽¹⁾ ، وقال جل شأنه : ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّنَا ﴿١﴾ وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّنَا﴾⁽²⁾ .

({ إنه } لعدم كون شيء من أعماله صالحاً كأنه في نفسه { عمل غير صالح } فلا يستحق تأخير العذاب لاستيفاء أجر عمل صالح في الدنيا)⁽³⁾

إذن من كثرة عمله غير الصالح تحول إلى عمل غير صالح ، فكل أعماله غير صالحة (فجعلت نفسه ذلك العمل لكثرة ذلك منه كما يقال : الشعر زهير والعلم فلان إذا كثر منه)⁽⁴⁾ { إنه عمل غير صالح } أي إنه ذو عمل غير صالح ، ولم يقل عمل فاسد مع أنهما متلازمان لإلياذان بأن النجاة إنما كانت بسبب الصلاح .

({ إنه عمل غير صالح } أصله إنه ذو عمل غير صالح ، فجعل نفس العمل مبالغة ، وإيثار غير صالح على فاسد ، إما لأن الفاسد ربما يطلق على ما فسد ، ومن شأنه الصلاح فلا يكون ناصا فيما هو من قبيل الفاسد المخالق ، والمظالم ، وإما للتلويع بأن نجا إنما هي لصلاحه)⁽⁵⁾ فلفظة { عمل } أفادت المعنيين : المعنى الأول : عمل عملاً غير صالح ، والمعنى الثاني : أنه ليس فقط عمل بل تحول إلى كتلة عمل غير صالح مثلاً نقول : رجل صدُّقَ أي كله صدق وتحول إلى صدق كله والله أعلم .

الكلمة السابعة عشرة : مثواه من قوله تعالى :

(1) من سورة الأعراف 7 : (الآية / 179) .

(2) من سورة الشمس 91 : (الآيات / 9 - 10) .

(3) تفسير القرآن المسمى تبصیر الرحمن وتبصیر المنان لعلي بن أحمد المهايبي / 345 .

(4) تفسير الخازن : ج 2 / 335 .

(5) تفسير أبي السعود المسمى إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت لبنان ، ط 4 ، 1414هـ 1994م : ج 4 / 212 .

(١) ﴿ وَقَالَ اللَّذِي أُشْتَرَنَّهُ مِنْ مِصْرَ لِأَمْرَأِهِ أَكْرِيمٍ مَّوْنَهُ ﴾

(قال ابن قتيبة : {أكرمي مثواه } يعني أكرمي منزله ومقامه عندك ، من قولك : ثوابت بالمكان إذا أقمت به . وقال الزجاج : أحسني إليه في طول مقامه عندنا)⁽²⁾

والثواب : الإقامة مع الاستقرار . (يقال : ثَوَى يَشُوِي ثَوَاء ، قال عز وجل : ﴿ وَمَا كُنْتَ ثَاوِيَا فِتْ أَهْلِ مَدِينَكَ ﴾^(٤) ، وقال : أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثَوَّي لِلْمُتَكَبِّرِينَ^(٥))

وهكذا يتبيّن لنا أنَّ الكلمة الشوأ تعني معينين : الإقامة ، والمعنى الثاني : الاستقرار . وفي هذه اللحظة معنى المبالغة في الإكرام حيث إذا أكرمت مكان إقامته وهو { المشوى } فمن باب أولى أن تكرم شخصه ، فما أفصح ألفاظ القرآن الكريم !.

() والمشوى : اسم مكان من ثوى بالمكان إذا أقام به إقامة سكنى أو إطالة مكث ، وقد بين

الثواب بالخلود بقوله : ﴿ قَالَ النَّارُ مَثُونٌ كُمْ خَالِدِينَ فِيهَا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ ۚ ﴾⁽⁶⁾

ومعنى الآية : { أكرمي مثواه } أحسني ضيافته وإكرامه طول مكثه وبقائه عندنا غاية الإحسان ، ولا تتركي إكرامه لحظة واحدة ، هذا الإكرام لمكان إقامته فكيف بإكرامه هو نفسه ، وهذا مبالغة في الإكرام .

({ أكرمي مثواه } يقول : أكرمي موضع مقامه ، وذلك حيث يثوي ويقيم فيه . يقال : ثبوي فلان بمكان كذا إذا أقام فيه)⁽⁸⁾

. (1) من سورة يوسف 12 : (الآية / 21)

(2) زاد المسير في علم التفسير لابن الجوزي : ج 4 / 198 .

. (3) من سورة القصص 28 : (الآية / 45) .

. (4) من سورة الزمر 39 : (الآية / 60) .

(5) مفردات ألفاظ القرآن للراغب الأصفهاني : 181 مادة ثوى .

(6) من سورة الأنعام 6 : (الآية / 128).

⁷⁾ التحرير والتنوير لابن عاشور : ج 7 / 53 .

. 173 ————— 172 / ج 7) تفسير الطبرى : 8)

({ أَكْرَمِي مُثَوَّه } أَيْ اجْعَلِي مَحْلَ ثَوَائِهِ وَإِقَامَتِهِ كَرِيمًا أَيْ حَسَنًا مَرْضِيًّا ، وَهَذَا كَنْيَةٌ عَنْ إِكْرَامِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ نَفْسَهُ عَلَى أَبْلَغِ وَجْهٍ وَأَئْمَهٍ لَأَنَّ مِنْ أَكْرَمِ الْمَحَلِ بِتَنْظِيفِهِ وَفَرْشِهِ وَنَحْوِ ذَلِكَ فَقَدْ أَكْرَمَ ضَيْفَهُ بِسَائِرِ مَا يَكْرِمُ بِهِ ، وَقَيْلٌ : الْمُثَوَّى مَقْحُومٌ يَقَالُ : الْمَحَلُ الْعَالِيُّ وَالْمَقَامُ السَّامِيُّ ، وَالْمَعْنَى أَحْسَنِي تَعْهِدَهُ وَالنَّظَرُ فِيمَا يَقْتَضِيهِ إِكْرَامُ الضَّيْفِ)⁽¹⁾

وَنَلَمَسْ مِنْ خَلَالِ هَذِهِ الْمَعْانِي لِكَلْمَةِ مُثَوَّهِ نَبْلُ الْأَخْلَاقِ الْكَرِيمَةِ حِيثُ إِكْرَامُ الضَّيْفِ وَحَسْنُ الْمَعْاملَةِ لِلْعَبِيدِ مَعْ طَوْلِ بَقَاءِ هَذَا الْعَبْدِ عِنْدَ السَّيِّدِ حِيثُ يَرِيدُ أَنْ يَتَخَذَهُ وَلَدًا لِعَدْمِ تَحْرِيمِ التَّبَنِ عَنْهُمْ . وَهَذِهِ هِيَ أَخْلَاقُ الْإِسْلَامِ .

الكلمة الثامنة عشرة : حرضا من قوله تعالى :

﴿ حَتَّىٰ تَكُونَ حَرَضًا أَوْ تَكُونَ مِنَ الْمَهْلِكِينَ ﴾⁽²⁾

(حرضا : لها أصلان الأول : الذهاب والتلف والهلاك والضعف ، والأصل الثاني : الحرض وهو المشرف على الهلاك)⁽³⁾

(والحرض : ما لا يعتد به ولا خير فيه ، ولذلك يقال لما أشرف على الهلاك حرض ، قال عز وجل : { تَكُونَ حَرَضًا })⁽⁴⁾

(الحرض : الفساد في البدن وفي المذهب وفي العقل ، والمشرف على الهلاك ومن لا خير عنده أو لا يرجي خيره ولا يخاف شره ، ومن أذابه العشق أو الحزن ، ومن لا يتخذ سلاحا ولا يقاتل ، والمضنى مرضًا وسقما ، ومنه : { تَكُونَ حَرَضًا })⁽⁵⁾

(1) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثانى للألوسي : ج 12 / 207 .

(2) من سورة يوسف 12 : (الآية / 85) .

(3) معجم مقاييس اللغة لابن فارس : ج 2 / 41 مادة حرض .

(4) مفردات ألفاظ القرآن للراغب الأصفهاني : 228 مادة حرض .

(5) القاموس المحيط للفيروز أبادي : ج 2 / 339 مادة حرض .

({ حرضا }) مصدر هو شدة المرض المشفى على الهملاك ، وهو وصف بالمصدر ، أي حتى تكون حرضاً أي باليلا لا شعور لك ، ومقصودهم : الإنكار عليه صداله عن مداومة ذكر يوسف عليه السلام على لسانه ، لأن ذكره باللسان يفضي إلى دوام حضوره في ذهنه .

و في جعلهم الغاية الحرض أو الهالاك تعريض بأنه يذكر أمرا لا طمع في تداركه⁽¹⁾
و من هنا كان لزاما على المسلم أن لا يحزن الحزن الشديد الذي يخرجه عن الرضا بقضاء الله
و قدره ، لأن كثرة الأحزان محلبة للأمراض ومذهبة للحسنات . (حكى الطبرى بسنده : أن
يعقوب دخل على فرعون وقد سقط حاجبه على عينيه من الكبير ، فقال له فرعون : ما بلغ بك
هذا يا إبراهيم ؟ فقالوا : إنه يعقوب ، فقال : ما بلغ بك هذا يا يعقوب ؟ قال له : طول الزمان
و كثرة الأحزان ، فأوحى الله إليه : يا يعقوب أتشكوني إلى خلقي ؟ فقال : يا رب خطئه
فاغفرها لي)⁽²⁾

الكلمة التاسعة عشرة : لا تشرب . من قوله تعالى :

قالَ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمْ الْيَوْمَ {٣}

(الجمهور : لا تعيير عليكم ، وقيل : لا أذكر لكم ذنبكم ، وقيل : لا مجازاة على ما فعلتم عندي لكم ، وقيل : لا تخليط عليكم ، الزجاج : لا إفساد عليكم ، وقيل : لا لوم عليكم ولا عتب .

⁽¹⁾ الغريب : ابن عيسى : التشريح تعليق الضر بالإنسان من أجل جرم كان منه .

. 109 / 12 ج (1) التحرير والتنوير لابن عاشور :

. (2) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز لابن عطية : ج 3 / 273 .

. (3) من سورة يوسف 12 : (الآية / 92)

العجب : ابن بحر⁽²⁾ : هو مأخذ من التُّرْبَ و هو شحم الجوف و هو بلوغ الأقصى من الأمر
⁽³⁾

() قَالَ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ لا تقرير ولا تبكيت ، والثريب مشتق من التُّرْبَ
وهو شحم رقيق على القلب ، ومعنى ثربته : أزلت شحم فؤاده من شدة التقرير⁽⁴⁾
(وأصل الثريب : الإفساد ، يقال : ثَرَبَ علينا إذا أفسد)⁽⁵⁾

فلفظة : { لا ثريب } تعني المعنين : لا لوم ولا عتب ولا تقرير ، وأيضا لا إفساد لما
بيني وبينكم من الحمرة وحق الإخوة ، ولكم عندي العفو والصفح .
إذن لا ثريب معناها : لا عتاب عليكم ولا إفساد لحق الإخوة والرحم الذي بيننا .

{ لا ثريب } أي لا تأنيب ولا لوم وأصله من التُّرْبَ وهو الشحم الرقيق في الجوف
وعلى الكرش ، وصيغة التفعيل للسلب أي إزالة الترب كالتجليد والتقرير . معنى إزالة الجلد
والقرع ، واستعير لللوم الذي يمزق الأعراض ويدهب بهاء الوجه ، لأنه بإزالة الشحم يبدو الهزال
ومالا يرضي ، كما أنه باللوم تظهر العيوب ، فالجامع بينهما طريان النقص بعد الكمال وإزالة ما
به الكمال والجمال⁽⁶⁾

أي لا تخافوا يا إخوتي فلن أعتابكم ولن أعدد معاييركم التي تفضحكم وتظهركم على
حقيقةكم، ولن أزيل الشحم والستار الذي يستركم ويستر أحطاءكم ، هذا المعنى الأول ، أما
الثاني : ولن أفسد ما بيوني وبينكم من محبة الإخوان .

(1) ابن عيسى : شيخ القراء بالاسكندرية ، أبو القاسم عيسى بن عبد العزيز بن عيسى الشريسي . توفي 629هـ . ينظر سير
أعلام النبلاء ج 22/315 .

(2) محمد تقى بن السيد رضا بن بحر العلوم الطباطبائى من فقهاء الإمامية . توفي 1289هـ . ينظر الأعلام ج 6/63 .

(3) غرائب الفسir وعجائب التأویل لمحمود بن حمزة الكرماني : 550 ————— 551 .

(4) عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ للسمين الحلبي / 79 مادة ثرب .

(5) تفسير غريب القرآن لابن قتيبة / 222 .

(6) روح المعانى للألوسى : ج 13/50 .

(لا تشرب) أي لا عتب ولا تأنيب { عليكم } وهو تفعيل من الترب وهو الشحم الغاشي للكرش ، ومعناه : إزالته ، كما أن التجليد إزالة الجلد ، والتقرير إزالة القرع ، لأنه إذا ذهب كان ذلك غاية المزال ، فضرب مثلا للتقرير الذي يذهب بماء الوجه)⁽¹⁾

الكلمة العشرون : الدلوك ، من قوله تعالى :

﴿ أَقِمِ الصَّلَاةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَى غَسِيقِ الْيَلِ وَقُرْءَانَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا ﴾

(٧٨)

(الدلوك : الزوال ، الدلوك : الغروب ، حكيا قولان في كتب التفسير ، وليس بقولين ، بل اللفظ يتناولهما معا ، فإن الدلوك هو الميل ، ودلوك الشمس ميلها ، وهذا الميل مبدأ ومنتهى ، فمبدهؤه الزوال ، ومتناهيه الغروب ، ومثله تفسير الغاسق بالليل والقمر ، وأن ذلك ليس باختلاف ، بل يتناولهما لتلازمهما ، فإن القمر آية الليل)⁽³⁾ و الكلمة دلوك لها معنيان كما ورد في كتب اللغة :

(ذلك : الدال واللام والكاف أصل واحد يدل على زوال شيء عن شيء ولا يكون إلا برفق ، يقال : دلكت الشمس زالت ، ويقال : دلكت غابت ، والدَّلَكْ وقت دلوك الشمس . قال أحمد بن فارس⁽⁴⁾ : إن الله تعالى في كل شيء سرا ولطيفة ، وقد تأملت في هذا الباب من أوله إلى آخره فلا ترى الدال مؤتلفة مع اللام بحرف ثالث إلا وهي تدل على حركة ومجيء وذهاب وزوال من مكان إلى مكان والله أعلم .)⁽⁵⁾

(1) تفسير أبي السعود : ج 4 / 304 .

(2) من سورة الإسراء 17 : الآية / 78 .

(3) التفسير القيم لابن قيم الجوزية : 241 .

(4) أحمد بن فارس : بن زكريا القزويني الرازى أبو الحسين من أئمة اللغة والأدب ولد 329 ، توفي 395 هـ ، من تصانيفه : مقاييس اللغة والجمل وجامع التأويل في تفسير القرآن .

(5) معجم مقاييس اللغة لابن فارس : ج 2 / 297 ————— 298 .

فالدلوك : الزوال وهو ميلها عن الاستواء إلى الغروب ، فمدة الميل من الزوال إلى الغروب كلها دلوك ، أي أن ابتداء ميل الشمس من الزوال إلى أن تغرب هذا كله يسمى دلوك . والله أعلم .

(لدلوك الشمس أي لزواها عن دائرة نصف النهار ، وقيل لغروبها ، وأصل مادة ذلك تدل على الانتقال ، ففي الزوال انتقال من دائرة نصف النهار إلى ما يليها ، وفي الغروب انتقال من دائرة الأفق إلى ما تحتها)⁽¹⁾

(وخالف العلماء في الدلوك على قولين : أحدهما أنه زوال الشمس عن كبد السماء ، والثاني : أن الدلوك هو الغروب .

قال الماوردي : من جعل الدلوك اسمًا لغروبها ، فلأن الإنسان يدلك عينيه براحته لتبيّنها حالة الغيب ، ومن جعله اسمًا لزواها فلأنه يدلك عينيه لشدة شعاعها .

قال ابن عطية⁽²⁾ : الدلوك هو الميل في اللغة ، فأول الدلوك هو الزوال ، وآخره هو الغروب ، ومن وقت الزوال إلى الغروب يسمى دلوكا لأنها في حالة ميل⁽³⁾ وهكذا كانت لفظة دلوك مقصودة في الآية حتى يدخل تحتها الصلوات المفروضة في حالة الدلوك وعنده فيدخل في ذلك الظهر والعصر والمغرب ، ثم ذكر الله صلاة العشاء والفجر في نفس الآية (إلى غسق الليل وقرآن الفجر) فاكتمل بذلك ذكر جميع الصلوات ، مما أجمل إعجاز القرآن اللفظي البياني .

الكلمة الواحدة والعشرون : زهوقا

﴿إِنَّ الْبَطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾⁽⁴⁾

(1) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثانى للألوسي : ج 15 / 131 - 132 .

(2) ابن عطية : عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن عطية الحاربي ، أبو محمد مفسر فقيه عارف بالأحكام والحديث ، له كتاب المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ، ولد عام 481هـ توفي 542هـ . ينظر الأعلام ج 3 / 282 .

(3) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي : ج 10 / 196 - 197 .

(4) من سورة الإسراء 17 : (الآية 81) .

زهق : أي ذهب واصمحل كذهب النفس ، قال تعالى : ﴿وَتَرَهَقَ أَنفُسُهُم﴾⁽¹⁾ ، يقال : زهقت نفسه أي فاضت أسفًا ، وزهق النفس بطلاقها ، والزاهق من الأضداد ، يقال : للهالك من الدواب وللسماين منها زاهق ، والزاهق : السهم الذي تقع وراء المهدف دون إصابة . وزهق الباطل : ذهب وخرجت نفسه فتحول إلى جثة هامدة ثم هو قد ذهب وأخطأ هدفه فلم يتحقق غرضه فذهبت نفسه أسفًا وحزناً وغماً وك마다 لذلك .

(يقال : زهق الباطل يزهق زهوقا ، وأزهقه الله أي أذهب ،

وقولهم : أزهق السهم : إذا

جاوز الغرض فاستمر على جهاته ، وزهق الباطل أي ذهب من قولهم : زهقت نفسه إذا خرجت⁽²⁾

({ زهق } ذهب وهلك ، { الباطل } الشرك ، أو جاء الق

وهلك الشيطان ،

﴿إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾⁽³⁾ كان مضملاً في كل أوان)

وذلك لأن الباطل وإن كان له دولة وصولة في وقت من الأوقات فهو سريع الذهاب والرووال .

(ذهب يقال للسهم قد زهق إذا جاوز الغرض واستمر على جهته ، وزهقت نفسه إذا خرجت⁽⁴⁾

({ وزهق } اضمحل بعد وجوده ، ومصدره الزهق والزهق ، وزهق الباطل مجاز في تركه أصحابه فكأنه كان مقينا بينهم ففارقهم ، والمعنى : استقر وشاع الحق الذي يدعو إليه النبي صلى الله عليه وسلم ، وانقضى الباطل الذي كان النبي صلى الله عليه وسلم ينهى عنه)⁽⁵⁾

(1) من سورة التوبة 9 : (الآية / 85) .

(2) تفسير الطبرى : ج 8 / 139 .

(3) تفسير النسفي : ج 2 / 342 .

(4) غريب القرآن وتفسيره ، لأبي عبد الرحمن عبد الله بن يحيى بن المبارك البازيدى ، تحقيق محمد سليم الحاج ، عالم الكتب ، ط، 1405 هـ 1985 م ص 220 .

(5) التحرير والتنوير لابن عاشور : ج 14 / 148 .

وهكذا كانت الكلمة { زهوقا } تؤدي المعينين : الأول : الذهاب والاضمحلال ، والثاني : تجاوزه الغرض والمهدف وموته كمدا ، وهذا تشبيه بالإنسان الذي لم يصب المهدف فزهقت نفسه وخرجت روحه غما وحزنا .

(وزهق بطل وأض محل وأصله : من زهقت نفسه تزهق أي هلكت ، قوله : **إِنَّ الْبَطِلَ كَانَ زَهُوقًا**) يعني أن الباطل وإن اتفقت له دولة وصولة إلا أنها لا تبقى بل تزول على أسرع الوجوه ⁽¹⁾

الكلمة الثانية والعشرون : طريق من قوله تعالى :

فَأَضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِي الْبَحْرِ يَبْسَأً لَا تَخْفَ دَرَكًا وَلَا تَخْشَى ⁽²⁾

(الطاء والراء والكاف أربعة أصول : أحدها : الإتيان مساء ، والثاني : الضرب ، والثالث : جنس من استرخاء الشيء ، والرابع : خصف شيء على شيء .

فالأول : الطرق ، ويقال : إنه إتيان المنزل ليلا ، والدليل على أن الأصل الليل تسميتهم النجم طارقا ، لأنه يطلع ليلا ، قالوا : وكل من أتى ليلا فقد طرق .

ومن الباب والله أعلم : الطريق لأنه يتورّد) ⁽³⁾ ، (الطارق : النجم أي نجم كان ، سمي

طارقا لأنه يرى ليلا ، وكل من أتى ليلة أو رئي فيه سمي طارقا ، قوله : { طَرِيقًا فِي الْبَحْرِ

يَبْسَأً } الطريق السبيل الذي يطرق بالأرجل أي يضرب بها) ⁽⁴⁾

ولذلك اختار الله كلمة طريقا ولم يقل : سبيلا حيث تدل على المعينين : السبيل الذي يطرق بالأرجل أي يضرب بها ، والمعنى الثاني على الليل حيث قال الله : **وَلَقَدْ أَوْحَيْنَا إِلَيْ مُوسَى** أن

(1) مفاتيح الغيب (تفسير الرازى) : ج 21 / 28 .

(2) من سورة طه 20 : (الآية / 77) .

(3) معجم مقاييس اللغة لابن فارس : ج 3 / 449 ————— 450 . مادة طرق .

(4) عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ للسمين الحلبي / 318 مادة طرق .

أَسْرِ إِعْبَادِي فَاضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِي الْبَحْرِ يَسَا ^(١) ، والإسراء لا يكون إلا ليلا ، فناسب أن يذكر الله كلمة طريقا لتدل على أن ذلك الطريق كان ليلا بأمر من الله ومعجزة منه . ولأن الطرق لا يكون إلا ليلا .

(والطارق : السالك للطريق ، لكن خص في التعارف بالآتي ليلا ، فقيل : طرق أهله طرورقا ، وعبر عن النجم بالطارق لاختصاص ظهوره بالليل ، قال تعالى : ﴿وَاللَّمَاءُ وَالظَّارِقُ﴾ ^(٢))

الكلمة الثالثة والعشرون : ضنك من قوله تعالى :

﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا﴾ ^(٤)

(الضنك : الضيق ، وامرأة ضنك : مكتنزة ، والمضنو : المزكوم ، والضناك : الزكام) ^(٥)

(ضنك : الضاد والنون والكاف أصلان صحيحان ، وإن قل فروعهما : فال الأول : الضيق ، والآخر : مرض .

فال الأول الضنك : الضيق ، ومن الباب امرأة ضنك : مكتنزة اللحم إذا اكتتر تضاغط .

والأصل الآخر المضنو : المزكوم ، والضناك : الزكام) ^(٦)

وهكذا نجد أن كلمة ضنك لها معنيان : الضيق والشدة ، والمعنى الثاني : المرض بمعنى أن الذي يعرض عن ذكر الله فإن له معيشة ضنك أي معيشة ضيقة شديدة مع الشعور بالاختناق ، كأنه مريض ومزكم ، ولذلك اختار الله كلمة { ضنك } لتوضيح هذين المعنيين.

﴿فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا﴾ روي عن ابن مسعود ^(١) وأبي هريرة ^(٢) وأبي سعيد الخدري ^(٣)

رضي الله عنهم أنهم قالوا هو عذاب القبر ، قال أبو سعيد : يضغط في القبر حتى تختلف أضلاعه

(1) من سورة طه 20 : (الآية / 77) .

(2) من سورة الطارق 86 : (الآية / 1) .

(3) مفردات ألفاظ القرآن للراغب الأصفهاني : 518 مادة طرق .

(4) من سورة طه 20 : (الآية / 124) .

(5) بحمل اللغة ابن فارس : ج 2 / 567 مادة ضنك .

(6) معجم مقاييس اللغة ابن فارس : ج 3 / 373 – 374 .

، وقيل هو الرقوم والضرع والغسلين في النار ، وقيل هو الحرام والكسب الخبيث ، وقال ابن عباس : الشقاء ، وعنده قال : كل ما أعطي العبد قلْ أَمْ كثُر فلم يتق فيه فلا خير فيه ، وهو الضنك في المعيشة ، وإن قوماً أعرضوا عن الحق وكانوا أولى سعة من الدنيا مكثرين منها فكانت معيشتهم ضنكًا ، وذلك أنهم يرون أن الله ليس بمحلف لهم ، فاشتدت عليهم معايشهم من سوء ظنهم بالله تعالى ، وقيل : يسلب القناعة حتى لا يشعرون⁽⁴⁾

فالمعيشة الضنك : الضيق الشديدة قد تكون في الدنيا وقد تكون في القبر ، وقد تكون حسية وقد تكون معنوية ، كما قال بعضهم : لا يعرض أحد عن ذكر ربه إلا أظلم عليه وقته ، وتشوش عليه رزقه ، وكان في عيشة ضنك . (وذلك لأن مجتمع همته ومطامح نظره مقصورة على أعراض الدنيا وهو متهالك على ازديادها وخائف من انتقادها بخلاف المؤمن الطالب للآخرة ، مع أنه قد يضيق الله بشئون الكفر ويتوسّع ببركة الإيمان كما قال تعالى : ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ ءَامْنُوا وَأَتَّقُوا لَفَنَحَنَا عَلَيْهِمْ بَرَكَتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾⁽⁵⁾)

وهكذا اختار الله لفظة { ضنك } لتعطي المعنيين : الشدة والضيق مع المرض والاختناق . فهذا الكافر في ضيق لا يوصف رغم سعة أمواله أحياناً إلا أنه مهموم مغموم ، مريض جسدياً ونفسياً بسبب البعد عن الله وذكره ، ففي القلب شعث وفراغ لا يملؤه إلا الإيمان بالله والقرب من الله .

(1) عبد الله بن مسعود : من السابقين المهاجرين ، كان صاحب سواد رسول الله صلى الله عليه وسلم يعني سره ، وصاحب وساده يعني فراشه ، وصاحب سواكه ونعليه ، وظهوره ، وذلك في السفر ، توفي في المدينة 32هـ . ينظر الاستيعاب في أسماء الأصحاب : 2 / 316 – 324 ، والإصابة : 368 / 2 ، وحلية الأولياء : 1 / 122 ، والمعارف / 328 .

(2) أبو هريرة : الصحابي الجليل الملازم لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهو أكثر الصحابة روایة للحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، كنيته أبو هريرة لأنه كان يحمل هرة في كمه ، وأسلمت أمها بعد أن دعا لها رسول الله صلى الله عليه وسلم بالهدى . توفي 57هـ . ينظر الإصابة في تمييز الصحابة : ج 7 / 199 ، وسير أعلام النبلاء : ج 2 / 609 .

(3) أبو سعيد الخدري : سعد بن مالك بن سنان بن عبيد الأنباري الخرجي ، مشهور بكتنيه ، استصغر بأحد واستشهد أبوه بها ، وغرا هو ما بعدها ، وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم الكثير . توفي 63هـ ، ينظر الإصابة في تمييز الصحابة : 86 .

85 / 3

(4) تفسير الخازن : ج 3 / 252 .

(5) من سورة الأعراف 7 : (الآية / 96) .

(6) تفسير أبي السعود : ج 6 / 48 .

الكلمة الرابعة والعشرون : نفحة من قوله تعالى :

﴿ وَلَئِنْ مَسَّتُهُمْ نَفْحَةٌ مِّنْ عَذَابٍ رَّيْكَ ﴾⁽¹⁾

(نفح : النون والفاء والباء أصل يدل على اندفاع الشيء أو رفعه ، ونفتح رائحة الطيب نفحة : انتشرت واندفعت ، وهذا الطيب نفحة طيبة ، ونفتح هبت ، وقوس نفوح : بعيدة الدفع للسهم)⁽²⁾

فكلمة نفحة : تعني الرفع مع الاندفاع والضرب .

(نفتح الدابة تنفح نفحا وهي نفوح : رمحت ببرجلها ورمت بحد حافرها ودفعت ، والنفح : الضرب والرمي .

ونفحة من العذاب قطعة منه ، ونفتح العذاب دفعه منه . وقال الزجاج : النفح كاللفح ، إلا أن النفح أعظم تأثيرا من اللفح . والنفحة : ما أصابك من دفعه البرد .

قال الجوهرى⁽³⁾ : ما كان من الرياح نفح فهو برد ، وما كان لفح فهو حر⁽⁴⁾

(نفح : قوله تعالى : ﴿ وَلَئِنْ مَسَّتُهُمْ نَفْحَةٌ مِّنْ عَذَابٍ رَّيْكَ ﴾⁽⁵⁾ النفحة : الفورة ، ومنه الحديث : { أول نفحة من دم الشهيد }⁽⁶⁾ أي فورة ، وطعنة نفوح أي فوارث ، وقيل : أصله

(1) من سورة الأنبياء 21 : (الآية / 46) .

(2) معجم مقاييس اللغة لابن فارس : ج 5 / 458 .

(3) الجوهرى : إسماعيل بن حماد من أعاجيب الدنيا ، إمام في علم اللغة ، وخطبه يضرب به المثل في الحسن ، توفي 398 هـ . ينظر إنماه الرواية على أنباء النحاة لجمال الدين علي بن يوسف القسطي .

(4) لسان العرب لابن منظور : ج 2 / 622 ————— 623 مادة نفح .

(5) من سورة الأنبياء 21 : (الآية / 46) .

(6) المستدرك على الصحيحين للحاكم : ج 14 / 150 ، سكت عنه الذهي في التلخيص .

في الخير ، يقال : نفح الريح ينفع نفحا ، وله نفحة طيبة أي هبوب من الخير ثم يستعار ذلك للشر قاله الراغب⁽¹⁾

ونفحة على وزن فَعْلَة أي اسم يدل على المرة ، مثل أكْلَة وشَرْبَة ، (نفحة : قال ابن عباس : طرف ، وقال الزجاج : المراد أدن شيء من العذاب)⁽²⁾

إذن نفحة اسم مرة أي مرة واحدة ، والمراد بالنفحة : القليل ، مأخوذه من نفح المسك يقال :

نفحه نفحة بالسيف أي ضربه ضربة خفيفة .

(﴿وَلَئِنْ مَسَّتُهُمْ نَفْحَةً﴾) أدن شيء ، وفيه مبالغات ذكر المس وما في النفحه من معنى القلة ، فإن أصل النفح هبوب رائحة الشيء والبناء الدال على المرة⁽³⁾

النفحه في اللغة : الدفعه اليسيرة ، فالمعنى : ولئن مسهم أقل شيء من العذاب .

(والنفحه : الخطرة والمسة كما تقول : نفح بيده إذا قال بها هكذا ضاربا إلى جهة ، ومنه نفحه الطيب كأنه يختر خطرات على الحاسة ، ومنه نفح له من عطايا إذا أجراه منها نصيبا ، ومنه نفح الفرس برجله إذا رکض ، المعنى : ولئن مس هؤلاء الكفرة صدمة عذاب في دنياهم ليندمن وليقرن بظلمهم⁽⁴⁾)

هذا التفسير أيضا أكد أن للنفحه معنيين : وهما المس مع الاندفاع والصدمة أو الضرب.

(﴿وَلَئِنْ مَسَّتُهُمْ نَفْحَةً﴾) في هذا ثلاث مبالغات : لفظ المس وما في النفح من معنى القلة والزيارة ، يقال : نفتحه الدابة : رحمته رحمة يسيرها ، ونفحه بعطيه أي بناء قليل ، ولبناء المرة منه أي : بأدن إصابة يخضعون . والنفح : الخطرة ، ونفح له من عطائه : أي رضخ له بشيء⁽⁵⁾

الكلمة الخامسة والعشرون : جذاذا من قوله تعالى :

(1) عمدة المخاطب في تفسير أشرف الألفاظ للسمين الحلبي / 585 مادة نفح .

(2) زاد المسير في علم التفسير لابن الجوزي : ج 5 / 354 .

(3) تفسير البيضاوي : 431 .

(4) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز لابن عطيه : ج 4 / 84 .

(5) الدر المصور للسمين الحلبي : ج 8 / 163 .

﴿فَجَعَلَهُمْ جُذَّاً إِلَّا كَيْرَا لَهُمْ﴾⁽¹⁾

(الجيم والذال أصل واحد إما كسر وإما قطع ، يقال : جذت الشيء كسرته ، قال الله

تعالى : ﴿فَجَعَلَهُمْ جُذَّاً إِلَّا كَيْرَا لَهُمْ﴾⁽²⁾ أي كسرهم ،

وجذته قطعته ، ومنه قوله تعالى :

﴿عَطَاءٌ غَيْرَ مَجُوذٍ﴾⁽³⁾

(جذت الشيء : كسرته وقطعته ، قال الله : ﴿غَيْرَ مَجُوذٍ﴾ ويقال : ما عليه جذة أي شيء يستره من الثياب ، والجذيدة : السويق ، ويقال لحجارة الذهب لأنها تكسر وتسحل)⁽⁴⁾

ولفظ جذاذ يقع على الواحد والاثنين والجمع من المذكر والمؤنث ، (وقال ابن قتيبة : جذذاً أي فتاتاً ، وكل شيء كسرته فقد جذذته)⁽⁵⁾

(والجذ : التفتت والتكسير ، ومنه قوله تعالى : ﴿فَجَعَلَهُمْ جُذَّاً﴾⁽²⁾ أي قطعاً مكسرة وفتاتاً)⁽⁶⁾

اختار الله لفظة { جذذاً } لتفيد المعنيين وهما : التكسير ثم التفتت ، فكان سيدنا إبراهيم عليه السلام قطعها وكسرها ثم زاد عليها في التحطيم إلى أن تفتت وصارت جذذاً أي قطعاً مكسرة وفتاتاً.

(الجذ : كسر الشيء وتفتيته ، يقال لحجارة الذهب المكسورة ولفتات الذهب : جذاذ ، ومنه قوله تعالى : ﴿فَجَعَلَهُمْ جُذَّاً﴾⁽⁷⁾)

(1) من سورة الأنبياء 21 : (الآية / 58) .

(2) من سورة هود 11 : (الآية / 108) .

(3) معجم مقاييس اللغة لابن فارس : ج 1 / 409 مادة جذ .

(4) بجمل اللغة لابن فارس : ج 1 / 170 مادة جذ .

(5) تفسير غريب القرآن لابن قتيبة : 286 .

(6) عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ للسمين الحلبي / 90 مادة جذذ .

(7) مفردات ألفاظ القرآن للراغب الأصفهاني : 190 مادة جذ .

(قوله تعالى : ﴿فَجَعَلَهُمْ جُذَادًا﴾ قراءة الجمهور بضم الجيم ، وقرأ الكسائي ^(١) وحده بكسرها ، وفيه وجهان : أحدهما : حطاما ، قاله ابن عباس وهو تأويل من قرأ بالضم . والثاني : قطعا مقطوعة . قال الضحاك ^(٢) : هو أن يأخذ من كل عضوين عضوا ويترك عضوا ، وهذا تأويل من قرأ بالكسر ، مأخذ من الجذ وهو القطع ^(٣) ومن هنا كان لكلمة : { جذادا } معنيين : قطعا مقطوعة ثم أصبحت حطاما أي مفتة بعد تكسيرها ، وهذا هو المعنى الثاني . وجذاد اسم للشيء المكسر كالحطام والرفات والفتات بمعنى الشيء المحطم والمفت .

(وكانت اثنين وبسبعين صنما بعضها من ذهب وبعضها من فضة ، وبعضها من حديد وبعضها من نحاس ورصاص وحجر وخشب ، وكان الصنم الكبير من الذهب مكللا بالجواهر في عينيه ياقوتتان تستقدان) ^(٤)

الكلمة السادسة والعشرون : مرضعة من قوله تعالى :

﴿يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذَهَّلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ﴾ ^(٥)

قال الله : { مرضعة } ولم يقل : { مريض } لأنه لا يوجد من الرجال مرضع ، ولذلك هذه الصفات الخاصة بالنساء لا تحتاج إلى تاء تأنيث مثل : (حائض وحامل وعاقة وطالق وقاعد) .

(١) الكسائي : علي بن حمزة بن عبد الله الأسدبي الكوفي أبو الحسن ، إمام في اللغة والنحو والقراءة ، له تصانيف منها : معاني القرآن ، وأشهر تلامذته : أبو الحارث وحفظ الدوري ، توفي 189هـ ، ينظر الأعلام : ج 4 / 282، وإنما الرواة على أنباء النحاة : ج 2 / 256.

(٢) الضحاك بن مزاحم البلخي الخراساني أبو القاسم مفسر ، له كتاب في التفسير ، توفي بخراسان سنة 102هـ . ينظر الأعلام : ج 3 / 215.

(٣) النكت والعيون للماوردي : ج 3 / 451.

(٤) تفسير الخازن : ج 3 / 263.

(٥) من سورة الحج 22 : (الآية 2) .

إذن فما هذه التاء الموجودة في مرضعة؟ التاء هنا تاء المبالغة وليس تاء تأنيث ، مثل الكلمة : عَلَّامَة ، فمن المستحيل أن تكون التاء في الكلمة (عَلَّامَة) للتأنيث وإنما هي تاء المبالغة . ومثلها الكلمة : مرضعة ، التاء هنا للبالغة ، وأفادت معنيين : أن الأم مرضع ، والمعنى الثاني : حالة الإرضاع نفسها ، أي حالة إرضاع الأم لطفلها وليس كونها مرضع فقط أي من شأنها الإرضاع، فهي هنا حالة الإرضاع أي لحظة الإرضاع ، وهي أشد ما تكون حنانا وتعلقا بولدها .

وهكذا أراد الله هذا المعنى وهو صعوبة يوم القيمة ، حيث تذهب كل مرضعة عما أرضعت ، حال كونها ترضعه ، وهي حالة من الحنان والحب والشفقة ليس لها مثيل .
 (المرضع : من لها ولد ترضعه ، والمرضعة : من ألمقت الشדי للرضيع ، وعلى هذا فقوله تعالى : ﴿ يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذَهَّلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ ﴾⁽¹⁾ لفظ مرضعة أبلغ من مرضع في هذا المقام . فإن المرأة قد تذهب عن الرضيع إذا كان غير مباشر للرضاعة . فإذا التقم الشدي واشتغلت برضاخته لم تذهب عنه إلا لأمر هو أعظم عندها من اشتغالها بالرضاخ)⁽¹⁾

الكلمة السابعة والعشرون :

﴿ وَلَمْ مَقْدِمٌ مِّنْ حَدِيدٍ ﴾⁽²⁾

﴿ وَلَمْ مَقْدِمٌ مِّنْ حَدِيدٍ ﴾⁽³⁾ لضرب رؤوسهم)

(واحدتها مِقْمَعَة وَمِقْمَعٌ ، والمِقْمَع كل ما يقع به ، يُضرب ويُقْهَر ويُذَل . يقال : قمعته فانقمع أي كفنته ففك)⁽⁴⁾

(1) التفسير القيم لابن قيم الجوزية ، جمع محمد أweis الندوبي ، تحقيق محمد الفقي ، دار الكتب العلمية ، بيروت لبنان ، 1398هـ 1978م ، ص : 366 .

(2) من سورة الحج 22 : (الآية / 21) .

(3) تفسير الجنالين للإمامين جلال الدين محمد بن أحمد المخلي ، والعلامة جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي ، دار المعرفة بيروت لبنان ، ص : 435 .

(4) مفاتيح فهم القرآن لأحمد علي إمام / 540 .

فالقمع لع معينان : الضرب بالمقمع مع الإذلال والقهر والعنف . (ويتساقط ما عليهم من الجلود مع زبانية بأيديهم عمد من حديد يضربون بها رؤوسهم إذا حاولوا الخروج من النار)⁽¹⁾
 (والمقامع : جمع مقمعة ، والمقمعة ما يضرب به الرأس حتى لا يعي فينكب أو ينحط)⁽²⁾
 وسبب المقامع أو المطارق ، أن النار ترمي الكفار بلعبها ، حتى إذا كانوا في أعلىها ضربوا
 بمقامع فيها سبعين خريفا ، فإذا انتهوا إلى أسفلها ضربهم زفير لها فلا يستقررون ساعة .

بر : (لو أن مقام عا من حديد وضع في الخـ

الأرض فاجتمع له الثقلان ما أفلوه من الأرض)⁽³⁾

(٤) أَيْ يَكْفِ بِعَنْفٍ (٤) وَلَهُمْ مَقْدِيمٌ مِّنْ حَدِيدٍ ﴿٦١﴾ سياط منه يجلدون بها ، جمع مقمعة وحقيقة ما يقمع به

(٦) وَلَهُمْ مَقَامٌ مِّنْ حَدِيدٍ ﴿٦﴾ أي يضربون بها ويدفعون ، الواحدة مِقْمَعَةً ومِقْمَعٌ ، وقد قمعته إذا ضربته بها وقمعته وأقمعته . بمعنى ، أي قهرته وأذللته فانقمع ، وقيل : المقامع المطارق وهي المرازب أيضا . وفي الحديث : { ثم يقيض له أعمى أصم أبكم في يده مرزبة ، لضرب بها جبل كان ترابا ، فيضر به ضربة حتى يصير ترابا ، ثم يعيده الله كما كان ، فيضر به ضربة أخرى فيصيغ صيحة ، يسمعه كل شيء إلا الثقلين }^(٥)

وَقِيلَ : الْمَقَامُ : سِيَاطٌ مِنْ نَارٍ ، وَسَمِيتَ بِذَلِكَ لِأَنَّهَا تَقْعِدُ الْمَضْرُوبَ أَيْ تَذَلَّهُ⁽⁶⁾ وَهَكُذا تَكُونُ كَلْمَةُ مَقَامٍ لَهَا مَعْنَى : الْضُّرُبُ وَالْدُّفْعُ مَعَ الْقَهْرِ وَالْإِذْلَالِ .

(1) درة التنزيل وغرة التأويل للشيخ أبي عبد الله محمد الاسكافي / 215 .

(2) النكت والعيون للماوردي : ج 4 / 14 .

(3) رواهُ أَحْمَدُ بْنُ حَنْبِلٍ : (ج3/29) ، رَقْمُ الْحَدِيثِ : 11253 ، ص 771 ، قَالَ شَعِيبُ الْأَرْنُوْطُ فِي تَعْلِيقِهِ عَلَى مُسْنَدِ أَحْمَدَ : إِسْنَادٌ ضَعِيفٌ ، رَوَاهُ أَبُو يَعْلَى 1388 (526/2) ، وَالْحَاكِمُ (8773) (4/642) وَقَالَ : صَحِيحٌ إِسْنَادٌ وَلَمْ يَخْرُجْ جَاهٌ ، وَقَالَ حَسِينُ سَلِيمٍ أَسَدٌ فِي تَعْلِيقِهِ عَلَى أَبِي يَعْلَى : إِسْنَادٌ ضَعِيفٌ .

. 442 (4) تفسير البيضاوي : ص

(5) رواه أبو داود : (كتاب السنة / باب المسألة في القبر وعذاب القبر 26) رقم الحديث 4727 ، ج 13 ص 89 وأحمد بن حنبل : (ج 4/296) رقم الحديث 18815 ، قال الألباني في تعليقه على سنن أبي داود : صحيح .

⁽⁶⁾ الجامع لأحكام القرآن : (ج 12 / 19) .

({ مِنْ حَدِيدٍ }) صفة لقائم وهي جمع مقمعة بكسر الميم ، لأنها آلة القمع ، يقال : قمعه يقمعه إذا ضربه بشيء يزجره به ويُذلّه ، والمقمعة : المطرقة ، وقيل : السوط ⁽¹⁾

الكلمة الثامنة والعشرون : غراما من قوله تعالى :

﴿إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَاماً﴾ ⁽²⁾

(غراما : أي هلاكا وخسرانا ملحا لازما ، ومنه الغريم لإلحاحه وإلزامه ، ويقال : فلان مغمض بالنساء إذا كان مولعا بهن ، وسأل نافع بن الأزرق ⁽³⁾ ابن عباس عن الغرام فقال : هو الموجع ، وعن محمد بن كعب ⁽⁴⁾ في (غراما) أنه سأله الكفار ثم نعمه بما أدوها إليه فأغرمهم فأدخلهم النار ، واعلم أنه تعالى وصفهم بإحياء الليل ساجدين وقائمين ، ثم عقبه بذكر دعوتهم هذه إذانا بأهم مع اجتهادهم خائفون مبتهلون إلى الله في صرف العذاب عنهم ، كقوله تعالى :

﴿وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا أَتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَحِلَّةٌ﴾ ⁽⁵⁾

(غراما : أي هلاكا وخسرانا ملحا محظيا من تعلق به ، مذلا له ، دائمًا من غريبه لازما له لا ينفك عنه ⁽⁷⁾)

من هنا يتبيّن أن الكلمة غراما لها معنيان : الأول : اللزوم والدوار والإلحاح والإحاطة ، والثاني : الهم والخسران والإذلال .

(1) الدر المصنون في علوم الكتاب المكتون : ج 8 / 250 .

(2) من سورة الفرقان 25 : (الآية / 65) .

(3) نافع بن الأزرق : بن قيس الحنفي البكري الوائلي أبو راشد ، من أهل البصرة ، صحب في أول أمره عبد الله بن عباس وله أسئلة رواها عنه ، قتل سنة 65هـ ينظر الأعلام : ج 7/351 .

(4) محمد بن كعب : أبو حمزة وقيل أبو عبد الله المدي من حلفاء الأوس ، سكن الكوفة ثم المدينة ، تابعي محدث عالم بالقرآن ، ثقة صالح توفي سنة 18هـ . ينظر تذكير التهذيب ج 9/420 .

(5) من سورة المؤمنون 23 : (الآية / 60) .

(6) تفسير الرازى : (ج 24 / 108) .

(7) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور ، لإبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط 2 ، 2003 م 1424هـ ، ج 13 / 423 .

(غراما : أي ملحا دائما ، لازما غير مفارق من عذب به من الكفار ، ومنه سمي الغريم لطلبه حقه وإلحاحه على صاحبه وملازمته إياه ، قال محمد بن الكعب القرظي : سأله الكفار ثم نعمه فلم يؤدوا فأغرمهم فيه فبقو في النار ، قال : كل غريم يفارق غريمه إلا جهنم . والغرام : الشر اللازم ، وقيل : غراما هلاكا)⁽¹⁾

سأله الكفار عن النعم فلم يأتوا بشمنها ، فأغرمهم ثمن النعم وأدخلهم النار .

(غراما : أي لازما دائما ، وعن الحسن : كل غريم يفارق غريمه إلا غريم جهنم ، فغراما يعني شر لازم ، وقيل : خسرانا ملحا لازما ، ومنه الغريم لإلحاحه وإلزامه)⁽²⁾
فكلمة غراما أعطت هذين المعنين : الخلود واللزوم للنار إضافة إلى الهلاك والخسران .

(الأظهر أن معنى قوله تعالى : كان غراما أي لازما دائما غير مفارق ، ومنه سمي الغريم ملازمته ، ويقال : فلان مغرم بكتنا أي لازم له مولع به ، وهذا المعنى دلت عليه آيات من كتاب الله كقوله تعالى : ﴿يُرِيدُونَ أَن يَخْرُجُوا مِنَ النَّارِ وَمَا هُمْ بِخَرِيجٍ مِّنْهَا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ﴾⁽³⁾، وقوله تعالى : ﴿لَا يَفْتَرُ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ﴾⁽⁴⁾، وقوله تعالى : ﴿خَالِدِينَ فِيهَا لَا يُخَفَّ عَنْهُمُ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنْظَرُونَ﴾⁽⁵⁾، وقوله تعالى : ﴿وَلَا يُخَفَّ عَنْهُم مِّنْ عَذَابِهَا﴾⁽⁶⁾، وقال الزجاج : الغرام أشد العذاب)⁽⁷⁾

(وما رأوا جهنم ولكنهم آمنوا بوجودها ، وتمثلوا صورتها بما جاءهم في القرآن الكريم وعلى لسان رسول الله الكريم ، فهذا الخوف النبيل إنما هو ثمرة الإيمان العميق ، وثمرة التصديق ، وهم

(1) تفسير البغوي المسمى معلم التنزيل لحيي السنة أبي محمد الحسين بن مسعود البغوي ، تحقيق : محمد عبد الله التمر وعثمان جمعة ضميرية وسلامان مسلم الحرش ، دار طيبة للنشر والتوزيع ، ط 4 ، 1417هـ 1997م : ج 6 / 94.

(2) تفسير اللباب لأبي حفص عمر بن علي بن عادل ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان : ج 13 / 215 .

(3) من سورة المائدة 5 : (الآية / 37) .

(4) من سورة الزخرف 43 : (الآية / 75) .

(5) من سورة البقرة 2 : (الآية / 162) .

(6) من سورة فاطر 35 : (الآية / 36) .

(7) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن ، لحمد الأمين بن محمد المختار الشنقيطي ، دار الفكر ، بيروت لبنان ، 1415هـ 1995م : ج 6 / 125 .

يتوجهون إلى ربهم في ضراعة وخشوع لصرف عنهم عذاب جهنم ، لا يطمئنهم أنهم يبيتون لربهم سجدا وقائما ، فهم لما يخالج قلوبهم من التقوى يستقلون عملهم وعبادتهم ، ولا يرون فيها ضمانا ولا أمانا من النار ، إن لم يتداركهم فضل الله وعفوه ورحمته فيصرف عنهم عذاب جهنم . والتعبير يوحى كأنما جهنم متعرضة لكل أحد ، متصدية لكل بشر ، فاتحة فاها ، تهم أن تلتهم ، بัสطة أيديها تهم أن تقبض على القريب والبعيد ، وعباد الرحمن الذين يبيتون لربهم سجدا وقائما يخافونها ويخشونها ، ويتضارعون إلى ربهم أن يصرف عنهم عذابها ، وأن ينجيهم من تعرضها وتصديها .

ويترعش تعبيرهم وهو يتضارعون إلى ربهم خوفا وفرعا : ﴿إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَاماً﴾^{٦٥} أي ملزما لا يتحول عن صاحبه ولا يفارقه ولا يقيله ، فهذا ما يجعله مروعا مخيفا شيئا .. ﴿إِنَّهَا سَاءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمَقَاما﴾^(١) وهل أسوأ من جهنم مكانا يستقر فيه الإنسان ويقيم . وأين الاستقرار وهي النار ؟ وأين المقام وهو التقلب على اللظى ليل نهار ؟ !)^(٢)

ومن هنا يتبين أن كلمة الغرام لها معنيان : اللزوم والإلحاح إضافة إلى ال�لاك والعذاب . (والغرام: اللازم من العذاب والشر الدائم والبلاء والحب والعنق . وقال الزجاج : هو أشد العذاب في اللغة ، قال الله عز وجل : ﴿إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَاماً﴾^{٦٥} أي ملحا دائما^(٣) لازما)

وهذا اللزوم إما للكافر أو المراد به الامتداد كما في لزوم الغريم . (﴿إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَاماً﴾^{٦٥} أي لازما عن ابن عباس ، وفي رواية أخرى عنه تفسيره بالفظيع الشديد ، وفسره بعضهم بالمهلك)^(٤)

(١) من سورة الفرقان 25 : (الآية / 66) .

(٢) في ظلال القرآن لسيد قطب : ج 5 / 231 .

(٣) لسان العرب لابن منظور : ج 12 / 436 – 437 مادة غرم .

(٤) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني للألوسي : ج 19 / 45 .

وتفسير ابن عباس رضي الله عنهم للكلمة يؤكّد ما ذكرناه سابقاً من أن الكلمة غراماً لها معنیان .

(والغرام : الملاك الملح الدائم ، وغلب إطلاقه على الشر المستمر)⁽¹⁾ ، وهكذا نرى إعجاز القرآن العظيم في اختيار لفظة (غراماً) حيث أفادت المعنيين اللذين أرادهما الله حين اختار هذه اللفظة الكريمة (غراماً) .

الكلمة التاسعة والعشرون : فارهين من قوله تعالى :

﴿ وَتَنْجِتونَ مِنَ الْجَبَالِ بُوْتَا فَرَهِينَ ﴾⁽²⁾

(الفاء والراء والهاء فره : الكلمة تدل على أشرٍ وحذق من ذلك : الفاره : الحاذق بالشيء ، والفره : الأشر)⁽³⁾

(والفاره : الحاذق بالشيء من فره بالضم ، ورجل فره : نسيط ، أشرٌ من فره بالكسر ، أشر وبطر)⁽⁴⁾

(وخالف أهل التأويل في تأويل ذلك على نحو اختلاف القراء في قراءته فقال بعضهم : فارهين : حاذقين ، وقال آخرون : فرهين : أشرين)⁽⁵⁾

الكلمة الثلاثون : مساكنكم من قوله تعالى :

﴿ حَقَّ إِذَا أَتَوْا عَلَى وَادِ الْنَّمَلِ قَالَتْ نَمَلَةٌ يَأْتِيهَا الْنَّمَلُ أَدْخُلُوا مَسَكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانٌ وَجَنُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴾⁽⁶⁾

(1) التحرير والتنوير لابن عاشور : ج 19 / 91 .

(2) من سورة الشعراء 26 : (الآية / 149) .

(3) معجم مقاييس اللغة لابن فارس : ج 4 / 496 مادة فره .

(4) لسان العرب لابن منظور : ج 13 / 522 مادة فره .

(5) تفسير الطبرى : ج 9 / 466 .

(6) من سورة النمل 27 : (الآية / 18) .

قال الله : مساكنكم ولم يقل : منازلكم أو بيوتكم ، حيث أعطت الكلمة مساكنكم معنى إضافيا على المنزل والبيت هو السكن والراحة والطمأنينة .

(قوله تعالى : (لتسكنوا فيه) ⁽¹⁾ ، أي تستريحون من التعب ، لأن السكون ضد الحركة ، فالحركة مظنة التعب ، لأن فيها انتقالات بالأعضاء وأعمال بالجوارح ، والنهار ظرف ذلك ، والليل ظرف الراحة والسكن ، قال الله تعالى : ﴿ وَقُلْنَا يَعَادُمْ أَسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ ﴾ ⁽²⁾ ، أي اتخذها سكنا ، والسكن ما يسكن ، والسكنين من ذلك أيضا لأنه تسكن به حركة المذبح ⁽³⁾)

وهكذا كانت الدقة في اختيار اللفظة : مساكنكم ، حتى النمل يريد أن يدخل منزلا فيه السكن والراحة والطمأنينة ، ولذلك قال الله : ﴿ وَمِنْ عَائِنِتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا ﴾ ⁽⁴⁾ ، فالسكن هدف وغاية البيت المسلم ، فإذا لم يوجد السكن والراحة فليس بسكن .

(والسكن : السكون وما يسكن إليه ، قال تعالى : ﴿ وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِنْ بُيُوتِكُمْ سَكَنًا ﴾ ⁽⁵⁾ ، وقال تعالى : ﴿ إِنَّ صَلَوَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ ﴾ ⁽⁶⁾ ، وقال تعالى : ﴿ وَجَعَلَ الْيَلَى سَكَنًا ﴾ ⁽⁷⁾) ⁽⁸⁾

(1) من سورة القصص 28 : (الآية / 73) .

(2) من سورة البقرة 2 : (الآية / 35) .

(3) عمدة المخاطب في تفسير أشرف الألفاظ للسمين الحلبي / 245 مادة سكن .

(4) من سورة الروم 30 : (الآية / 21) .

(5) من سورة النحل 16 : (الآية / 80) .

(6) من سورة التوبة 9 : (الآية / 103) .

(7) من سورة الأنعام 6 : (الآية / 96) .

(8) مفردات ألفاظ القرآن للراغب الأصفهاني / 417 مادة سكن .

الكلمة الواحدة والثلاثون : الخبراء من قوله تعالى :

الْخَبَّءُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ⁽¹⁾

() كلمة الخبراء فيها تأويلان :

أحدهما : يعني غيب السماوات والأرض ، قاله عكرمة⁽²⁾ ومجاهد⁽³⁾ وقتادة وابن جبير⁽⁴⁾ .

الثاني : أن خباء السماوات المطر ، وخباء الأرض النبات ، قاله ابن زيد . والخبراء بمعنى المخبوء ، وقع المصدر موقع الصفة .

وفي معنى الخبراء في اللغة وجهان :

أحدهما : أنه ما غاب .

الثاني : أنه ما استتر⁽⁵⁾ ()

(يخرج الخبراء : يقال ذلك لكل مدخل مستور) ⁽⁶⁾

(الخبراء : كل غائب ، وقيل : كل مدخل مستور ، وقيل : المراد السر) ⁽⁷⁾

من هنا يتبيّن أن كلمة الخبراء لها معنيان لغة : الأول : الغائب ، والثاني : المدخل المستور .

(والخبراء : مصدر خباء الشيء إذا أخفاه . أطلق هنا على اسم المفعول أي المخبوء على

طريقة المبالغة في الخفاء كما هو شأن الوصف بالمصدر⁽¹⁾)

(1) من سورة النمل 27 : (الآية / 25) .

(2) عكرمة : أبو عبد الله عكرمة بن عبد الله مولى عبد الله بن عباس رضي الله عنهما ، أصله من البربر من أهل المغرب ، واجتهد ابن عباس في تعليمه القرآن والسنن ، روى عن جماعة من الصحابة . توفي 105هـ . ينظر وفيات الأعيان : ج 3/266 _____ 265

(3) مجاهد : ابن جبير المكي أبو الحجاج ، مفسر من آثاره تفسير القرآن ، له طرق منها طريق ابن أبي نجح وطريق ابن حريج وطريق ليث توفي 104هـ . ينظر كشف الظنون ج 1/458 ، ومعجم المؤلفين ج 8/177 .

(4) ابن جبير : سعيد بن هشام الكوفي الأسدي أبو عبد الله ، سمع سعيد جماعات من أئمة الصحابة منهم ابن عمر وابن عباس وابن البربر ، روى عنه جماعات من التابعين ، وكان سعيد من كبار أئمة التابعين ومتقدميهم في التفسير والحديث والفقه والعبادة والورع وغيرها من صفات أهل الخير ، توفي 95هـ . ينظر تهذيب الأسماء واللغات : ج 216/1 _____ 217

(5) النكوت والعيون للماوردي : ج 4 / 204 .

(6) مفردات ألفاظ القرآن للراغب الأصفهاني : 274 مادة خباء .

(7) عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ للسمين الحلبي / 148 مادة خباء .

وهكذا أراد الله كلمة **الخباء** لتشمل المعنيين كل ما غاب في السماء والأرض ، وكل ما استتر ثم ظهر مثل المطر والنبات ، وهذا يدل على عظيم علم الله وقدرة الله الكبيرة جل في علاه .

(**خباء** السماء قطرها ، و**خباء** الأرض كنوزها وبناتها . وقال قتادة : **الخباء** السر ، النحاس : وهذا أولى أي ما غاب في السماوات والأرض ، ويدل عليه : { ما تخفون وما تعلونون }⁽²⁾)

(قال ابن زيد : في قوله : ﴿الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبَأَ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ **خباء** السماء والأرض : ما جعل الله فيها من الأرزاق والمطر من السماء والنبات من الأرض ، كانتا رتقا لا تمطر هذه ولا تنبت هذه ، ففتق السماء وأنزل منها المطر وأخرج النبات)⁽³⁾

الكلمة الثانية والثلاثون : الحيوان من قوله تعالى :

﴿وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهُ الْحَيَاةُ﴾⁽⁴⁾

(قال أبو عبيدة⁽⁵⁾ : **الحيوان** والحياة واحد ، والمعنى لهي دار الحياة التي لا موت فيها ولا تنعيس يشوبها كما يشوب الحياة في الدنيا)⁽⁶⁾ فالحياة ضد الموت ، والحيوان ضد الموتان على وزن فعلان .

(1) التحرير والتنوير لابن عاشور : ج 19 / 251 .

(2) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي : ج 13 / 125 .

(3) تفسير الطبرى : ج 9 / 511 .

(4) من سورة العنكبوت 29 : (الآية / 64) .

(5) أبو عبيدة : الإمام العلامة البحر أبو عبيدة معمراً بن المثنى التيمي النحوي ، صاحب التصانيف ، ولد في سنة 110 هـ ، حدث عن هشام بن عروة ورؤبة بن العجاج ، وحدث عنه : علي بن المديني . توفي 110 هـ . ينظر سير أعلام النبلاء :

ج 9 / 445 _____ 447 ، وبغية الوعاة : ج 2 / 294 _____ 295 .

(6) زاد المسير في علم التفسير لابن الجوزي : ج 6 / 283 _____ 284 .

(ثم الحياة تستعمل على أضرب : 1) الأول : القوة النامية الموجودة في النبات والحيوان، قال تعالى : ﴿ وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيًّا ﴾⁽¹⁾ ، 2) الثاني : القوة الحساسة ، وبه سمي الحيوان حيوانا ، قال تعالى : ﴿ وَمَا يَسْتَوِي الْأَحْيَاءُ وَلَا الْأَمْوَاتُ ﴾⁽²⁾ ، ﴿ إِنَّ الَّذِي أَحْيَاهَا لَمْحِي الْمَوْقَتَ ﴾⁽³⁾ ، إشارة إلى القوة الحساسة ، 3) الثالث : القوة العاملة العاقلة، قال تعالى : ﴿ أَوَمَنْ كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ ﴾⁽⁴⁾ ، 4) الرابع: عبارة عن ارتفاع الغم ، ومنه قوله تعالى : ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءً عِنْدَ رَبِّهِمْ مُّرْزَقُونَ ﴾⁽⁵⁾ أي يتلذذون لما روي في الأخبار الكثيرة في أرواح الشهداء . 5) الخامس : الحياة الأخرى الأبدية ، وذلك يتوصل إليها بالحياة التي هي العقل والعلم ، وقوله تعالى : ﴿ يَقُولُ يَلِيَّتِنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي ﴾⁽⁶⁾ يعني به الحياة الأخرى الدائمة ، السادس : الحياة الموصوف بها الله عز وجل ، فإذا قيل : الله حي معناه أنه الذي لا يصلح عليه الموت ، ولا يتتصف بذلك أحد سواه⁽⁷⁾ فالحياة الأخرى الأبدية الدائمة الباقية سماها الله (الحيوان) مبالغة في لفظ الحياة ، فهي ليست حياة عاديه ، وإنما باقية دائمة خالدة لا نهاية لها ، وهي الحياة الحقيقة التي يسعى إليها العقلاء .

(والحيوان : مقر الحياة ، ويقال على ضربين : أحدهما : ماله الحاسة ، والثاني : ماله البقاء الأبدى ، وهو المذكور في قوله عز وجل : ﴿ وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِ الْحَيَاةُ ﴾⁽⁸⁾ ،

(1) من سورة الأنبياء 21 : (الآية / 30) .

(2) من سورة فاطر 35 : (الآية / 22) .

(3) من سورة فصلت 41 : (الآية / 39) .

(4) من سورة الأنعام 6 : (الآية / 122) .

(5) من سورة آل عمران 3 : (الآية / 169) .

(6) من سورة الفجر 89 : (الآية / 24) .

(7) عمدة المخاطب في تفسير أشرف الألفاظ للسمين الحلبي / 147 .

(8) من سورة العنكبوت 29 : (الآية / 64) .

وقد نبه بقوله : (هي الحيوان) أن الحيوان الحقيقي السرمدي الذي لا يفنى ، لا ما يبقى مدة ثم يفنى . وقيل : الحيوان ما فيه الحياة ، والموتان ما ليس فيه الحياة⁽¹⁾
فلفظة الحيوان تعني المعينين : 1) الحياة ، 2) البقاء والخلود وعدم الموت . (عن مجاهد في

قوله : (لَهِيَ الْحَيَّاَنُ) قال : لا
موت فيها ، وعن ابن عباس في قوله : (لَهِيَ الْحَيَّاَنُ) يقول :
باقية⁽²⁾ ، (فالجنة هي دار الحياة أي لا موت فيها)⁽³⁾
وكلمة الحيوان على وزن فعلان الذي هو صيغة تبني عن معنى التحرك توضيحاً لمعنى كمال
الحياة بقدر المتعارف ، فإن التحرك والاضطراب أماره على قوة الحيوية في الشيء مثل الغليان
واللهبان . وهكذا اختار الله هذه اللفظة ليدل على قوة وكمال وأبدية الحياة الآخرة .

(وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَّاَنُ) أي ليس فيها إلا حياة مستمرة دائمة خالدة لا
موت فيها ، فكأنها في ذاتها حياة ، والحيوان مصدر حي وقياسه حبيان ، فقلبت الياء الثانية واوا
كما قالوا حياة في اسم رجل ، وبه سمي ما فيه حياة حيوانا ، وفي بناء الحيوان زيادة معنى ليس
في بناء الحياة ، وهي ما في بناء فعلان من معنى الحركة والاضطراب كالنزوan والنغضان
واللهبان وما أشبه ذلك ، والحياة حركة كما أن الموت سكون ، فمجيئه على بناء دال على معنى
الحركة مبالغة في معنى الحياة ، ولذلك اختيرت على الحياة في هذا الموضع المقتضي للمبالغة⁽⁴⁾
فالحياة الآخرة لا زوال لها ولا انقضاء بل هي مستمرة أبد الآباد .

وصيغة فعلان تدل على الحركة المستمرة والخدوث ، وهي أعلى أنواع الحياة : (
الحيوان). لأن من أهم صفات الحياة الحركة ، فالحياة الدنيا عبارة عن نوم وسبات بالنسبة للأخرة
، وهي ليست حياة إذا ما قورنت بالأخرة من حيث الحركة المستمرة ، والأخرة كلها حركة

(1) مفردات ألفاظ القرآن للراغب الأصفهاني / 269 مادة حي .

(2) تفسير الطبرى : ج 10 / 159 .

(3) تفسير غريب القرآن لابن قتيبة / 339 .

(4) الكشاف للزمخشري : ج 3 / 195 .

وفيها سعي وتفكر وانتقال وليس فيها نوم ، ولو استعملت كلمة الحياة لدلت على التقلب فقط ولم تدل على الحركة والحدث فناسب ذكر كلمة الحيوان والله أعلم .

الكلمة الثالثة والثلاثون : اللائي من قوله تعالى :

﴿وَمَا جَعَلَ أَزْوَاجَكُمُ الَّتِي تُظَهِرُونَ مِنْهُنَّ أَمْهَاتُكُمُ﴾⁽¹⁾

قال الله : (اللائي) ولم يقل (اللاتي) حيث أن كلمة (اللائي) مأخوذة من الأيء ومعناها الشدة والأواء ، ولوحظ أن كلمة (اللائي) تذكر في آيات الطلاق والظهار التي فيها شدة وضيق نفسي على الزوجين ، أما كلمة (اللاتي) فتذكرة في جميع الحالات ، وهذه دقة ألفاظ القرآن الكريم ومناسبتها للمقام ، فجل الله في علاه .

(اللاء : اسم موصول لجماعة النساء فهو اسم جمع (التي) لأنه على غير قياس صيغ الجمع ، وفيه لغات : اللاء واللائي واللائي⁽²⁾)

(الأواء : الشدة ، ويقال : فعل ذلك بعد لأيء ، أي شدة ومنه الحديث : { من كان له ثلات بنات فصبر على لأوائهن وضرائهن وسرائهن ، أدخله الله الجنة بفضل رحمته إياهن ، فقال رجل : أو ثنتان يا رسول الله ؟ قال : أو ثنتان . فقال رجل : أو واحدة يا رسول الله ؟ قال : أو واحدة . }⁽³⁾)

(الأيء : الإبطاء والاحتباس ، والعرب تقول : لأيأ عرفت ، وبعد لأيء فعلت ، أي بعد جهد ومشقة ، وفعلت كذا بعد لأيء ، أي بعد شدة وإبطاء ، واللائي : المشقة والجهد ، واللائي : الشدة في العيش ، واللاؤاء : الشدة وضيق المعيشة ، ومنه الحديث : قال له : { ألسست تحزن ؟

(1) من سورة الأحزاب 33 : الآية / 4 .

(2) التحرير والتنوير لابن عاشور : ج 21 / 184 .

(3) رواه الإمام أحمد : ج 2 / 335 رقم الحديث : 8406 ، المستدرك على الصحيحين للحاكم : ج 4 / 176 . ورواه البخاري في الأدب المفرد : 76 (41 / 1) وابن ماجه : 3669 (2 / 1210) ، قال الألباني : صحيح في تعليقه على الأدب المفرد وابن ماجه ، وقال شعيب الأرنؤوط : إسناده صحيح في تعليقه على مسند أحمد .

(4) بجمل اللغة لابن فارس : ج 3 / 800 مادة لأء .

أَلست تُصْبِيكُ الْأَوَاءِ؟ {^١} ، وَمِنْهُ الْحَدِيثُ الْآخَرُ : { مَنْ صَبَرَ عَلَى الْأَوَاءِ الْمَدِينَةَ }^(٢)
وَالْأَوَاءُ : الْمَشْقَةُ وَالشَّدَّةُ ، وَقَيْلٌ : الْقَحْطُ^(٣)

وَهَكُذَا نَجَدُ أَنَّ كَلْمَةَ (الْلَّائِي) أَتَتْ فِي أَرْبَعِ مَوَاضِعٍ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ فِي مَقَامِ الظَّهَارِ
وَالْطَّلاقِ ، وَهِيَ مَوَاضِعٌ فِيهَا شَدَّةٌ وَالْأَوَاءُ فِي الْحَيَاةِ الْزَّوْجِيَّةِ ، فَنَاسِبُ أَنْ يَأْتِيَ اللَّهُ الْعَظِيمُ بِلِفْظِ (الْلَّائِي) فِي تِلْكَ الْمَوَاضِعِ لِمَنَاسِبَتِهَا لِمَقَامِهِ وَهَذَا هُوَ الْإِعْجَازُ الْبَيَانِيُّ .

الكلمة الرابعة والثلاثون : سديدا من قوله تعالى :

﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَتَقُولُوا إِلَهُكُمْ إِلَّا سَدِيدًا ﴾^(٤) ، سديدا أي مسددا كمن يسد إلى هدف ليصيبه ويتحقق غرضه
وغايته .

(والسدد : القصد في القول والوقف والإصابة ، والسدید والسداد : الصواب من القول ،
يقال : إنه ليسد في القول وهو أن يصيي السداد يعني القصد . والتسدید : التوفيق للسداد وهو
الصواب والقصد من القول والعمل ، ومنه الحديث : عن علي رضي الله عنه قال : قال لي رسول
الله صلى الله عليه وسلم : { قل اللهم اهدني وسددي ، واذكر بالهدي هدایتك الطريق ،
والسداد سداد السهم }^(٥) واذکر بالسداد تسديدک السهم أي إصابة القصد به)^(٦)
فكلمة (سديدا) تحمل المعنين : الصحة والصواب والقصد في القول ، إضافة إلى إصابة
المهدف وتسدید السهم .

(قولًا سديدا : قاصدا إلى الحق ، والسداد : القصد إلى الحق والقول بالعدل يقال : سدد
السهم نحو الرمية إذا لم يعدل به عن سمتها ، كما قالوا : سهم قاصد ، والمراد بهم عمما خاضوا

(1) رواه الإمام أحمد : ج 1 / 11 ، رقم الحديث : 68 ، المستدرک على الصحيحين للحاکم : ج 10 / 242 . قال
الحاکم : صحيح الإسناد ولم يخرجا .

(2) رواه مسلم : ج 7 / 123 ، باب الترغيب في سکنی المدینة ، رقم الحديث : 2448 .

(3) لسان العرب لابن منظور : ج 15 / 237 ————— 238 .

(4) من سورة الأحزاب 33 : (الآية / 70) .

(5) رواه مسلم : كتاب الذکر / رقم الحديث : 78 ، ج 17 / ص 43) ، واللفظ له .

(6) لسان العرب لابن منظور : ج 3 / 210 مادة سدد بتصرف .

فيه من حديث زينب من غير قصد ، وسداد القول رأس الخير كله : والمعنى : راقبوا الله في حفظ ألسنتكم وتسديد قولكم ، فإنكم إن فعلتم ذلك أعطاكم الله ما هو غاية الطلبة من تقبل حسناتكم والإثابة عليها ومن مغفرة سيئاتكم وتکفيرها)⁽¹⁾
فالقول السديد هو القول المستقيم الذي لا اعوجاج فيه ولا انحراف .

والقول السديد هو القول الصواب ، وقيل : الصدق أو العدل ، أو القصد في القول ، أي التوسط ، وتصب هذه المعانٰ كلها في قالب واحد ، فما كان صدقاً وعدلاً فهو الصواب ، ثم الاقتصاد في القول فلا يكثُر من الكلام بغير فائدة .

(قوله سديداً : قاصداً ومتوجهاً إلى هدف الحق ، يقال : سدد سهمه إذا وجهه للغرض المرمى ، ولم يعدل به عن سنته)⁽²⁾

(قوله سديداً : أي قصداً وحقاً ، وقال ابن عباس : أي صواباً ، وقال عكرمة وابن عباس : القول السداد : لا إله إلا الله ، وقيل : هو الذي يوافق ظاهره باطنه . وقيل : هو ما أريد به وجه الله دون غيره ، وقيل : هو الإصلاح بين المتشاجرين ، وهو مأخوذ من تسديد السهم ليصاب به الغرض ، والقول السداد يعم الخيرات فهو عام في جميع ما ذكر وغير ذلك)⁽³⁾
وهكذا اختار الله لفظة (سديداً) لأهمية اختيار الألفاظ والكلمات الحسنة في الدين

الإسلامي ، قال الله جل شأنه : ﴿ وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا أَتَّى هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَنَ يَنْزَعُ بَيْنَهُمْ إِنَّ الشَّيْطَنَ كَانَ لِإِنْسَنٍ عَدُوًّا مُّبِينًا ﴾⁽⁴⁾ ، وقال جل شأنه : ﴿ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنَا ﴾⁽⁵⁾ ، وقال الله مخبراً عن أهل الجنة : ﴿ وَهُدُوا إِلَى الْطَّيِّبِ مِنَ الْقَوْلِ ﴾⁽⁶⁾.

والقول يكون ببابا عظيمها من أبواب الخير ، ويكون كذلك من أبواب الشر ، ويشمل القول السديد ما هو تعبير عن إرشاد من أقوال الأنبياء والعلماء والحكماء ، وما هو تبليغ لإرشاد غيره

(1) الكشاف للزمخشري : ج 3 / 248 .

(2) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثانى للألوسي : ج 22 / 95 .

(3) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي : ج 14 / 162 .

(4) من سورة الإسراء 17 : (الآية / 53) .

(5) من سورة البقرة 2 : (الآية / 83) .

(6) من سورة الحج 22 : (الآية / 24) .

من مأثور أقوال الأنبياء والعلماء ، فقراءة القرآن على الناس من القول السديد ، ورواية حديث الرسول صلى الله عليه وسلم من القول السديد ، وكذلك نشر أقوال الصحابة والحكماء وأئمة الفقه ، ومن القول السديد الأذان والإقامة ، قال الله تعالى : ﴿إِلَيْهِ يَصَدُّدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ﴾^(١) ، فالقول السديد تشيع الفضائل والحقائق بين الناس فيرغبون في التخلق بها ، وبالقول السيء تشيع الضلالات فيغتر الناس بها ويحسّبون أنهم يحسنون صنعا ، والقول السديد يشمل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .

وَمَا فِي التَّقْوَىٰ وَالْقَوْلُ السَّدِيدُ : ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا﴾
من وسائل الصلاح جعل للاتي بهما جزاء بإصلاح الأعمال ومغفرة الذنوب .

الكلمة الخامسة والثلاثون :

نجبه من قوله تعالى : ﴿فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَحْبَهُ﴾ .⁽²⁾

كلمة نحبه لها معنيان : الأول : النذر ، والثاني : الأجل . (النحب : النذر المحكوم بوجوبه ،

يقال : قضى فلان نحبه أى : وفي بنـ ذره . قال تعالى :

فِمِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ ﴿٢﴾، ويعبّر بذلك عن من مات ، كقولهم : قضى أجله واستوفى أكله ، وقضى من الدنيا حاجته ^(٣).

(قضى نحبه) ندره ، والنحب أيضاً النفس يعني الأجل . ومن هنا يتبيّن أن الكلمة نحبه لها معنيان : الأول : النذر وما يلتزم به الإنسان من عهد ونحوه ، والثاني : النفس أو الأجل ، وكأن الله باختيار هذه اللفظة أراد المعنيين ، فكأن هذا الميت أو الشهيد قد مات وانتهى أجله ، وكأنه قد وفِي بندره مع الله ، في أن تكون حياته وأنفاسه في طاعة الله ، حيث ختم حياته بشهادة في سبيل الله إرضاء الله ، ووفي بعهده مع الله .

. (1) من سورة فاطر الآية / 35 : (1)

(2) من سورة الأحزاب 33 : (الآية / 23) .

(3) مفردات لفاظ القرآن للراغب الأصفهاني : 794 مادة نحب .

قال ابن قتيبة : (قضى نحبه أي قتل ، وأصل النحب : النذر ، وكأن قوماً نذروا أئمهم إن لقوا العدو قاتلوا حتى يقتلوا ، أو يفتح الله عليهم فقتلوا ، فقيل : فلان قضى نحبه أي قتل ، فاستغير النحب مكان الأجل ، لأن الأجل وقع بالنحب ، وكان النحب سبباً له)⁽¹⁾
 (قضى نحبه : ما التزمه الإنسان واعتقد الوفاء به ، ولهذا يقال : نحب فلان أي : نذر نذراً التزمه ، ويعبر به عن الموت كقولهم : (قضى أجياله) لما كان الموت لا بد منه جعل كالشيء الملتزم)⁽²⁾
 والنحب : النذر والعهد ، وقيل : النحب الموت ، أو الوقت والمدة . (والنحب : النذر المحكوم بوجوبه ، يقال : قضى فلان نحبه أي وفي بندره ، والنذر : الشيء الذي يتزمه الإنسان ويعتقد الوفاء به ، وشاع : قضى فلان نحبه بمعنى مات ، إما على أن النحب مستعار استعارة تصريحية للموت ، لأن كنذر لازم في رقبة كل إنسان ، والقرينة حالية والقضاء ترشيح ، وإما على أن قضاء النحب مستعار له)⁽³⁾

﴿فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَحْبَهُ﴾ تفصيل الحال الصادقين وتقسيم لهم إلى قسمين ، والنحب: النذر وهو أن يلتزم الإنسان شيئاً من أعماله ويوجهه على نفسه ، وقضاءه الفراغ منه والوفاء به سواء كان النذر على حقيقته أو كان مستعاراً ، ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْظَرُ﴾ وفي وصفهم بالانتظار المنبي عن الرغبة في المنتظر ، شهادة حقة بكمال اشتياقهم إلى الشهادة .
 وقضى نحبه : التزم الصير إلى موت أو فتح فمات ، (ويقال للذي جاهد في أمر حتى مات : قضى فيه نحبه ، ويقال لمن مات : قضى فلان نحبه ، وهذا تجوز كأن الموت أمر لابد للإنسان أن يقع به فسمي نحباً)⁽⁴⁾

الكلمة السادسة والثلاثون : سراج من قوله تعالى :

(1) زاد المسير في علم التفسير لابن الجوزي : ج 6 / 371 - 372 .

(2) الدر المصنون في علوم الكتاب المكتون للسميين الحلي : ج 9 / 111 - 112 .

(3) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني للألوسي : ج 21 / 170 .

(4) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز لابن عطية : ج 4 / 378 .

(٤٦) وَدَاعِيًّا إِلَىٰ اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا

(سرج : السين والراء والجيم أصل صحيح يدل على الحسن والزينة والجمال ، من ذلك السراج ، سمي لضيائه وحسنه ، ومنه : السرج للدابة هو زينته ، ويقال : سرج وجهه ، أي حسنه كأنه جعله له كالسراج)^(٢)

فكلمة السراج لها معنيان : 1) الحسن والجمال ، 2) الضياء والزينة .

قوله تعالى : (وَسِرَاجًا مُّنِيرًا) وصف الله تعالى رسوله صلى الله عليه وسلم بكونه سراجاً منيراً ، لأنَّه عليه الصلاة والسلام أضاءت الدنيا به وبشريعته بعد أن كانت مظلمة بالكفر ، والسراج هو الظاهر بفتيله ودهن ، ثم يعبر به عن كل ضيء ثاقب ، ولذلك وصف أضواء النبات وهو الشمس بأنه سراج فقال : (وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجًا)^(٣) ، وأسرحت السراج أوقاتها ، وسرحت الشيء جعلته في الحسن كالسراج .

(سماه سراجاً منيراً لأنَّه جلا به ظلمات الشرك ، واهتدى به الضالون ، كما تخلَّى ظلام الليل بالسراج المنير ، وقيل معناه : أمَّدَ الله بنور نبوته نور البصائر كما يمد بنور السراج نور الأ بصار ، ووصفه بالإلَّارة لأنَّ من السرج ما لا يضيء ، فإن قلت : لم سماه سراجاً ولم يسمه شمساً ، والشمس أشد إضاءة من السراج وأنور ؟ قلت : نور الشمس لا يمكن أن يؤخذ منه شيء بخلاف نور السراج فإنه يؤخذ منه أنوار كثيرة)^(٤)

(وسراجاً منيراً : أي وأمرك ظاهر فيما جئت به من الحق كالشمس في إشراقها وإضاءتها لا يحدها إلا معاند)^(٥)

(١) من سورة الأحزاب 33 : الآية / 46 .

(٢) معجم مقاييس اللغة لابن فارس : ج 3 / 156 .

(٣) من سورة نوح 71 : الآية / 16 .

(٤) تفسير الخازن : ج 3 / 471 .

(٥) تفسير القرآن العظيم للإمام الحافظ أبي الفداء إسماعيل بن كثير الدمشقي ، دار الجليل ، بيروت ، ط 2 ، 1410 هـ 1990 م : ج 3 / 478 .

فالرسول صلى الله عليه وسلم سراج ، ومعنى ذلك أنه ينطبق عليه معانٍ للسراج من الحسن والزينة والجمال والضياء . فهو تشبيه بلٰغ أي أرسلناك كالسراج المنير كما يضيء السراج الوقاد ظلمة المكان ، والعلم يشبه بالنور فناسبه السراج المنير .

ووصف السراج بالمنير لإفادته قوّة معنى الاسم في الموصوف به الخاص ، فإن هدي النبي صلى الله عليه وسلم هو أوضح الهدى ، وإرشاده أبلغ إرشاد .

(واعلم أن الله تعالى شبه نبينا عليه السلام بالسراج لوجه :

الأول : أنه يستضاء به في ظلمات الجهل والغواية ، ويهدى بأنواره إلى مناهج الرشد والهدى ، كما يهتدى بالسراج المنير في الظلام .

والثاني : أن السراج الواحد يوقظ من أهل سراج ، ولا ينفع من نوره شيء . ألا ترى أن نور القمر مستفاد من الشمس ونور الشّمس بجهة . أي يدنا محمدا عليه السلام شمس من فضل الله طلعت على العالمين .

والثالث : أنه عليه السلام يضيء من جميع الجهات إلى جميع العالم ، كما أن السراج يضيء من كل جانب ، وأيضاً يضيء لأمته كلهم كالسراج لجميع الجهات إلا من عمي فإنه لا يستضيء بنوره ولا يراه حقيقة كما قال تعالى : ﴿ وَتَرَنُهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لَا يُبَصِّرُونَ ﴾ (١)

(1)

والرابع : أنه عليه السلام عرج به من العالم السفلي إلى العالم العلوي ، ومن الملك إلى الملائكة وقرب وأدنى ، إلى أن نور سراج قلبه بنور الله بلا واسطة ملك أونبي ، فهو الذي جعل الله له نورا فأرسله إلى الخلق ، ووصفه تعالى بالإلإارة حيث قال (منيرا) لزيادة نوره وكماله فيه ، فإن بعض السراج له فتور لا ينير . ويقال : سماء سراجا ولم يسمه شمسا ولا قمرا ولا كوكبا

(1) من سورة الأعراف 7 : الآية / 198 .

لأنه لا يوجد يوم القيمة شمس ولا قمر ولا كوكب ، ولأن الشمس والقمر لا يقلان من موضع إلى موضع بخلاف السراج ، ألا ترى أن الله نقله عليه السلام من مكة إلى المدينة⁽¹⁾

وهكذا اختيار الله لكلمة (السراج) لتعطي هذين المعنين : 1) الحسن والجمال ، 2) والزينة والضياء . فما كان مضيقاً ومنيراً قد لا يكون حسناً وجميلاً ، ولكن كلمة السراج تجمع هذين المعنين: الحسن والجمال ثم الزينة والضياء ، ولذلك سمى الله الشمس سراجاً : ﴿وَجَعَلَ

الشَّمْسَ سِرَاجًا﴾⁽²⁾

الكلمة السابعة والثلاثون : منسأته من قوله تعالى :

﴿فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ الْمَوْتَ مَا دَلَّمُ عَلَىٰ مَوْتِهِ إِلَّا دَابَّةُ الْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنْ سَأَتْهُ﴾⁽³⁾

(النون والسين والياء { نسي } أصلان صحيحان يدل أحدهما على إغفال الشيء ، والثاني على ترك شيء . وإذا همز تغير المعنى إلى تأثير الشيء ، والنسيئة : بيعك الشيء نساء وهو التأثير ، تقول : ننسأ الله في أجلك وأنسأ أجلك : آخره وأبعده ، ونسأتها : ضربتها بالمنسأة : العصا ، وهذا أقيس ، لأن العصا كأنه يبعد بها الشيء ويدفع)⁽⁴⁾

(قال الزجاج : وإنما سميت منسأة ، لأنه يُنسأ بها ، أي يُطرد ويزجر)⁽⁵⁾

(قرأ ابن ذكوان⁽⁶⁾ : مِنْسَأَتِه بتسكين المهمزة ، وقرأ نافع وأبو عمرو : مِنْسَأَتِه بإبدال المهمزة

ألفا ،

. 244 ————— 243 / ج 3 (1) تنوير الأذهان من تفسير روح البيان للشيخ إسماعيل حقي البروسوي :

(2) من سورة نوح 71 : (الآية / 16) .

(3) من سورة سباء 34 : (الآية / 14) .

. 422 ————— 421 / ج 5 (4) معجم مقاييس اللغة لابن فارس :

. 441 / ج 6 (5) زاد المسير في علم التفسير لابن الجوزي :

(6) ابن ذكوان : عبد الله بن أحمد بن بشر بن ذكوان الدمشقي ، شيخ الإقراء بالشام ، وإمام جامع دمشق ، ولد سنة 173هـ ، وتوفي سنة 242هـ . تراجم القراء للشيخ فائز عبد القادر : ج 20/1 .

والباقيون : مِنْسَأَتَهُ)⁽¹⁾ .

وقد قال الله كلمة (منسأته) حيث أراد بها المعنيين : العصا ، والمعنى الثاني : التأخير ، وذلك لأن سيدنا داود عليه السلام كان أسس بيت المقدس ثم مات فبنيه سيدنا سليمان عليه السلام بعده ، وسخر الجن في عمله ، وقد كان بقي من إتمامه بعد موته بناء سنة ، فسأل الله تعالى ألا يعلم الجن موته حتى يتموا البناء فأتموه .

ثم دلتهم دابة الأرض في أكل منسأته على موته بعد سنة من موته ، لأنه سقط عنها حين أكلتها الأرض فعلمت الجن أنه قد مات .

ف nanopas أن يذكر الله كلمة المنسأة في حين ذكر الله كلمة العصا في مواضع أخرى من القرآن الكريم ، قال الله تعالى : ﴿ وَمَا تِلْكَ يِمِينِكَ يَمُوسَى ﴾⁽¹⁷⁾ قَالَ هِيَ عَصَائِي أَتَوْكَئُ عَلَيْهَا ⁽²⁾ .

لأن في القصة معنى التأخير حيث تأخر علمهم بموته سنة ، فسبحان الله العلي القدير الذي اختار كلمة (منسأته) في هذا الموضع لمناسبة المقام .

(والنسأ : عصاً ينسأ به الشيء أي يؤخر . قال تعالى : { تَأْكُلُ مِنْسَأَتَهُ } ونسأت الإبل في ظمنها يوماً أو يومين أي أخرت)⁽³⁾

(تأكل منسأته : أي عصاه سميت بذلك لأنها ينسأ بها أي يؤخر)⁽⁴⁾

(منسأته : من نسأت البعير إذا زجرته ليزداد سيره ، كما يقال : نسأت اللبن : إذا صببت عليه الماء وهو النسيء ، وكما يقال : نسأ الله في أجلك أي أدام الله في أيام حياتك)⁽⁵⁾

⁽¹⁾ الراوي في شرح الشاطبية في القراءات السبع لعبد الفتاح عبد الغني القاضي ، مكتبة الدار ، المدينة المنورة ، ط 2 ، 1410هـ 1989م ، ص 346 .

⁽²⁾ من سورة طه 20 : (الآياتان / 17 — 18) .

⁽³⁾ مفردات ألفاظ القرآن للراغب الأصفهاني : 804 مادة نسا .

⁽⁴⁾ عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ للسمين الحلبي : 572 مادة نسا .

⁽⁵⁾ تفسير الطبرى : ج 10 / 357 .

الكلمة الثامنة والثلاثون : الأرائك من قوله تعالى :

﴿أَلْأَرَائِكَ مُتَّكِعُونَ﴾⁽¹⁾

الأرائك : السرر التي عليها الحجال . وهكذا كانت الكلمة للأرائك قمة النعيم حيث جمعت بين المعنين : السرر والحجال . (والحجلة : ساتر كالقبة يزين بالثياب والستور للعروس ، وستر يضرب للعروس في جوف البيت جمع حجل وحجال⁽²⁾) وهذا مثل الكلمة مائدة تعني خوان عليه طعام ، فلا يقال : مائدة إلا للخوان الذي عليه طعام .

(قال تعالى : { عَلَى الْأَرَائِكِ } جمع أريكة ، والأريكة : كل ما اتكى عليه ، والسرير إن كان منفردا فليس بأريكة ، وتسميتها بذلك إما أنها على الأرض متعدنة من الأراك ، وإما لكونها مكانا للإقامة ، ثم عُبر به عن كل إقامة)⁽³⁾

(والأرائك : الفرش في الحجال ، ولا تكون الأريكة إلا بمحملة وسرير ، وقال ابن قتيبة : الأرائك : السرر في الحجال واحدتها أريكة ، ولا تكون الأريكة إلا سريرا في قبة عليه شواره ومتاعه ، قال ابن قتيبة : الشوار مفتوح الشين وهو متاع البيت ، وقال الرجاج : الأرائك : الفرش في الحجال)⁽⁴⁾

الكلمة التاسعة والثلاثون : دحورا من قوله تعالى :

﴿دُحُورًا وَلَهُمْ عَذَابٌ وَاصْبِ﴾⁽⁵⁾ ، الدحر هو الدفع بعنف .

(دحورا فيه تأويلا : أحدهما : قذفا في النار ، قاله قنادة . والثاني : طردا بالشهب ، وهو معنى

(1) من سورة يس 36 : الآية / 56 .

(2) المعجم الوسيط لمجموعة من المؤلفين : 158 مادة حجل .

(3) عمدة المخاطب في تفسير أشرف الألفاظ / 15 مادة أرك .

(4) زاد المسير في علم التفسير لابن الجوزي : ج 5/ 138 .

(5) من سورة الصافات 37 : الآية / 9 .

قول مجاهد ، قال ابن عيسى : والدحور : الدفع بعنف)⁽¹⁾

قال الله تعالى : ﴿ قَالَ أَخْرُجْ مِنْهَا مَذْءُومًا مَّذْهُورًا ﴾)⁽²⁾

وهكذا دقة ألفاظ القرآن ، فالدحور هو الدفع لكن ليس أي دفع ، دفع بعنف . والدحور هو الطرد والإبعاد ، والطرد يوحي بمعنى العنف .

الكلمة الأربعون : واصب من قوله تعالى :

﴿ ذُهُورًا وَلَهُمْ عَذَابٌ وَاصْبُ ﴾)⁽³⁾

(واصب : فيه وجهان ، أحدهما : دائم ، والثاني : أنه الذي يصل وجعه إلى القلوب مأخذ من الوصب)⁽⁴⁾

وفي زاد المسير : (وفي الواصب قولان : أحدهما : أنه الدائم ، والثاني أنه الموجع)⁽⁵⁾
فاختار الله كلمة واصب : أي دائم غير منقطع ، من وصب الأمر إذا دام ، وللمعنى الثاني : أنه الشديد الموجع الذي يصل وجعه إلى القلوب من الوصب وهو المرض ، وهذا العذاب هو الشهب التي تحرق الشياطين الذين يحاولون استراق السمع ، وهذا العذاب دائم إلى يوم القيمة لا ينتهي ، وهو شديد موجع ومحرق حيث يحرق الشيطان الذي يسترق السمع .

الكلمة الواحدة والأربعون : مناص من قوله تعالى :

1) النكت والعيون للماوردي : ج 5 / 39 .

2) من سورة الأعراف : (الآية / 18) .

3) من سورة الصافات 37 : (الآية / 9) .

4) النكت والعيون للماوردي : ج 5 / 39 .

5) زاد المسير لابن الجوزي : ج 7 / 47 .

﴿فَنَادَوْا وَلَاتَ حِينَ مَنَاصٍ ۚ﴾^(١) المناص : المفر والفرار ، فيكون معنى الآية: ليس حين فرار ، والمناص أيضا هو المنجى والفوز ، ويقال أيضا : ناص في البلاد أي ذهب فيها ، فيكون معنى ليس حين مطلب ولا مذهب .

(المناص هو الفرار ، قال الفراء^(٢) : النوص في كلام العرب : التأخر ، وقال أبو عبيدة : المناص مصدر ناص ينوص وهو المنجى والفوز)^(٣) ومعنى الآية : أنهم حين عاينوا الموت لم يستطيعوا فرارا من العذاب ولا رجوعا إلى التوبة . (ولات حين مناص : أي وليس الحين حين فوت ، وفرار ، وبناءة لكونه حالة اليأس ، والمناص : الهرب والمنجى ، يقال : ناص ينوص إذا هرب طلبا للنجاة)^(٤) وهكذا يتبين لنا أن كلمة مناص جمعت بين المعنيين الهرب والنجاة ، فهو هرب طلبا للنجاة ، وليس أي هرب .

ولذلك اختار الله كلمة مناص مع الكفار حين عاينوا العذاب ، لتصور رغبتهم في الهرب طلبا للنجاة ، ولكن ألم لهم ذلك ؟!

الكلمة الثانية والأربعون : مقرنين من قوله تعالى : **﴿سُبْحَنَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا**

وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ ۚ﴾^(٥)

(مقرنين : أي ضابطين مطيقين ، يقال فلان مقرن لفلان أي ضابط له . يقال : أقرنت لك أي صرت لك قرنا ، وقيل : مماثلين في الأيدي والقوة من قولهم : هو قرن فلان إذا كان مثله في القوة)^(٦)

(١) من سورة ص 38 : (الآية / ٣) .

(٢) الفراء : يحيى بن زياد ، وكان يكنى بأبي زكريا ، مات سنة 207هـ ، من آثاره : المصادر في القرآن ، آلة الكتاب . ينظر المعرف / 303 ، ومعجم المؤلفين : 13/198 ، وبغية الوعاة : 2/333 ، وتمذيب الأسماء واللغات : 2/280 .

(٣) زاد المسير في علم التفسير لابن الجوزي : ج 7 / 101 — 102 .

(٤) تنوير الأذهان من تفسير روح البيان للشيخ إسماعيل البروسوي : ج 3 / 358 .

(٥) من سورة الزخرف 43 : (الآية / ١٣) .

(٦) غريب القرآن وتفسيره لعبد الله بن يحيى البزيدي : 332 .

(مقرنين : أي مطيقين ، يقال : أنا مقرن لك أي مطيق لك ، ويقال هو من قوله : أنا قرن لفلان : إذا كنت مثله في الشدة ، وقيل : مقرنين : أي ضابطين ، يقال : فلان مقرن لفلان أي ضابط له)⁽¹⁾

وهذه العبارة : وما كنا له مقرنين ، جزء من دعاء ركوب الدابة ، فكأن الإنسان يقول : لم أكن يا رب لأطيق وأضبط هذه الدابة الكبيرة التي هي ليست مثلي في الشدة ، بل أنا إنسان ضعيف ، ولو لا تسخيرك لي يا رب هذه الدابة لم أستفد منها ، ولم أركب عليها بدون أذية وضرر .

(مقرنين : مطيقين ، يقال : أقرن الشيء إذا أطاقه ، وحقيقة أقرنه : وجده قرينته وما يقرن به ، لأن الصعب لا يكون قرينة للضعف)⁽²⁾

(مقرنين : أي مقاومين ، ولو لا تسخير الله لنا هذا ما قدرنا عليه ، قال ابن عباس رضي الله عنهما : مقرنين أي مطيقين)⁽³⁾

وهكذا كانت كلمات مقرنين تحمل المعنيين : مطيقين وضابطين أو مقاومين . ولو لا تسخير الله لنا هذه الدواب لما استطعنا الركوب عليها .

(وما كنا له مقرنين : أي مطيقين بتذليلها يعني ليس عندنا من القوة والطاقة أن نقرن هذه الدابة والفلك ، وأن نضبطها فسبحان من سخر لها هذا بقدرته وحكمته ، وهذا من تمام ذكر نعمته تعالى ، إذ بدون اعتراف المنعم عليه بالعجز عن تحصيل النعمة لا يعرف قدرها ولا حق المنعم بها ، قال في القاموس : أقرن الأمر : أطاقه وقوى عليه)⁽⁴⁾

(وما كنا له مقرنين : أي مطيقين ، وقيل : ضابطين)⁽⁵⁾

(وفي أصله قولان :

أحدهما : أن أصله مأخوذه من الإقران ، يقال : أقرن فلان إذا أطاق .

الثاني : أن أصله مأخوذه من المقارنة ، وهو أن يقرن بعضها بعض في السير .

(1) زاد المسير في علم التفسير لابن الجوزي : ج 7/ 304 .

(2) الكشاف للزمخشري : ج 3/ 413 .

(3) تفسير القرآن العظيم لابن كثير : ج 4/ 126 .

(4) تنوير الأذهان من تفسير روح البيان للشيخ إسماعيل البروسي : ج 4/ 7 .

(5) تفسير الخازن : ج 4/ 102 .

وحكى سليمان بن يسار⁽¹⁾ أن قوما كانوا في سفر ، فكانوا إذا ركبوا قالوا :
 سُبْحَنَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ ﴿١٣﴾ ، وكان فيهم رجل على ناقة له وهي لا تتحرك هزلا فقال : أما أنا فإن لهذه مقرن ، قال : فقصمت به فدقت عنقه⁽²⁾

الكلمة الثالثة والأربعون : العابدين من قوله تعالى :

﴿ قُلْ إِنَّ كَانَ لِرَحْمَنِ وَلَدٌ فَإِنَّا أَوَّلُ الْعَنِيدِينَ ﴾⁽³⁾ ﴿٨١﴾
 (عبد : العين والباء والدال أصلان صحيحان كأهما متضادان ، الأول يدل على لين وذل ، والآخر على شدة وغلظ ، فالأول عبد وهو المملوك ، والأصل الآخر العبة وهي القوة والصلابة ، ومن هذا القيل——اس : العبد مثل الأنف والحمية ، يقال : هو يعبد لهذا الأمر ، وفسر قوله تعالى : ﴿ قُلْ إِنَّ كَانَ لِرَحْمَنِ وَلَدٌ فَإِنَّا أَوَّلُ الْعَنِيدِينَ ﴾ أي أول من غضب عن هذا وأنف من قوله)⁽⁴⁾
 ومعنى الآية على هذا يتحمل الوجهين وهما :
 1) فأنا أول العابدين ، ولكن لم يكن ولا ينبغي أن يكون له ولد .
 2) إن كان للرحمٰن ولد فأنا أول الأنفين أن يكون له ولد .

(1) سليمان بن يسار : مولى ميمونة بنت الحارث الملالية زوج النبي صلى الله عليه وسلم ، وكان ثقة عاليا رفيعا فقيها كثير الحديث ، مات سنة سبع ومائة وهو ابن ثلاط وسبعين سنة . ينظر الطبقات الكبرى / 174—175 . بتصرف .

(2) النكت والعيون للماوردي : ج 5 / 218 .

(3) من سورة الزخرف 43 : (الآية / 81) .

(4) معجم مقاييس اللغة لابن فارس : ج 4 / 206 — 207 .

(فأنا أول العابدين : أي الموحدين من أهل مكة على أنه لا ولد له ، وقال مجاهد : المعنى إن كان للرحمٰن ولد فأنا أول من عبده وحده ، على أنه لا ولد له ، وقيل : إن معنى العابدين : الأنفين ، قال الجوهرى : قوله تعالى : { فأنا أول العابدين } من الأنف والغضب)⁽¹⁾ إذن اختار الله لفظة (العابدين) لتفيد المعنيين ، وكلامـاً مقصود ، الأول : الموحدين الله تعالى ، والثانـي : الأنفـين المستنكـفين .

(واختلف المفسرون في قوله تعالى : ﴿ قُلْ إِنَّ كَانَ لِرَحْمَنِ وَلَدٌ فَإِنَّا أَوَّلُ الْعَدِيدِينَ ﴾) فقالت فرقة : العابدون هو من العبادة ، وقالت فرقة : العابدون في الآية من عبد الرجل إذا أنف وأنكر الشيء⁽²⁾

(٤) قُلْ إِنَّ كَانَ لِرَحْمَنِ وَلَدٌ فَإِنَّا أَوَّلُ الْعَابِدِينَ ﴿١﴾ معناه إن كان للرحمٰن ولد في قولكم وعلى زعمكم ، فأنا أول من عبد الرحمن فإنه لا شريك له ولا ولد له ، وقال ابن عباس : إن كان أي ما كان للرحمٰن ولد فأنا أول من عبده بذلك ولكن لا ولد له ، وقيل : العابدين .معنى الآفرين ، أي أنا أول الحادحين المنكرين لما قلت ، وأنا أول من غضب للرحمٰن أن يقال له ولد)^(٣)

(فَلِإِنْ كَانَ لِرَحْمَنِ وَلَدٌ) وصح ذلك وثبت ببرهان صحيح توردونه ، وحججة واضحة تدللون بها (فَأَنَا أَوَّلُ الْعَبْدِينَ) فأنا أول من يعظم ذلك الولد ، وأسبقكم إلى طاعته والانقياد له ، كما يعظم الرجل ولد الملك لتعظيم أبيه ، وهذا كلام وارد على سبيل الفرض والتلميذ لغرض ، وهو المبالغة في نفي الولد والإطنان فيه ، وأن لا يترك الناطق به شبهة إلا مضمحة مع الترجمة عن نفسه بثبات القدم في باب التوحيد ، وذلك أنه علق العبادة بكينونة الولد وهي محال في نفسها ، فكان المعلق بها محالاً مثلها ، فهو في صورة إثبات الكينونة والعبادة ، وفي معنى نفيهما على أبلغ الوجوه وأقواها)⁽⁴⁾

. 80 _____ (1) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي : ج 16 / 79

(2) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز لابن عطية : ج 5 / 65 .

. 111 ————— 110 / ج 4 (3) تفسير الخازن :

. 427 _____ 426/3 : ج 3/ الكشاف للزمخشري

وهكذا يتبيّن لنا أن كل التفاسير ذكرت هذين المعنيين لكلمة العابدين ، فسبحان الله العظيم

الكلمة الرابعة والأربعون : رهوا من قوله تعالى : ﴿ وَاتْرُكِ الْبَحْرَ رَهْوًا إِنَّهُمْ

جُنْدٌ مُغَرَّقُونَ ﴿٤﴾⁽¹⁾

(رهو : الراء والهاء والحرف المعتل أصلان ، يدل أحدهما على دعة وخفض وسكون ، والآخر على مكان قد ينخفض ويرتفع .

فالأول : الرهو يعني البحر الساكن ، ويقولون : عيشُ راهُ أي ساكن . وأما المكان فالرهو : المنخفض من الأرض ويقال المرتفع . قال القتبي : الرهوة تكون المرتفع من الأرض وتكون المنخفض . وهو حرف من الأضداد⁽²⁾

فالرهو كلمة تدل على السكون والانخفاض . فالله عز وجل أمر سيدنا موسى عليه السلام أن يترك البحر ساكنا على حاله بعد أن مرّ بنو إسرائيل على الطريق اليابس داخل البحر ، وحتما كان طريقا منخفضا لأنه داخل البحر .

(﴿ وَاتْرُكِ الْبَحْرَ رَهْوًا ﴾ أي ساكن ، وقيل سعة من الطريق وهو الصحيح ، ومنه الرهاء: للمفارزة المستوية ، ويقال : لكل جوبة⁽³⁾ مستوية يجتمع فيها الماء رهو⁽⁴⁾)

(﴿ وَاتْرُكِ الْبَحْرَ رَهْوًا ﴾ أي ساكننا على حاله بعد أن انفرق لك ، ولا تأمره أن يرجع كما كان حتى يدخله فرعون وجندوه ، والرهو : مشي في سكون .

(قال قتادة : لما قطع موسى عليه السلام البحر ، عطف يضرب البحر بعصاه ليلتئم ،

وـ ﴿ وَاتْرُكِ الْبَحْرَ ﴾ اف أن يتبعه فرعون وجندوه ، فقيل له :

رهوا^{مع} أي كما هو طريقا يابسا⁽¹⁾

(1) من سورة الدخان 44 : (الآية / 24) .

(2) معجم مقاييس اللغة لابن فارس : ج 2 / 446 ————— 447 .

(3) جوبة : حفرة .

(4) مفردات ألفاظ القرآن للراغب الأصفهاني : 368 مادة رهو .

فالرهو في اللغة له معانٌ عدّة أهمّها : الساكن والفتحة الواسعة .

(الرهو فيه وجهان أحدهما : أنه الساكن . أراد موسى لما جاوز البحر أن يضربه بعصاه فينطبق كما ضربه ، فانفلق فأمر بأن يترك ساكننا على هيئته ، قارا على حاله من انتصاف الماء وكون الطريق ييسرا ، لا يضربه بعصاه ولا يغير منه شيئاً ليدخله القبط ، فإذا حصلوا فيه أطبقه الله عليهم ، والثاني أن الرهو : الفتحة الواسعة ، أي اتركه على حاله منفرجا)⁽²⁾ وهكذا يتبيّن لنا أن الله جل جلاله أمر سيدنا موسى عليه السلام أن يترك البحر ساكننا فلا يضربه بعصاه ، ويتركه أيضاً مفتوحاً على حاله منفرجا .

(واترك البحر رهوا : أي بحر القلزم وهو الأظهر الأشهر أو النيل ، حال كونه رهوا أي ذا رهو أو راهيا مفتوحاً على حاله منفرجا ، ولا تخف أن يتبعك فرعون وقومه ، أو ساكننا على هيئته بعد ما جاوزته ، ولا تضربه بعصاك لينطبق ، ولا تغيير عن حاله ليدخله القبط ، فإذا دخلوا فيه أطبقه الله)⁽³⁾

فكانت لفظة رهوا تعطي هذين المعنين ، أي اتركه على حاله ساكن ، ولا تضربه إطلاقاً لينطبق ، بل اتركه مفتوحاً منفرجاً ، لأن القبط لو رأوا أدنى تغيير لما دخلوا البحر ، والله لحكمة عظيمة خفية أراد أن يهلكهم غرقاً في البحر ، لأن فرعون كان يفتخر بالأكمار تجري من تحته ، فعاقبه الله من جنس ما تكبر به ، والجزاء من جنس العمل ، وإنما قادر على أن يهلكهم في البر كما أهلك الأمم السابقة .

الكلمة الخامسة والأربعون : موسعون من قوله تعالى :

﴿ وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِإِيمَادٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ ﴾⁽⁴⁾

(وسع : الكلمة تدل على خلاف الضيق والعسر ، يقال : وسع الشيء واسع ،
والواسع : الغنى ، والله الواسع أي الغني ، والواسع : الجدة والطاقة)⁽¹⁾

(1) زاد المسير في علم التفسير لابن الجوزي : ج 7 / 344 .

(2) الكشاف للزمخشري : ج 3 / 432 .

(3) تنوير الأذهان من تفسير روح البيان للشيخ إسماعيل حقي البروسوي : ج 4 / 31 .

(4) من سورة الذاريات 51 : (الآية / 47) .

فالوسع له معنيان : الاتساع والغنى والطاقة .

(٤٧) وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْمَدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ أي أنها مع سعتها سعة متزايدة مفرطة قوية فإن الأيد القوة ، وذلك أن من عادة الأجرام المبسطة إذا تزايدت سعتها وامتدادها ضعفت وتداعت ، وما أحسن تلك السعة مع السماوات والمهد مع الأرض ، حيث كانت السماوات بقدر الأرض مرارا خارجة عن الحصر والعد^(٢) ولذلك ورد في أقوال العلماء ما يؤيد هذين المعنيين :

(وإننا موسعون : ١) موسعون في الرزق بالمطر . (٢) موسعون السماء^(٣) فالقول الأول يؤيد معنى الغنى والطاقة ، والقول الثاني يؤيد معنى الاتساع . (وإننا موسعون : لقادرون من الوسع بمعنى الطاقة ، والموضع القادر على الإنفاق ، أو موسعون في السماء ، أي جعلوها واسعة أو ما بينها وبين الأرض)^(٤) وهكذا يتبيّن لنا أن كلمة : موسعون لها معنيان : المعنى الأول : توسيع الأشياء قوة وقدرة ، والمعنى الثاني : أي جعلناها واسعة ، أي موسعون في بناء السماء .

(ومفعول موسعون مخدوف أي موسعون بناها ، ويجوز أن لا يقدر له مفعول ، لأن معناه: لقادرون ، من قولك : ما في وسعي كذا ، أي : ما في طاقتني وقوتي)^(٥) (وإننا موسعون : قيل هو من السعة ، أي أوسعنا السماء بحيث صارت الأرض وما يحيط بها من السماء والفضاء بالنسبة إلى سعة السماء كالحلقة الملقة في الفلاة ، وقال ابن عباس : معناه قادرون على بنائها كذلك)^(٦)

(١) معجم مقاييس اللغة لابن فارس : ج ٦ / ١٠٩ . مادة وسع .

(٢) عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ للراغب الأصفهاني : ج ٦٣١ مادة وسع .

(٣) النكت والعيون للمماوردي : ج ٥ / ٣٧٣ .

(٤) تنوير الأذهان من تفسير روح البيان للشيخ إسماعيل البروسوي : ج ٤ / ١٥٣ .

(٥) الدر المصون في علوم الكتاب المكتوب للسمين الحلبي : ج ١٠ / ٥٨ .

(٦) تفسير الخازن : ج ٤ / ١٨٤ .

(وإنما موسعون : لقادرون من الوع و هو الطاقة ، والموضع القوي على الإنفاق ، وعن الحسن : موسعون الرزق بالمطر ، وقيل : جعلنا بينها وبين الأرض سعة)⁽¹⁾

(قال ابن عباس : لقادرون ، وقيل : أي وإنما لذو سعة ، وبخلقها وخلق غيرها لا يضيق علينا شيء نريده ، وقيل : وإنما موسعون الرزق على خلقنا . عن ابن عباس أيضا ، الحسن : وإنما مطيون ، عنه أيضا : وإنما موسعون الرزق بالمطر ، وقال الضحاك : أغينياكم ، دليله : ﴿عَلَى الْمُؤْسِعِ قَدْرُهِ﴾⁽²⁾ ، وقيل : جعلنا بينهما وبين الأرض سعة . الجوهري : وأوسع الرجل أي صار ذا سعة وغنى ، ومنه قوله تعالى : ﴿وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدِيهِ وَإِنَّا لَمُؤْسِعُونَ﴾⁽³⁾ أي أغنياء قادر동 . فشمل جميع الأقوال)

الكلمة السادسة والأربعون : الفؤاد من قوله تعالى :

(الفؤاد كالقلب لكن يقال له فؤاد إذا اعتبر فيه معنى التفود ، أي التوقد ، يقال : فأدت اللحم : شويته ، ولحم فحيد : مشوي ، قال تعالى : ﴿مَا كَذَبَ الْفُؤُادُ مَا رَأَى﴾⁽⁴⁾ وقال تعالى : ﴿إِنَّ السَّمَعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤُادَ﴾⁽⁵⁾ ، وجمع الفؤاد أفندة ، قال تعالى : ﴿نَارُ اللَّهِ الْمُوْقَدَةُ﴾⁽⁶⁾ ﴿الَّتِي تَطَلَّعُ عَلَى الْأَفْنَدَةِ﴾⁽⁷⁾ وتخصيص الأفندة تنبيه على فرط تأثير له)

(1) الكشاف للزمخشري : ج 4 / 31 .

(2) من سورة البقرة 2 : (الآية / 236) .

(3) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي : ج 17 / 36 .

(4) من سورة النجم 53 : (الآية / 11) .

(5) من سورة الإسراء 17 : (الآية / 36) .

(6) من سورة الممزة 104 : (الآيات / 6 — 7) .

(7) مفردات ألفاظ القرآن للراغب الأصفهاني : 646 مادة فاد .

(و خص بالذكر لأنه ألطاف ما في البدن وأشده تأثيراً بأدنى شيء من الأذى ، وأنه من شأن العقائد الفاسدة ، ومعدن حب المال الذي هو منشأ الفساد والضلال ، وعنده تصدر الأفعال القبيحة)⁽¹⁾

والفؤاد هو قطب الجسد وقوام الحياة ، قال الرسول صلى الله عليه وسلم : { ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح سائر الجسد ، وإذا فسدت فسد الجسد كله ، ألا وهي القلب }⁽²⁾

فعندما يذكر الله كلمة الفؤاد يكون الموضع والمقام يحتاج إلى معنى التوقد والتيقظ والحضور ، مثل الموضع هنا في سورة النجم حيث كان الحبيب صلى الله عليه وسلم في رحلة علوية إلهية ، فكان في قمة التيقظ والنشاط والحضور . فأراد الله بكلمة الفؤاد هنا هذين المعنيين : الأول : القلب نفسه ، والثاني : معنى التوقد والتيقظ .

أما إذا ذكرت كلمة القلب وحدها فقد يكون القلب حاضراً وقد يكون غافلاً بدليل قوله صلى الله عليه وسلم : { واعلموا أن الله لا يستجيب دعاء من قلبٍ غافلٍ لاهٍ }⁽³⁾ (فأد : الفاء والألف والدال أصل صحيح يدل على حمى وشدة حرارة ، من ذلك : فأدت اللحم شويته ، وهذا فعيد أي مشوي ، ومن ذلك الفؤاد سمى بذلك لحرارته . والفاد مصدر فأدته : إذا أصبت فؤاده)⁽⁴⁾

(والفؤاد قيل هو القلب الذي يراد به العقل لا العضو المعروف ، وقال بعضهم : الفؤاد كالقلب لكن يقال له فؤاد إذا اعتبر فيه معنى التفاؤد أي التوقد ، يقال : فأدت اللحم شويته ، ولحم فعيد بمعنى مفروود ، قوله تعالى : ﴿مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى﴾^{١١} أي ما واطأ قلبه بصره ، والمعنى : أن الذي رأه حق يقين لا تخيل ، قوله تعالى : ﴿الَّتِي تَطَلَّعُ عَلَى الْأَفْعَدَةِ﴾

(1) نظم الدرر للبرهان البقاعي : 22 / 248 .

(2) رواه البخاري : (كتاب الإيمان / باب فضل من استبرأ لدينه 39 ، رقم الحديث : 52 ، ج 1 / ص 126) ومسلم : (مساقاة / رقم الحديث 107 ، ج 11 / ص 26) .

(3) رواه الترمذى : كتاب الدعوات باب 66 ، رقم الحديث : 3479 ، ج 5 / ص 483 . قال الترمذى : حديث غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه ، وقال الألبانى : حسن .

(4) معجم مقاييس اللغة لابن فارس : ج 4 / 469 .

٧

إِنَّمَا خَصَّهَا لِأَنَّهَا أَرْقَ شَيْءٍ فِي الْبَدْنِ وَأَخْفَاهُ ، إِنَّمَا وَصَلَ إِلَيْهَا الشَّيْءُ فَقَدْ تَنَاهَى
إِفْرَاطُهُ ، أَعَاذُنَا اللَّهُ بِكُرْمَهِ مِنْ نَفْحَاتِهِ^(١)

الكلمة السابعة والأربعون : ضيزي من قوله تعالى :

﴿ تِلْكَ إِذَا قِسْمَةً ضِيزَى ﴾^(٢) ٢٢

(أي ناقصة ، وقيل : جائرة ، يقال : ضازه يضيزه أي جار عليه في القسمة)^(٣)

(فالقسمة الضيزي : الناقصة ، يقال : ضرته حقه إذا منعته)^(٤)

فلفظة ضيزي لها معنيان : النقص والجور ، وكلاهما مقصودان في معنى الآية .

(قسمة ضيزي : أي جائرة عن العدل خارجة عن الصواب مائلة عن الحق ، يقال: ضاز في الحكم أي جار ، وضار حقه يضيزه ضيزاً أي نقصه وبخسه .

وقال الكسائي : يقال ضاز يضيز ضيزاً وضار يضوز ، وضار يضار ضازاً إذا ظلم وتعدى وبخس وانتقص)^(٥)

ولكلمة ضيزي قراءتان متواترتان حيث قرأ ابن كثير^(٦) كلمة ضئزي بالهمز ، وقرأ الباقون بدون همز : ضيزي .

وهكذا يتبيّن لنا أن الله اختار لفظة (ضيزي) لتحتمل المعنيين : النقص والجور ، منتهى النقص لحق الله ، حيث جعل الكفار الملائكة بنات الله ، وغاية الجور والظلم حيث جعلوا

(١) عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الأنفاظ للسمين الحلبي : 410 مادة فأد .

(٢) من سورة النجم ٥٣ : (الآية / ٢٢) .

(٣) عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الأنفاظ / 315 مادة ضيزي .

(٤) معجم مقاييس اللغة لابن فارس : ج ٣ / 380 مادة ضيز .

(٥) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي : ج ١٧ / 67 .

(٦) ابن كثير : عبد الله بن كثير بن عبد الله ، كان إماماً في القراءة بعكة المكرمة ، ولد 45 هـ - توفي 120 هـ ، وأشهر تلامذته البزي وقبل . ينظر القراءات وأثرها في العربية / ٥٧ .

الذكور لهم والأئشى التي يكرهونها الله ، تعالى الله عن ذلك ، وهذا سببه الجهل والكبر والعناد

، قال الله تعالى : ﴿ وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ ﴾⁽¹⁾

(ومعنى ضأزه يضأزه بالهمز : نقصه ظلما وجورا)⁽²⁾

﴿ تِلْكَ إِذَا قِسْمَةً ضِيزَى ﴾⁽³⁾ هذه اللفظة فيها توبیخ شديد للکفار على قسمتهم

الباطلة الظلمة الجائرة ، حيث فضلوا جانب أنفسهم على جنابه عز وجل حيث جعلوا له

تعالى الإناث واختاروا لأنفسهم الذكور فعلا ﴿ تِلْكَ إِذَا قِسْمَةً ضِيزَى ﴾⁽⁴⁾ (أي

جائرة ، حيث جعلتم له سبحانه ما تستنكفون منه . وقيل : منقوصة)⁽³⁾

(ضيزى : شديدة الضيّ ، وهذا وسم لهم بالجور زيادة على الكفر ، لأن التفكير في

الجور كفعله ، فإن تخيلات الإنسان ومعتقداته عنوان على أفكاره وتصرفاته)⁽⁴⁾

﴿ تِلْكَ إِذَا قِسْمَةً ضِيزَى ﴾⁽⁵⁾ قسمتكم هذه قسمة جائرة غير مستوية ، ناقصة غير

تامة ، لأنكم جعلتم لربكم من الولد ما تكرهون لأنفسكم ، وآثركم أنفسكم بما ترضونه .

والعرب تقول : ضيزته حقه بكسر الصاد ، وضيّزته بضمها فأنا أضيّزه وأضوزه ، وذلك إذا

نقصته حقه ومنعه)⁽⁵⁾

الكلمة الثامنة والأربعون : سامدون من قوله تعالى :

﴿ وَأَنْتُمْ سَمِدُونَ ﴾⁽⁶⁾

(سمد : السين الميم والدال أصل يدل على مضي قدما من غير تعریج . يقال : سمدت الإبل في سيرها ، إذا جدّت ومضت على رؤوسها .

(1) من سورة الزمر 39 : (الآية / 67) .

(2) الدر المصنون في علوم الكتاب المكتون للسمين الحلبي : ج 10/96 .

(3) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثانى للألوسي : ج 27/56 ————— 57 .

(4) التحرير والتنوير لابن عاشور : ج 27/112 .

(5) تفسير الطبرى : ج 11 / 521 .

(6) من سورة النجم 53 : (الآية / 61) .

ومن الباب السمود الذي هو اللهو ، والسامد هو اللاهي ، ومنه قوله جل وعلا :

وَأَنْتُمْ سَمِدُونَ ﴿٦﴾ أي لاهون . وهو قياس الباب لأن اللاهي يمضي في أمره غير معرج ولا متمنك^(١)

إذن كلمة السمود ليس معناها فقط اللهو ، وإنما يضاف إليها معنى آخر وهو المضي قدما في اللهو من غير تعرّج ولا ندم ولا رجوع إلى الصواب ، وهذا يعني الغفلة .

(٦١) ﴿وَأَنْتُمْ سَمِدُونَ﴾ أي لاهون ساهون ، سمد عن كذا أي سها عنه ، وعن ابن عباس: مستكرون ، وقيل : خاضعون ذليلون ، وقيل : سامدون : رافعون رؤوسهم، فيحتمل أن يكون ذلـك تكبـرا وأن يكون غفلة ، وهذه الحالة تكون هذين الشخصين (٢)

وهكذا لا يمنع أن يكون اللهو مع رفع الرأس من معاني السمود . فالسامد هو اللاهي الغافل الرافع رأسه ، إضافة إلى الاستمرارية في اللهو والغفلة .

وهكذا فعلاً كان وصف الكفار ، حيث كانوا يضحكون ولا يبكون ، ولا يتأثرون بمواعظ القرآن إلا من أراد الله له الهدى ، وهم سامدون مستمرون في لهوهم وغفلتهم ، قال

الله تعالى : ﴿٥٠﴾ قُلْ كُنُوا حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا ﴿٥٠﴾ أَوْ خَلْقًا مِمَّا يَكْبُرُ فِي صُدُورِكُمْ
فَسَيَقُولُونَ مَنْ يُعِيدُنَا قُلِ الَّذِي فَطَرَكُمْ أَوْلَ مَرَّةٍ فَسَيُنْغَضُونَ إِلَيْكَ رُؤُسُهُمْ وَيَقُولُونَ مَتَى
هُوَ قُلْ عَسَى أَنْ يَكُونَ قَرِيبًا ﴿٥١﴾ ^(٣)، ومعنى يغضون : يحرّكون رؤوسهم استهزاء .
والاستهزاء له سببان : الغفلة والكبير . وهذا ما يؤيد معنى السمود : هو وغفلة مع تحريك
الرأس كبرا واستهزاء بالإضافة إلى الاستمرارية في اللهو والغفلة .

(٦١) وَأَنْتُمْ سَمِدُونَ ﴿٦١﴾ أي لاهون معرضون ، عن ابن عباس . وقال عكرمة : هو الغناء ، يقال : سَمِّدْ لنا أي غنٌ لنا ، فكانوا إذا سمعوا القرآن يتلذّل津 تغنووا ولعبوا حتى لا يسمعوا

(1) معجم مقاييس اللغة لابن فارس : ج 3 / 100 .

(2) عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ للسمين الحلبي / 249.

(3) من سورة الإسراء 17 : الآياتان / 50 ————— 51 .

، وقال الضحاك : سامدون : شاحنون متكبرون ، وفي الصحاح : سمد سمودا رفع رأسه تكيرا
، وكل رافع رأسه فهو سامد .

والسمود : اللهو ، والسامد : اللاهي ، يقال للقينة : أسمينا ، أي أهينا بالغناء⁽¹⁾
والغناء أعظم أنواع اللهو ، ولذلك دخل من معانى السمود . فمعنى سامدون : متكبرون
، ولاهون غافلون مغنوون . بالإضافة إلى رفع الرأس والعناد والإصرار على المعصية والخطأ
التكير والغفلة) .

وهكذا اختار الله لفظة (سامدون) لتشمل هذين المعنيين المندرج تحتهما معان كثيرة،
وكلها تنطبق على الكفار المعارضين للدين في كل زمان ومكان .

(﴿ وَأَنْتُمْ سَمِدُونَ ﴾) أي لا هـون أو مستكبرون ، من سمد البعير إذا رفع
رأسه ، أو مغنوون ، لتشغلوا الناس عن استماعه من السمود (معنى الغناء)⁽²⁾
ومغنوون داخلة في معنى لا هون ، فالغناء نوع من أنواع اللهو . والسامد : اللاهي الرافع
رأسه المغني .

(سامدون : أي لا هون معرضون عن ابن عباس . وقال عكرمة : هو الغناء بلغة حمير ،
يقال : سمد لنا أي غن لنا ، فكانوا إذا سمعوا القرآن يتلى تغنووا ولعبوا حتى لا يسمعوا ، وقال
الضحاك : سامدون : شاحنون متكبرون ، وفي الصحاح : سمد سمودا : رفع رأسه تكيرا ، وكل
رافع رأسه فهو سامد . والمعروف في اللغة : سمد يسمد سمودا : إذا لها وأعرض⁽³⁾
من معانى كلمة سامدون : لا هون معرضون رافعوا رؤوسهم ، شاحنون متكبرون ، وفي لغة :
مغنوون .

(قال بعض أهل اللغة : الحزن والتحير ، اقتصر الفراء في معنى الكلمة بآية النجم على:
لا هون ، وفي تأویل الطبری : وأنتم لا هون عما فيه من العبر والذكر معرضون عنه ، وبنحو
ذلك قال أهل التأویل : وإن اختلفت ألفاظهم بالعبارة عنه ، وما روی منها عن ابن عباس قال

(1) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي : ج 17 / 80 .

(2) تفسیر أبي السعود : ج 8 / 166 .

(3) غریب القرآن وتفسیره لعبد الله بن یحيی الیزیدی / 357 .

هو الغناء وهي لغة أهل اليمن ، وعنه أيضا لاهون ، وعنه شامخون ، والسمود : اللهو ، والسامد : اللاهي والمغني والقائم والساكت والخاشع⁽¹⁾

من معاني كلمة سامدون أيضا من خلال هذا النص : قائمون ، ساكتون ، خاشعون ، حزينون ، متحيرون .

(سامدون : أي لاهون ساهون ، سمد عن كذا أي سهى عنه ، وعن ابن عباس : مستكثرون ، وقيل : خاضعون ذليلون ، أي لا تبكون في هذه الحالة بسبب التكبر والتجبر ، وقيل : سامدون رافعون رؤوسهم ، فيحتمل أن يكون ذلك تكريرا وأن يكون غفلة⁽²⁾ من معاني كلمة سامدون : خاضعون ذليلون ، غافلون ساهون . وكل هذه المعاني تنطبق على الكفار حين كان القرآن يتلى عليهم ، فهم فعلا يضحكون ولا يذكرون ، وهم خاضعون ذليلون ، ساكتون ليس لهم جواب ، شامخون رافعوا رؤوسهم متكبرون ، غافلون ساهون .

(وأنت سامدون : فيه خمسة أقوال :

أحدها : لاهون وبه قال الفراء والزجاج ، والثاني : معرضون قاله مجاهد ، والثالث : أنه الغناء رواه عكرمة عن ابن عباس ، والرابع : غافلون قاله قتادة ، والخامس : أشرون بطرورن قاله⁽³⁾ الضحاك)

وأنتم سامدون : أي وأنتم لاهون عما فيه من العبر والذكر ، معرضون عن آياته .

(والسمود قيل : الإعراض ، وقيل : اللهو ، وقيل : الج_______مود ، وقيل : الاستكبار ، وقيل⁽⁴⁾ : الغناء)

(وأنت سامدون فيه تسعة تأويلات :

أحدها : شامخون ، والثاني : غافلون ، والثالث : معرضون ، والرابع : مستكثرون ، والخامس : لاهون لاعبون ، والسادس : هو الغناء كانوا إذا سمعوا القرآن تغنو ، والسابع : أن يجلسوا غير مصلين ولا منتظرین ، والثامن : واقفون للصلوة قبل وقوف الإمام ، والتاسع : خامدون⁽⁵⁾

(1) الإعجاز البياني للقرآن للدكتورة عائشة عبد الرحمن / 349 .

(2) عمدة المخاطب في تفسير أشرف الألفاظ للسمين الحلبي : 249 مادة سمد .

(3) زاد المسير في علم التفسير لابن الجوزي : ج 8 / 86 .

(4) الدر المصنون في علوم الكتاب المكتوب للسمين الحلبي : ج 10 / 116 - 117 .

(5) النكت والعيون للماوردي : ج 5 / 407 .

(وسامدون من السمود وهو ما في المرء من الإعجاب بالنفس ، يقال : سمد البعير إذا رفع رأسه في سيره ، مُثُل به حال المتكبر المعرض عن النصح ، المعجب بما هو فيه بحال البعير في نشاطه .

وقيل : السمود الغباء بلغة حمير ، والمعنى : فرحون بأنفسكم تتغدون بالأغانى لقلة الاكتتراث بما تسمعون من القرآن كقوله : ﴿وَمَا كَانَ صَلَاثُهُمْ عِنْدَ أُلْبَيْتٍ إِلَّا مُكَاهَةً وَتَصْدِيَةً﴾

⁽¹⁾ على أحد تفسيرين ، وتقديم المحرور للقصر ، أي هذا الحديث ليس أهلا لأن تقابلوه بالضحك والاستهزاء والتذكير ، ولا لأن لا يتوب سامعه ، أي لو قابلتم بفعلكم كلاما غيره لكان لكم شبهة في فعلكم ، فأما مقابلتكم هذا الحديث بما فعلتم فلا عذر لك ⁽²⁾ فيها

وهكذا يتبيّن لنا سعة معاني لفظة سامدون ، فما أجمل ألفاظ اللغة العربية وأوسع معانيها وأعظم دلالاتها في تفسير كتاب الله تعالى .

الكلمة التاسعة والأربعون : مهطعين من قوله تعالى :

﴿مُهَطِّعِينَ إِلَى الْدَّاعِ﴾⁽³⁾

(هطع : الهاء والطاء والعين أصل يدل على إقبال على الشيء وانقياد ، يقال : هطع الرجل على الشيء ببصره : أقبل ، وأهطع البعير : صوب عنقه منقادا ، وأهطع : أسرع ⁽⁴⁾)

(1) من سورة الأنفال 8 : الآية / 35 .

(2) التحرير والتنوير لابن عاشور : ج 27 / 158 .

(3) من سورة القمر 54 : الآية / 8 .

(4) معجم مقاييس اللغة لابن فارس : ج 6 / 56 مادة هطع .

كلمة هطع تدل على معينين : إقبال على الشيء وإسراع وانقياد ، أي اتباع مع تصويب البصر إلى هذا الشيء . قال الله تعالى : ﴿مُهَطِّعِينَ

مُقْنِعِي رُؤُوسِهِمْ لَا يَرْتَدُ إِلَيْهِمْ طَرَفُهُمْ﴾⁽¹⁾

(قوله تعالى : { مهطعين } أي مسرعين ، يقال : أهطع يهطع إهطاها فهو هطع ، أي سريع الإجابة لداعي رب العالمين ، والمهطع : الذي ينظر في ذل وخنوع لا يقلع بصره ، ويقال : هطع الرجل ببصره إذا صوب عنقه)⁽²⁾

فكلمة مهطعين لها معينان : مسرعين ، مصوّبين أنظارهم نحو الداعي يتظرون أمره.

(هطع وأهطع : أقبل على الشيء ببصره فلم يرفعه عنه ، وهطع وأهطع : أقبل مسرعا خائفا ، وقيل : نظر بخضوع ، وقيل : مدّ عنقه وصوب رأسه ، وقال بعض المفسرين في قوله : مهطعين محبّحين ، والتحميم إدامة النظر مع فتح العينين ، وقوله : مهطعين إلى الداع : فسر بالوجهين جميما)⁽³⁾

وهكذا تكون كلمة مهطعين جمعت بين المعينين : الإسراع بخوف مع تصويب النظر وإدامته . وهذا ما تؤيده كتب اللغة العربية وكتب التفسير .

(مهـطـعين : الإـهـطـاعـ النـظـرـ منـ غـيـرـ أـنـ يـطـرـفـ النـاظـرـ ، عنـ اـبـنـ عـبـاسـ : وـالـإـهـطـاعـ)⁽⁴⁾

(مهـطـعينـ معـناـهـ : مـسـرـعـينـ ، يـقـالـ : هـطـعـ الرـجـلـ يـهـطـعـ هـطـوـعـاـ إـذـ أـقـبـلـ عـلـىـ الشـيـءـ بـصـرـهـ لـاـ يـقلـعـ عـنـهـ)⁽⁵⁾

فإـهـطـاعـ هوـ مـدـ الـبـصـرـ مـعـ إـسـرـاعـ ، وـقـيلـ : مـعـ النـظـرـ وـالـتأـملـ .

(﴿مُهَطِّعِينَ إِلَى الدَّاعِ﴾ مـسـرـعـينـ مـادـيـ أـعـنـاقـهـمـ إـلـيـهـ ، وـقـيلـ : نـاظـرـينـ إـلـيـهـ لـاـ يـقلـعـونـ بـأـبـصـارـهـمـ)⁽¹⁾

(1) من سورة إبراهيم 14 : (الآية / 43) .

(2) عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ للسمين الحلبي / 606 .

(3) لسان العرب لابن منظور : ج 8 / 372 مادة هطع .

(4) زاد المسير لابن الجوزي : ج 4 / 370 .

(5) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي : ج 17 / 85 .

(والمهبط : الماشي سريعاً ماداً عنقه ، وهي مشية مذعور غير ملتفت إلى شيء⁽²⁾)

(والإهطاع : الإسراع ، وقيل : الإسراع مع مد العنق أو النظر⁽³⁾)

(والمهبط : المسرع في مشيه نحو الشيء مع هز ورھق ومد بصر نحو المقصود إما لخوف

أو طمع أو نحوه⁽⁴⁾)

وهكذا أغلب التفاسير تؤيد وجود المعنين لكلمة : مهطعين ، وهي الإسراع مع مد البصر ، فما أجمل ألفاظ القرآن وأدقها في وصف المعنى المطلوب .

الكلمة الخامسة ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ يِهْمَّ

﴿خَصَّاصَةً﴾⁽⁵⁾

(خص : الخاء والصاد أصل مطرد من قاس ، وهو يدل على الفرجة والثلمة ، فالخاصص : الفُرج بين الأنافي ، ويقال للقمر : بدا من خصاصة السحاب ، والخصاصة: الإملاق والثلمة في الحال⁽⁶⁾)

(خصاصة : أي فقر ، وأصله من خصاص البيت وهو فرجة عن المفسدة ، فُعبر عن الفقر بالخصوصة ، كما عُبر عنه بالخلة ، والخصّ بيت من قصب أو شجر ، وذلك لما يرى منه من الخصاصة⁽⁷⁾)

فكلمة خصاصة لها معنيان : الحاجة والفقر ، والمعنى الثاني : الفرجة والثلمة ، فعُبر الله عن الفقر الذي لم يُسد بالخصوصة . وكأن الفقر الذي هم فيه هو فرجة وثلمة حيث استعاد الرسول صلى الله عليه وسلم من الفقر .

(1) الكشاف للزمخشري : ج 4 / 44 .

(2) التحرير والتنوير لابن عاشور : ج 27 / 172 .

(3) الدر المصنون للسمين الحلي : ج 10 / 129 .

(4) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز لابن عطية : ج 5 / 213 .

(5) من سورة الحشر 59 : (الآية / 9) .

(6) معجم مقاييس اللغة لابن فارس : ج 2 / 152 ————— 153 .

(7) عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ لابن فارس : 156 .

وكلمة خصاصة مأخوذة من خصاص البيت ، وهو ما يبقى بين عياداته من الفرج والفتوح .

(**وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَّاصَةٌ**) ^{الخصوصية} : الحاجة التي تختلط بها الحال . وأصلها من الاختصاص وهو انفراد بالأمر ، فالخصوصية الانفراد بالحاجة ، أي ولو كان بهم فاقة وحاجة ⁽¹⁾

(والخصوصية : الحاجة وأصلها من خصاص البيت ، وهي فروجه . حال الفقر يتخللها النقص فاستعير لها ذلك) ⁽²⁾ فحياة الفقر فيها حاجة وفرحة ، فالحاجة معروفة ، وبقيت الفرحة وهي النقص والخلل في حياة الفقر .

(**وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَّاصَةٌ**) أي حاجة وخلة ، وأصلها خصاص البيت وهي فُرْجَه ، شبه حالة الفقر وال الحاجة ببيت ذي فرج في الاستعمال على مواضع الحاجة . قال الراغب : عبر عن الفقر الذي لا يسد بالخصوصية ، كما عبر عنه بالخلة والخاص ببيت من قصب وشجر وذلك لما يرى منه من الخصوصية ⁽³⁾ أي فتحات وفروج .

(والخصوصية : الفاقة وال الحاجة ، وهو مأخوذ من خصاص البيت ، وهو ما يبقى بين عياداته من الفرج والفتوح ، فكأن حال الفقر هي كذلك يتخللها النقص والاحتياج) ⁽⁴⁾ إذن اختيار الله ^{الله} كلمة (خصوصية) لتناسب حال الفقر من ناحيتين : الحاجة والثلمه والنقص ، وهذين المعنين متلائمين جدا مع حال الفقر .

فالله عز وجل قد مدح الأنصار الذين تبؤوا الدار والإيمان من قبل المهاجرين أنهم يعطون المهاجرين أموالهم إثارة لهم بما على أنفسهم ولو كان بهم خصوصية ، أي حاجة شديدة وفقر كبير .

(1) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي : ج 18 / 20 .

(2) الدر المصنون في علوم الكتاب المكتوب للسمين الحلي : ج 10 / 287 .

(3) تنوير الأذهان من تفسير روح البيان للشيخ إسماعيل البروسوي : ج 4 / 274 .

(4) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز لابن عطية : ج 5 / 288 .

﴿كَانُهُمْ بُيْتَنٌ﴾

الكلمة الواحدة والخمسون : مخصوص من قوله تعالى :

﴿مَرْصُوصٌ﴾⁽¹⁾

(مخصوص : لا يغادر منه شيء شيئاً)⁽²⁾

أي الملتصق ببعضه البعض فلا يرى فيه خلل لإحكامه ، (﴿كَانُهُمْ بُيْتَنٌ مَرْصُوصٌ﴾)

﴿أي محكم كأنما بين بالرصاص ، ويقال : رصصته ورصصته وتراسوا في الصلاة أي تضايقوا فيها ، وترصيص المرأة : أن تشدد التنفس وذلك أبلغ من الترقص﴾⁽³⁾

(رصص : قوله تعالى : ﴿كَانُهُمْ بُيْتَنٌ مَرْصُوصٌ﴾) أي لاصق ببعضه البعض ،

وقيل : معناه كأنما بين من الرصاص يعني محكماً ، وفي الحديث : { أقيموا صفوفكم وتراسوا فإني أراك من وراء ظهري }⁽⁴⁾ أي تلاصقوا ولا تدعوا فرجاً⁽⁵⁾

(﴿بُيْتَنٌ مَرْصُوصٌ﴾) أي بناء لاصق ببعضه البعض . فاعلم أنه يجب من يثبت في الجهاد ويلزم مكانه كثبوت البنيان المخصوص ، ويجوز أن يكون عنى أن يستوي ثابتهم في حرب عدوهم حتى يكونوا في اجتماع الكلمة كالبنيان المخصوص ، وللمفسرين في المراد بالخصوص قولان :

أحدهما : أنه الملتصق ببعضه البعض فلا يرى فيه خلل لإحكامه .

والثاني : أنه المبني بالرصاص .

وكانوا يكرهون القتال على الخيل ، ويستحبون القتال على الأرض لهذه الآية⁽⁶⁾

(1) من سورة الصاف 61 : (الآية / 4) .

(2) غريب القرآن وتفسيره لعبد الله بن جيبي البزيدي : 376 .

(3) مفردات ألفاظ القرآن للراغب الأصفهاني : 355 .

(4) رواه البخاري : (كتاب الأذان باب 72 رقم الحديث 719 ، ج 2 / 208) .

(5) عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ للسمين الحلبي : 204 .

(6) زاد المسير في علم التفسير لابن الجوزي : ج 8 / 251 .

وهكذا لم يقل الله : بيان محكم أو متقن ، وإنما قال : بيان مرصوص ليدل على معنيين هما: ملتصق بعضه ببعض ، والثاني : من شدة التصاقه كأنما ^{بُنِيَ} بالرصاص ، والرصاص من أقوى المعادن .

﴿ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفَا كَانَهُمْ بُنِيَنُ مَرْصُوصُ ﴾
إن الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفا مصطفا كأنهم في اصطافتهم هنالك بنيان قد رص فأحكم وأتقن ، فلا يغادر منه شيئا ، وكان بعضهم يقول : بني بالرصاص .
(المرصوص : المصفوف المتضام ، وقيل : المعقود بالرصاص ، وهذا يحتمل أن يكون أصل اللفظة)⁽¹⁾

﴿ كَانَهُمْ بُنِيَنُ مَرْصُوصُ ﴾
والبنيان : الحائط ، والرصاص اتصال بعض البناء بالبعض واستحكامه ، والمعنى : حال كونهم مشبهين في تراصهم من غير فرجة وخلل ببنيان رص بعضه إلى بعض ورصف حتى صار شيئا واحدا ، وقال الراغب : بنيان مرصوص أي محكم كأنما بني بالرصاص وهو قول الفراء ، وتراسوا في الصلاة أي تصايقوا فيها .
وعن بعضهم فيه دليل على فضل القتال راجلا لأن الفرسان لا يصطفون على هذه الصفة كما في الكشاف .

والدليل على فضل الراكب على الراجل أن له سهemin من الغنية ، وإنما حث عليه الصلاة والسلام على التراص لأن المسلمين يومئذ كانوا راحلين غالبا ولم يجدوا راحلة ونحوها إلا قليلا .

قال سعيد بن جبير رضي الله عنه : هذا تعليم من الله للمؤمنين كيف يكونون عند قتال عدوهم ولذلك قالوا : لا يجوز الخروج من الصف إلا لحاجة تعرض للإنسان أو في رسالة يرسله الإمام ، أو منفعة تظهر في المقام المنقل إليه كفرصة تنتهز ، ولا خلاف فيها وفي الخروج عن الصف للمبارزة خلاف لا بأس بذلك إرهابا للعدو وطلبها للشهادة وتحريضا على القتال . ففي الآية زجر عن التباوط وحث على التسارع ودلالة على فضيلة الجهد⁽²⁾

(1) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز لابن عطية : ج 5/ 302 .

(2) تنوير الأذهان من تفسير روح البيان للشيخ إسماعيل حقي البروسوي : ج 4/ 301 ————— 302 .

(كأنهم : في تراصهم من غير فرجة ولا خلل ، بنيان : رص بعضه إلى بعض مرصف ، وقيل: يجوز أن يريد استواء نياتهم في الثبات حتى يكونوا في اجتماع الكلمة كالبنيان المرصوص ، وعن بعضهم : فيه دليل على فضل القتال راجلا لأن الفرسان لا يصطفون على هذه الصفة)⁽¹⁾

(المهدوي⁽²⁾ : وذلك غير مستقيم لما جاء في فضل الفارس في الأجر والغنية ، ولا تخرج الفرسان عن معنى الآية لأن معناه الثبات)⁽³⁾

إذن كلمة المرصوص لها معنian : الحكم ، والمعقود بالرصاص (قال المبرد⁽⁴⁾ : رصبت البناء لاءمت بين أجزائه وقاربته حتى يصير كقطعة واحدة ، ومنه الرصيص وهو انضمام الأسنان ، والظاهر أن المراد تشبيههم في التحام بعضهم البعض بالبنيان المرصوص من حيث أنهم لا فرجة بينهم ولا خلل ، وقيل : المراد استواء نياتهم في الثبات حتى يكونوا في اجتماع الكلمة كالبنيان المرصوص والأكثرون على الأول ، وفي أحكام القرآن فيه : استحباب قيام المجاهدين في القتال صفوافا كصفوف الصلاة ، وأنه يستحب سد الفرج والخلل في الصفوف ، وإتمام الصف الأول فال الأول ، وتسوية الصفوف عدم تقدم بعضهم على بعض فيها)⁽⁵⁾

(﴿كَانُوكُمْ بُنِينٌ مَّرْصُوصٌ﴾ في وجهان :

أحدهما : أن المرصوص الملتصق بعضه إلى بعض ، لا ترى فيه كوة ولا ثقبا ، لأن ذلك أحكم في البناء من تفرقه وكذلك الصفوف .

(1) الكشاف للزمخشري : ج 4/92.

(2) المهدوي : محمد بن محمد شمس الدين المهدوي الأزهري المالكي نحوى من أهل مصر له التحفة الأنثانية في شرح الأجرمية ، والفوائد المهدوية في شرح الأجرمية توفي 1026هـ . ينظر الأعلام : ج 7/62 .

(3) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي : ج 18/54 .

(4) المبرد : محمد بن يزيد بن عبد الأكير الثمالي الأزدي أبو العباس المعروف بالمبرد ، إمام العربية ببغداد في زمانه ، وأحد أئمة الأدب والأخبار مولده بالبصرة ووفاته ببغداد ، من كتبه الكامل والمذكر والمؤنث والمقتضب والتعازي والمراثي توفي سنة 286هـ . ينظر الأعلام ج 7/144 .

(5) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثانى للألوسي : ج 28/84 .

والثاني : أن المرصوص المبني بالرصاص)⁽¹⁾

الكلمة الثانية والخمسون : الشوى من قوله تعالى :

﴿نَزَاعَةً لِلشَّوَى﴾ ١٦

(شوى : الشين والواو والياء يدل على الأمر الهين ، من ذلك الشوى وهو رذال المال ، ومن ذلك الشوى : جمع شواه وهي جلد الرأس ، والشوى : الأطراف وكل ما ليس بمقتل ، وكل أمر هين شوى ، ويقال : رميت الصيد فأشويته إذا أصبت شواه وهي أطرافه ، والشوايا : بقية قوم هلكوا ، الواحد شوية ، وإنما سميت بذلك لقتتها وهوها ، ويقال : ما بقي من المال إلا شواية أي شيء يسـير ، والذي لا نشك فيه أن الشواء مشتق من هذا ، لأنه إذا شوي فكأنه قد أهين)⁽³⁾

﴿نَزَاعَةً لِلشَّوَى﴾ ١٦ قيل : الشوى الأطراف كاليد ، والرجل الواحدة شواه ، ورمـاه

فأشواه أي أصاب شواه ، ولم يصب مقتله ، ومنه قيل : للأمير الهين شوى . وقيل : الشوى جلود الرأس ، والجلدة شواه ، أي تنزع أطرافهم وجلود رؤوسهم)⁽⁴⁾

(والشوى : جمع شواه وهي جلد الرأس ، وفي الصحاح : (والشوى جمع شواه وهي جلد الرأس) والشوى : اليadan والرجلان والرأس من الآدميين وكل ما ليس مقتلا ،

والشوى : هو الشيء الهين اليسير ، وقيل : ﴿نَزَاعَةً لِلشَّوَى﴾ ١٦ أي لمكارم وجهـه ، وقيل : لمكارم خلقـته وأطرافـه ، وقال الضـحـاك : تفريـي اللـحـمـ والـجـلـدـ عنـ العـظـمـ حتـىـ لاـ تـتـرـكـ منهـ شيئاـ)⁽⁵⁾

(1) النكت والعيون للماوردي : ج 5 / 528 .

(2) من سورة المعارج 70 : (الآية / 16) .

(3) معجم مقاييس اللغة لابن فارس : ج 3 / 224 مادة شوى .

(4) عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ للسمين الحلبي : 281 مادة شوى .

(5) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي : ج 18 / 186 ————— 187 .

وهكذا كانت كلمة الشوى لها معنيان : جلد الرأس ، والمعنى الثاني : الأمر الهين اليسير . فكأن جلدة الرأس لينة سهلة وهي ألين ما تكون حيث هي مغطاة بالشعر ، فيتم نزعها من قبل النار أجارنا الله وإياكم منها بلطفه وكرمه .

ولأن جلدة الرأس والوجه أكرم ما في الإنسان ، فإذا شويت فقد أهين هذا الإنسان

غاية الإهانة كما قال تعالى : ﴿ يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ ﴾⁽¹⁾ ، وقال جل شأنه : ﴿ أَفَمَنْ يَئِقُّ بِوَجْهِهِ سُوءُ الْعَذَابِ يَوْمَ الْقِيَمَةِ ﴾⁽²⁾ .

(﴿ نَزَاعَةً لِلشَّوَى ﴾⁽³⁾) يعني الأطراف كاليدين والرجلين مما ليس بمقتل ، والمعنى أن النار تنزع الأطراف فلا تترك عليها لحما ولا جلدا . وقال ابن عباس : تنزع العصب والعقب ، وقيل : تنزع اللحم دون العظام ، وقيل : تأكل الدماغ كله ثم يعود كما كان ثم تأكله فذلك دأبها ، وقيل : لمكارم خلقه ومحاسن وجهه وأطرافه (﴿ نَزَاعَةً لِلشَّوَى ﴾⁽⁴⁾) والشوى : الأطراف جمع شواه كنوى ونواة ، وقيل : الشوى الأعضاء التي ليست بمقتل ، ومنه : رماه فأشواه أي لم يصب مقتله . وقيل : الشوى جمع شواه وهي جلدة الرأس ، وقيل : هو جلد الإنسان ، والشوى أيضا رذال المال والشيء اليسير (﴿ نَزَاعَةً لِلشَّوَى ﴾⁽⁵⁾) نزع الشيء : جذبه من مقره وقلعه ، والشوى : الأطراف التي ليست بمقتل كالأيدي والأرجل ، أي يعني بلحظى جاذبة للأعضاء الواقعة في أطراف الجسد ، وقلاعة لها بقوة الإحراق لشدة الحرارة ، ثم تعود كما كانت وهكذا أبدا ، والشوى جمع شواه وهي جلدة الرأس ، يعني أن النار تنزع جلود وتقشرها عنه ، وذلك لأنهم كانوا

(1) من سورة القمر 54 : (الآية / 48) .

(2) من سورة الزمر 39 : (الآية / 24) .

(3) تفسير الخازن : ج 4 / 308 .

(4) الدر المصنون في علوم الكتاب المكتوب للسميين الحلبي : ج 10 / 458 .

يسعون بالأطراف للأذى والجفاء ، ويصرفون عن الحق الأعضاء الرئيسية التي يشتمل عليها الرأس خصوصا العقل الذي كانوا لا يعقلون به في الرأس)^١

الكلمة الثالثة والخمسون : الرجز من قوله تعالى :

(﴿ وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ ۚ ۝)^٢

(﴿ وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ ۚ ۝)^٣ أي عبادة الأوثان ، وأصل الرجز : العذاب ، والمعنى : اهجر ما يؤدي إلى الرجز ، والأمر وإن كان له في الصورة فهو لغيره في المعنى ، لأنه عليه السلام لم يزل هاجرا ذلك، والمعنى دم على ذلك ، وأصله الاضطراب)^٤ فيكون المعنى : اترك عبادة الأصنام المؤدية إلى الرجز .

(﴿ وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ ۚ ۝)^٥ قيل : هو صنم ، وقيل : هو كناية عن الذنب فماه بالمال)^٦ فيكون للرجز معنian : الصنم ، والإثم أو الذنب ، وكل المعنيين يؤديان إلى العذاب ، وهذا أصل الكلمة الرجز .

(قال الزجاج : الرجز في اللغة العذاب ، ومعنى الآية : اهجر ما يؤدي إلى عذاب الله)^٧ وفيها قراءتان : قرأها حفص^٨ بضم الراء : الرُّجز ، والباقيون بكسرها : الرِّجز .

(﴿ وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ ۚ ۝)^٩ قال قوم : هو صنم ، والرُّجز والرِّجز بالضم والكسر ، ومعناهما واحد، وهو العمل الذي يؤدي إلى العذاب ، وقال عز من قائل : ﴿ لَيْنَ كَشَفْتَ عَنَّا الرِّجزَ ۚ ۝

. 406 ————— 405 / ج 4 (1) تنوير الأذهان من تفسير روح البيان للشيخ إسماعيل حقي البروسوي .

(2) من سورة المدثر 74 : (الآية ٥) .

(3) عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ للسمين الحلبي : 195 مادة رجز .

(4) مفردات ألفاظ القرآن للراغب الأصفهاني : 342 مادة رجز .

(5) زاد المسير في علم التفسير لابن الجوزي : ج 8/ 402 .

(٦) حفص بن سليمان بن المغيرة الأسدي الكوفي ، ولد سنة 90 هـ ، ويقال كان حفص أعلم الناس بقراءة عاصم ، توفي 180 هـ . الأعلام : ج 2/ 264 .

لَنُؤْمِنَّ لَكَ ⁽¹⁾ أي كشفت عنا العذاب ، ومعنى الرجز في القرآن هو العذاب المقلقل لشدة ،
وله قلقة شديدة متتابعة ⁽²⁾

(الرجز : يقال بكسر الراء وضمها ، وهما لغتان فيه ، والمعنى واحد عند جمهور أهل اللغة .
وقيل : الرجز بالكسر : العذاب والنحافة والمعصية ، وبالضم : الوثن ، ويحمل الرجز هنا على ما
يشمل الأواثان وغيرها من أكل الميتة والدم ⁽³⁾)

وهكذا يتبيّن لنا أن لفظة الرجز أراد الله لها المعنيين وهما : الأواثان وكل نحافة ومعصية مثل
أكل الميتة والدم ، والثاني : العذاب . أي اهجر كل ما يؤدي إلى العذاب .

(قال ابن عباس : الرجز السخط ، فالمعنى اهجر ما يؤدي إليه ويوجهه ، وقال
الحسن ⁽⁴⁾ : كل معصية رجز .

وروى حابر ⁽⁵⁾ أن النبي صلى الله عليه وسلم فسر هذه الآية بالأوثان ⁽⁶⁾

أي ارْفَضْ عَبَادَةً

الأوَثَانَ وَلَا تَقْرَبْهَا ، كما قال تعالى على لسان

إبراهيم عليه السلام : **وَاجْنُبْنِي وَبَيْنَ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ** ⁽⁷⁾ والمراد الدوام على
الهجر ، لأنه كان بريئاً من عبادة الأواثان ونحوها .

(1) من سورة الأعراف : (الآية / 134) .

(2) لسان العرب لابن منظور : 352 مادة رجز .

(3) التحرير والتنوير لابن عاشور : ج 29 / 277 .

(4) الحسن : الإمام المشهور المجمع على جلالته في كل فن ، أبو سعيد الحسن بن أبي الحسن يسار التابعي البصري الأنباري ، وأمه اسمها خيرة مولاية لأم المؤمنين رضي الله عنها . توفي 110 هـ ينظر تذكرة الأسماء واللغات : ج 1 / 161 .

(5) حابر : بن عبد الله بن حرام الأنباري السلمي ، أحد المكترين للرواية ، له ولأبيه صحبة ، وكان مع من شهد العقبة ، شهد مع الرسول صلى الله عليه وسلم تسع عشرة غزوة ، وكان له حلقة في المسجد النبوي يؤخذ عنه العلم ، توفي 78 هـ . ينظر الإصابة في تمييز الصحابة ج 1 / 222 .

(6) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز لابن عطية : ج 5 / 393 .

(7) من سورة إبراهيم 14 : (الآية / 35) .

(والرجز بالضم وبالكسر وهم لغتان بمعنى ، وقال مجاهد : هو بالضم اسم صنم ، وبالكسر اسم للعذاب ، وعلى تقدير كونه العذاب فلا بد من حذف مضاف أي اهجر أسباب العذاب المؤدية إليه أو لإقامة المسبب مقام سببه وهو مجاز شائع)⁽¹⁾

(الرجز : العذاب وأصله الاضطراب ، وقد أقيم مقام سببه المؤدي إليه من المآثم ، فكأنه قيل : اهجر المآثم والمعاصي المؤدية إلى العذاب ، أو الكلام بتقدير مضاف أي أسباب الرجز ، وقيل : الرجز السخط ، وقيل : المعصية ، وقيل : الإثم ، ولما كان المخاطب بهذا الأمر هو النبي صلى الله عليه وسلم وهو البريء عن ذلك ، كان من باب إياك أعني واسمعي ، أو المراد الدوام والثبات على هجر ذلك ، وقيل : الرجز اسم لصنمين إساف ونائلة ، وقيل : للأصنام عموما ، وقيل : الرجز اسم للقبيح المستقدر ، والرجز فاهجر : كلام جامع في مكارم الأخلاق ، كأنه قيل : اهجر الجفاء والسفه وكل شيء يصبح ولا تخلق بأخلاق هؤلاء المشركين ، وعليه يتحمل أن يكون هذا أمرا بالثبات على تطهير الباطن بعد الأمر بالثبات على تطهير الظاهر بقوله سبحانه :

﴿وَيَابَكَ فَطَهِرْ﴾⁽²⁾ . ومن كلام السادة أي الدنيا فاترك ، وهو مبني على أنه أريد بالرجز الصنم ، والدنيا من أعظم الأصنام التي حبها بين العبد وبين مولاه ، وعبدتها (أي الدنيا أكثر من عبدتها) (أي الأصنام) ، فإنها تعبد في البيع والكنائس والصوماع والمساجد وغير ذلك ، أو أريد بالرجز القبيح المستقدر ، والدنيا عند العارف في غاية القبح والقذارة .

ويقال : كل ما أهلى عن الله عز وجل فهو رجز يجب على طالب الله تعالى هجره ، إذ بهذا الهجر ينال الوصول ، وبذلك القطع يحصل الاتصال⁽³⁾

إذن الكلمة الرجز لها معنيان : المعنى الأول : الأوثان ، وسميت الأوثان رجزا لأنها تؤدي إلى العذاب ، والمعنى الثاني : العذاب . ويكون المعنى : وعمل الرجز فاهجر ، أو العمل المؤدي إلى العذاب فيكون على تقدير حذف المضاف .

وأصل الرجز العذاب ، قال الله تعالى : **﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِجْزًا مِّنَ السَّكَمَاء﴾**⁽⁴⁾

(1) الدر المصنون في علوم الكتاب المكتنون : ج 10 / 535 .

(2) من سورة المدثر 74 : (الآية / 4) .

(3) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثانى للألوسي : ج 29 / 119 .

(4) من سورة الأعراف 7 : (الآية / 162) .

الكلمة الرابعة والخمسون : قسورة من قوله تعالى :

(^١) فَرَّتْ مِنْ قَسْوَرَمْ ﴿٥١﴾

(قسر : القاف والسين والراء يدل على قهر وغلبة بشدة ، من ذلك القسر : الغلبة والقهر ،
يقال : قسرته قسرا ، والقسورة : الأسد لقوته وغلبته)^(٢)

(القسورة : الأسد ، وزنه فعولة اشتقاقة من القسر وهو القهر ، وقيل : القسورة الصيادون ،
شبههم بحمر وحشية وهي أنفر الصيد ، ثم لم يكتف بذلك حتى وصفها بالفار ، ثم لم يكتف
بذلك حتى بين سبب الفرار من أشد الحيوان بأسا و_____ و
الأسد . ويقال : قسرته واقتصرته أي غلبته وقهرته)^(٣)

(قسورة : الأسد ، وقيل : قناص الرماة ، وقيل : عصب الرجال)^(٤)
فالقسورة لها معنيان : إما الأسد ، وإما الصيادون والرماة ، ويجمع المعنين : القوة والغلبة.
فالأسد معروف بقوته وغلبته ، وكذلك الصيادون والرماة معروفوون بمهارتهم وقوتهم وغلبتهم ،
ولذلك جمعتهم كلمة (قسورة) لأن معناها لغة : القوة والغلبة .

(القسورة هم الرماة والصيادون ، وقيل : إنه الأسد من القسر بمعنى القهر ، أي أنه يقهر
السباع ، والحمر الوحشية تهرب من السباع ، وكل شديد عند العرب فهو قسورة وقسور)^(٥)
(قسورة : قيل هو اسم جمع قسّور وهو الرامي ، أو هو جمع على خلاف القياس ، إذ ليس
قياس فعل لأن يجمع على فعلة ، وهذا تأويل جمهور المفسرين عن ابن عباس وغيره ، فيكون
التشبّيه جاريًا على مراعاة الحالة المشهورة في كلام العرب .

(١) من سورة المدثر 74 : (الآية / 51) .

(٢) معجم مقاييس اللغة لابن فارس : ج 5 / 88 .

(٣) عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ للسمين الحلبي : 455 مادة قسور .

(٤) غريب القرآن وتفسيره لعبد الله بن يحيى المزيدي : ص 400 .

(٥) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي : ج 19 / 58 .

وقيل : القسورة مفرد وهو الأسد ، وقيل : القسور الأسد ، والقسورة كذلك ، أنشوه كما قالوا : أسامة ، وعلى هذا فهو تشبيه مبتكر لحالة إعراض مخلوط بربع مما تضمنته قوارع القرآن فاجتمع في هذه الجملة تمثيلان .

وإشار لفظ (قسورة) هنا لصلاحيته للتشبيهين مع الرعاية على الفاصلة ⁽¹⁾ فالأسد يقهر السباع ويغلبها ، وكذلك الرماة والقناص يقهرون الصيد ويغلبونه ، وكلا المعنيين ينطبقان على كلمة : قسورة .

وفي هذه الآية شبه الله الكفار في إعراضهم عن القرآن واستماع ما فيه من الموعظ وشرادهم عنه ، بحمر جدت في نفارها مما أفزعها ، لأن الحمار الوحشي إذا عاين الأسد هرب أشد الهرب ، من القسر وهو القهر والغلبة لأنه يغلب السباع ويقهرها .
وفي تشبيههم بالحمر شهادة عليهم بالبله ، ولا ترى مثل نفار حمر الوحش إذا خافت من شيء .

(قسورة : قيل القسورة جماعة الرماة لا واحد له من لفظه ، وقيل : هي الأسد ، وذلك لأن الحمر الوحشية إذا عاينت الأسد هربت ، وكذلك هؤلاء المشركون إذا سمعوا النبي صلى الله عليه وسلم يقرأ القرآن هربوا منه ، شبههم بالحمر في البلدة والبله ، وذلك أنه لا يرى مثل نفار حمر الوحش إذا خافت من شيء ⁽²⁾)

الكلمة الخامسة والخمسون : فاقرة من قوله تعالى :

﴿ تُؤْنَنْ أَنْ يُفْعَلَ إِلَيْهَا فَاقِرَةً ﴾ (٢٥) ⁽³⁾

(فاقرة : أي داهية عظيمة تكسر منها الفقار) ⁽⁴⁾

(قال ابن قتيبة : إنه من فقارة الظهر كأنها تكسره ، يقال : فقرت الرجل إذا كسرت فقاره ، كما يقال : رأسه إذا ضربت رأسه ، وبطنته إذا ضربت بطنه) ⁽¹⁾

(1) التحرير والتنوير لابن عاشور : ج 29 / 307

(2) تفسير الخازن : ج 4 / 332 .

(3) من سورة القيامة 75 : (الآية / 25) .

(4) عمدة المخاظن في تفسير أشرف الألفاظ للسمين الحلبي : 430 مادة فقر .

فكلمة فاقرة تعني المصيبة العظيمة والكبرى ، والمعنى الثاني : الشيء الذي يكسر فقرات الظهر.

فسُمِيت المصيبة والداهية العظيمة بالفاقرة تشبّه لها بالشيء الذي يكسر فقرات الظهر، فكان ظهر صاحب المصيبة مكسور لا يستطيع رفع رأسه أبداً .

(وأصل الفقير هو المكسور الفقار ، يقال : فقرته فاقرة أي داهية تكسر الفقار)⁽²⁾

(فقر: الفاء والكاف والراء أصل صحيح يدل على انفراج في شيء ، من عضو أو غير ذلك ، من ذلك الفقار للظهر ، الواحدة فقار ، سميت للحزووز والفصوص التي بينها ، والفقير: المكسور فقار الظهر ، وقال أهل اللغة : منه اشتقت اسم الفقير ، وكأنه مكسور فقار الظهر من ذلته ومسكته ، ومن ذلك : فقرتهم الفاقرة وهي الداهية كأنها كاسرة لفقار الظهر)⁽³⁾

فكلمة فاقرة دلت على معنيين : الأول : الداهية والمصيبة العظيمة ، والثاني : تكسر فقار الظهر ، فمن شدة المصيبة وعظمتها كسرت فقار الظهر .

(فاقرة : داهية عظيمة تقصم فقار الظهر)⁽⁴⁾

(لأن المراد بالفاقرة ما لا يكتنه من العذاب ، فكل ما يفعل به من أشدّه استدل منه على آخر وتوقع أشد منه ، وإذا كان ظاناً كان أشد عليه مما إذا كان عالماً موطننا نفسه على الأمر)⁽⁵⁾

(فاقرة : هي الداهية العظيمة ، سميت بذلك لأنها تكسر فقار الظهر . ومنه سمى الفقير لانكسار فقاره من القلّ)⁽⁶⁾

وهكذا اختار الله تعالى كلمة فاقرة ولم يقل داهية أو مصيبة لتوادي معنيين في الكلمة واحدة ، وهذا من الإعجاز البلياني .

(1) زاد المسير في علم التفسير لابن الجوزي : ج 8/423 .

(2) مفردات ألفاظ القرآن للراغب الأصفهاني : ج 642 مادة فقر .

(3) معجم مقاييس اللغة لابن فارس : ج 4/443 ————— 444 .

(4) تفسير أبي السعود : ج 9/68 .

(5) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثانى للألوسي : ج 29/146 .

(6) الدر المصنون في علوم الكتاب المكتنون للسمين الحلي : ج 10/578 .

الكلمة السادسة والخمسون :

أسرهم من قوله تعالى :

﴿وَشَدَّدْنَا أَسْرَهُمْ﴾⁽¹⁾

(الأسر : الشد بالقييد من قوله : أسرت القتب ، وسمى الأسير بذلك ثم قيل لكل مأخذ ومقيد ، وإن لم يكن مشدوداً ذلك)⁽²⁾

(أسر : الهمزة والسين والراء أصل واحد وقياس مطرد ، وهو الحبس ، وهو الإمساك ، من ذلك الأسير ، وكانوا يشدونه بالقدّ وهو الإسار ، فسمى كل أخيد وإن لم يؤسر أسيرا .

والعرب تقول : أسر قتبه أي شده ، وقال الله تعالى : ﴿وَشَدَّدْنَا أَسْرَهُمْ﴾ يقال : أراد الخلق ، ويقال : بل أراد مجرى ما يخرج من السبيلين⁽³⁾

فكلمة الأسر لها معنيان هما : شدة الخلق ، والمعنى الثاني : مفاصلهم وأوصالهم . (يقال للفرس إذا كان شديد الخلق شديد الأسر ، وكل شيء شدته من قتب أو خيط فهو مأسور)⁽⁴⁾

﴿وَشَدَّدْنَا أَسْرَهُمْ﴾ أي خلقهم ، قال ابن قتيبة : يقال : امرأة حسنة الأسر أي حسنة الخلق كأنها أسرت ، أي شدت . وأصل هذا من الإسار وهو القدّ الذي تشد به الأفتاب ، يقال : ما أحسن ما أسر قتبه ، أي ما أحسن ما شده بالقد ، وقيل : مفاصلهم ، وقيل : أوصالهم بعضها إلى بعض بالعروق والعصب⁽⁵⁾

وكل المعاني تدور حول الشد والإتقان والإحكام ، ولذلك قال الله : أسرهم ، ولم يقل : خلقهم أو مفاصلهم ، لأن الأسر يدل على الشد والإتقان .

(1) من سورة الإنسان 76 : الآية / 28 .

(2) مفردات ألفاظ القرآن للراغب الأصفهاني : 76 مادة أسر .

(3) معجم مقاييس اللغة لابن فارس : ج 1/ 107 .

(4) غريب القرآن وتفسيره لعبد الله بن جيبي الميزيدي : 405 .

(5) زاد المسير في علم التفسير لابن الجوزي : ج 8/ 441 .

(وَمِنْ قَوْلِهِ : ﴿وَشَدَّدْنَا أَسْرَهُمْ﴾ ربطنا أو صاهم ببعضها إلى بعض بالعروق والأعصاب ، أو المراد بالأسر : عَجْبُ الذنب ، لأنَّه لا يتفتت في القبر)⁽¹⁾

(﴿وَشَدَّدْنَا أَسْرَهُمْ﴾ أي قوينا خلقهم ، وسمى الخلق أُسراً لشد بعضه ببعضه ، وقيل : إشارة إلى حكمته في تركيب الأمور بتدبرها وتأملها في قوله تعالى :

١٦ **بَصِيرُونَ**⁽²⁾

(أَسْرَهُمْ : أي خلقهم ، والأُسْرَ : الخلق ، يقال : فرس شديد الأُسْرَ أي الخلق ، وقيل : شددنا مفاصلهم وأوصاهم ببعضها إلى بعض بالعروق والعصب ، وقيل في تفسير الأُسْرَ : هو الشرج أي إذا خرج الغائط والبول تقبض الموضع .

واستيقاً من الإسار وهو القدَّ الذي يشد به الأقتاب ، يقال : أُسْرَت القتب أُسراً أي شدته وربطه ، ويقال : ما أحسن أُسْرَ قتبه أي شده وربطه ، ومنه قوله : خذه بأسره إذا أرادوا أن يقولوا هو لك كله ، كأنهم أرادوا تعكيمه وشده لم يفتح ولم ينقص منه شيء ، ومنه الأسير لأنه كان يكتف بالإسار ، والكلام خرج الامتنان عليهم بالنعم حين قابلوها بالمعصية ، أي سويت خلقك وأحكمنه بالقوى ثم أنت تکفر بي)⁽³⁾

فكلمة أَسْرَهُمْ توحِي فعلاً بأن هناك شيئاً مربوطاً مقيداً محكماً متقدماً من مفاصل وأوصال رُبط بالعروق والأعصاب هذا الرابط والشد والإتقان والإحكام من أعلى الرأس إلى أخمص القدمين . فسبحان الله الخالق المبدع ﴿فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحَسْنُ الْخَلَقِينَ﴾⁽⁴⁾

الكلمة السابعة والخمسون : كفانا من قوله تعالى :

(1) فتح الرحمن بكشف ما يلتبس في القرآن لشيخ الإسلام أبي يحيى زكريا الأنباري ، تحقيق الشيخ محمد علي الصابوني ، دار القرآن الكريم ، بيروت ، ط ، 1403هـ ص 593 .

(2) من سورة الذاريات 51 : الآية / 21 .

(3) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي : ج 19 / 98 ————— 99 .

(4) من سورة المؤمنون 23 : الآية / 14 .

﴿أَلَّمْ يَجْعَلِ الْأَرْضَ كِفَاناً﴾ ^(١)

(قال اللغويون : الكفت في اللغة الضم ، والمعنى أنها تضم أهلها أحياه على ظهرها وأمواتها في بطنهما . قال ابن قتيبة : يقال : اكفت هذا إليك أي ضمه ، وكانوا يسمون بقمع الغرقد : كفتة لأنها مقبرة يضم الموتى) ^(٢)

(قوله تعالى : ﴿أَلَّمْ يَجْعَلِ الْأَرْضَ كِفَاناً﴾ ^(٣) أي جامعة ، والكفت : الضم والجمع ، وكل شيء كفته فقد جمعته)

(كفاتا : أوعية ، وقال بعضهم : ظاهرها للأحياء وباطنها للموتى) ^(٤)
تبين مما سبق أن الكفت في اللغة له معنيان : الأول الجمع ، فالأرض تجمع في باطنها الأموات وفي ظاهرها الأحياء ، والمعنى الثاني : الضم والمحذب ، فهي تحذب الناس على ظهرها بفعل الجاذبية الأرضية وتضمهم إليها .

(الكفت : القبض والجمع ، أي تجمع الناس أحياهم وأمواتهم ، وقيل : معناه تضم الأحياء التي هي الإنسان والحيوانات والنبات ، والأموات التي هي الجمادات من الأرض والماء وغير ذلك . والكافات قيل هو الطيران السريع ، وحقيقة : قبض الجناح للطيران كما قال تعالى : ﴿أُولَئِ

يَرُوُا إِلَى الطَّيْرِ فَوَقَمُهُ صَفَّتِ وَيَقِضَنَ﴾ ^(٥) فالقبض هنا كالكافات هناك . والكفت : السوق الشديد ، واستعمال الكفت في سوق الإبل كاستعمال القبض فيه ، كقوتهم : قبض الراعي الإبل وكفت الله فلا نا إلى نفسه كقوتهم : قبضه) ^(٦)

(﴿أَلَّمْ يَجْعَلِ الْأَرْضَ كِفَاناً﴾ ^(٧) ^(٧) هما منصوبان حالين بمعنى يكفتكم في حياتكم ومماتكم ، ففي الحياة في بطون منازلكم ، وفي الممات في بطون قبوركم) ^(١)

(١) من سورة المرسلات 77 : (الآية / 25).

(٢) زاد المسير في علم التفسير لابن الجوزي : ح 8 / 449 .

(٣) عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ للسمين الحلبي : 494 مادة كفت .

(٤) غريب القرآن وتفسيره لعبد الله بن يحيى البزيدي : 407 .

(٥) من سورة الملك 67 : (الآية / 19).

(٦) مفردات ألفاظ القرآن للراغب الأصفهاني : 714 مادة كفت .

(٧) من سورة المرسلات 77 : (الآياتان / 25 ————— 26).

فالأرض كفات للبشر فهي مجمع ووعاء ، وهي كنْ وغطاء ، وهي تجذب الناس وتضمهم إليها. فيا سبحان الله .

(والكِفَات بالكسر : الموضع يكفت فيه الشيء أي يضم ويجمع ، والأرض كفات لنا)
(الكفات : من كفت الشيء إذا ضمه وجمعه ، وهو اسم ما يكفت كقو THEM الضمام
والجماع لما يضم ويجمع ، يقال هذا الباب جماع الأبواب وبه انتصب (أحياء وأمواتا) كأنه قيل
: كافته أحياء وأمواتا ، أو بفعل مضمر يدل عليه وهو تكفت ، والمعنى : تكفت أحياء على
ظهورها وأمواتا في بطنهما ، وقد استدل بعض أصحاب الشافعى⁽³⁾ رحمه الله على قطع النباش بأن
الله تعالى جعل الأرض كفاتا للأموات فكان بطنهما حرزا لهم ، فالنباش سارق من الحرز⁽⁴⁾
ولأن الله أراد هـ ذـهـ المعـانـيـ منـ

كلـمةـ : كفاتاـ لمـ يـقلـ : أـلمـ نـجـعـلـ الـأـرـضـ جـامـعـةـ أـوـ ضـامـةـ (ـ
الـكـفـاتـ : الـسـتـرـ وـالـوـعـاءـ الـجـامـعـ لـلـشـيـءـ بـإـجـمـاعـ ،ـ تـقـوـلـ : كـفـتـ الرـجـلـ شـعـرـهـ إـذـ جـمـعـهـ بـخـرـقةـ،ـ
فـالـأـرـضـ تـكـفـتـ الـأـحـيـاءـ عـلـىـ ظـهـرـهـاـ ،ـ وـتـكـفـتـ الـأـمـوـاتـ فـيـ بـطـنـهـاـ .ـ وـقـالـ بـنـانـ :ـ خـرـجـنـاـ مـعـ
الـشـعـبـيـ⁽⁵⁾ إـلـىـ جـنـازـةـ فـنـظـرـ إـلـىـ الجـبـانـةـ فـقـالـ :ـ هـذـهـ كـفـاتـ الـمـوـتـىـ ،ـ ثـمـ نـظـرـ إـلـىـ الـبـيـوـتـ فـقـالـ :ـ هـذـهـ
كـفـاتـ الـأـحـيـاءـ ،ـ وـكـانـ الـعـرـبـ تـسـمـيـ بـقـيـعـ الـغـرـقـدـ :ـ كـفـتـةـ ،ـ لـأـنـاـ مـقـبـرـةـ تـضـمـ الـمـوـتـىـ ،ـ وـفـيـ
الـحـدـيـثـ :ـ {ـ خـمـرـوـاـ الـآـنـيـةـ وـأـكـوـاـ الـأـسـقـيـةـ وـأـجـفـوـاـ الـأـبـوـابـ ،ـ وـاـكـفـئـوـاـ صـبـيـانـكـمـ عـنـدـ الـمـسـاءـ فـإـنـ

(1) الروض الريان في أسئلة القرآن للشيخ شرف الدين الحسين بن سليمان بن ريان تحقيق عبد الحليم بن محمد نصار، مكتبة العلوم والحكم ، ط ، 1415هـ ، ج 2/543 .

(2) القاموس المحيط للفيروز أبادي : ج 1/162 ، مادة كفت .

(3) الشافعى : محمد بن إدريس بن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو قرشى ن ولد 150هـ وتوفي 204هـ ، وهو حجة في اللغة وكان فقيها بارعا ، وهو إمام في مذهبه ، له مصنفات كثيرة . ينظر تهذيب الأسماء واللغات ج 1/44 .

(4) الكشاف للزمخشري : ج 4/174 .

(5) الشعبي : عامر بن شراحيل بن عبد ذي كبار الشعبي الحميري ، راوية من التابعين ، يضرب المثل بحفظه ولد 19هـ توفي 103هـ كان فقيها شاعرا وهو من رجال الحديث الثقات . ينظر الأعلام ج 3/251 .

للحج انتشارا وخطفة }⁽¹⁾ ، ودفن ابن مسعود قملة في المسجد ثمقرأ : ﴿أَلَمْ يَجْعَلِ الْأَرْضَ كِفَايَاً

﴿﴾ ، ولما كان القبر كفاتا كالبيت قطع من سرق منه)⁽²⁾

فالأرض تضم الناس أحياء وأمواتا مثل الأم التي تضم أولادها إليها .

(كفات : اسم للشيء الذي يكفت فيه أي يجمع ويضم فيه ، فهو اسم جاء على صيغة الفعال من كفت إذا جمع ، ومنه سمي الوعاء كفاتا ، كما سمي ما يعي الشيء ووعاء ، وما يضم الشيء : الضمام .

وفي الآية امتنان يجعل الأرض صالحة لدفن الأموات ، وقد ألم الله بذلك ابن آدم حين قتل أخاه ، فيؤخذ من الآية وجوب الدفن في الأرض إلا إذا تعذر ذلك)⁽³⁾

(فالأرض تضم الأحياء إلى منازلهم ، والأموات في قبورهم ، وأيضا استقرار الناس على وجه الأرض ثم اضطجاعهم عليها ، انضمام منهم إليها ، وقيل : هي كفات للأحياء يعني دفن ما يخرج من الإنسان من الفضلات في الأرض ، إذ لا ضم في كون الناس عليها ، والضم يشير إلى الاحتفاف من جميع الوجوه)⁽⁴⁾

وهذا قول للعلماء ورأي في معنى الضم للأحياء يؤيده هذا القول : (الكفت : الجذب والضم . لقد جاء وصف الأرض بهذه الكلمة على قدر ما يمكن أن يفهمه الأعرابي في الbadia ، فقد أدرك منها أن الأرض له كالوعاء ، تحفظ ما فيها وتحميها وتحرسها ، وهو إدراك صحيح ، فإن الأرض كذلك ، ثم جاء هذا الوصف ذاته على قدر فهم المختصين والمعتمدين في دراسات الأرض والأفلاك ، أن الإنسان إنما يستقر على الأرض بقوة خفية تجذبه إليها ، وإلا لما أمكنه الاستقرار من فوقها ، وهو نفس القوة التي تسمى اليوم بالجاذبية)⁽⁵⁾

(1) رواه البخاري : كتاب بدء الخلق 59 باب 16 رقم الحديث 3316 ج 6 / 355 .

(2) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز لابن عطية : ج 5 / 419 .

(3) التحرير والتنوير لابن عاشور : ج 29 / 399 .

(4) الجامع لأحكام القرآن للقراطبي : ج 10 / 105 .

(5) منهج تربوي فريد في القرآن للدكتور محمد سعيد رمضان البوطي ، مؤسسة الرسالة مكتبة الفارابي ، ط ، 1405 هـ / 28 .

فكلمة كفاتا تعني الجمع والضم للأموات ، وتعني الجمع والجذب للأحياء بفعل الجاذبية، فكلمة واحدة أعطت هذه المعاني دليل الإعجاز البياني للقرآن الكريم .

والكلمة أيضا وافقت الحقائق العلمية مثل حقيقة الجاذبية ، حيث ثبت أن الإنسان يتضرر عيشه على كوكب آخر بسبب فقدان الجاذبية ، حيث يصبح لا وزن له مثل الريشة .

فما أروع هذا القرآن حين يعطي كل هذه المعاني في لفظة واحدة .

الكلمة الثامنة والخمسون : كبد من قوله تعالى :

﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَنَ فِي كَبْدٍ﴾⁽¹⁾

(كبد : أي مشقة شديدة ، وأصل ذلك من قوله : كبدته أكبده أي أصبت كبده فأصابه الكبد ، أي وجع وصل إلى الكبد .

ونبه تعالى بقوله : ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَنَ فِي كَبْدٍ﴾⁽²⁾ أي على أنه تعالى خلقه على حالة لا ينفك من المشاق ما لم يقتحم العقبة ويستقر في دار القرار . كقوله تعالى : ﴿لَتَرَكُبُنَّ طَّبَقًا عَنْ طَبَقِي﴾⁽³⁾ ، وكبد السماء وكبد القوس وسطهما تشبها بكبد الإنسان لتوسطهما البدن وكبد كل شيء وسطه .

وقيل : في كبد أي خلق منتصبا غير منحن ، وما أبعد هذا لفظا ومعنى . وقيل : في كبد أي ضيق ، كأنه يشير لحله من الرحم ، والإنسان في بطن أمه في ضيق ثم يكابد ما يكابد من أمر دنياه وآخرته ثم الموت إلى أن يستقر في جنة أو نار . وفلان يكابد معيشته أي يقاسي منها ضيقه وشدة)⁽³⁾

من هنا نصل إلى أن كلمة كبد لها معنيان : المشقة الشديدة ، والمعنى الثاني : وصلت إلى الكبد، وهذا دليل على أنها مشقة عظيمة جدا .

(1) من سورة البلد 90 : (الآية / 4) .

(2) من سورة الانشقاق 84 : (الآية / 19) .

(3) عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ للسمين الحلبي / 477 ————— 478 مادة كبد .

وقد أراد الله أن يعلمنا أنه خلق الإنسان في ضيق ومشقة شديدة ، فذكر لنا لفظة (كبد) لتدل على هذين المعنين .

وفعلا الإنسان في كبد مستمر في هذه الحياة (في مكابدة ومشقة وجهد وكفاح وكدح ...) الخلية الأولى لا تستقر في الرحم حتى تبدأ في الكبد والكبح والنصب لتتوفر لنفسها الظروف الملائمة للحياة والغذاء بإذن ربها ، وما تزال كذلك حتى تنتهي إلى المخرج ، فتدوّق من المخاض إلى جانب ما تدوّقه الوالدة ما تدوّق ، وما يكاد الجنين يرى النور حتى يكون قد ضغط ودفع حتى كاد يختنق من مخرجه من الرحم ! ومنذ هذه اللحظة يبدأ الجهد الأشق والكبد الأمر ! وكل خطوة بعد ذلك كبد ، وكل حركة بعد ذلك كبد ... إن الكبد طبيعة الحياة الدنيا، تختلف أشكاله وأسبابه ، ولكنه هو الكبد في النهاية ، فأخسر الخاسرين هو من يعاني كبد الحياة الدنيا لينتهي إلى الكبد الأشق والأمر في الأخرى ، وأفلح الفالحين من يكبح في الطريق إلى ربه لبلقاء بمؤهلات تنهي كبد الحياة وتنتهي به إلى الراحة الكبرى)⁽¹⁾

فالإنسان في كبد ومشقة شديدة من أول ما يكون في بطنه أمه إلى أن يوضع في القبر ، فإذاً أن يكون في روضة من رياض الجنة ، وإنما أن يكون في حفرة من حفر النار والعياذ بالله . (كبد : وحيدة في القرآن صيغة ومادة ، وفي معاني القرآن للفراء : منتضاً معتدلاً ، ويقال : خُلُق في كبد يكابد أمر الدنيا والآخرة ، وهو روايتان عن ابن عباس ، ورواية ثالثة عنه : في شدة في معيشته وحمله وحياته ونبات أسنانه . وقال الطبرى : في شدة يكابد الأمور ، لأن ذلك هو المعروف في كلام العرب من معانى الكبد .

وأكثر المفسرين على أنه المكابدة والمشقة . وذلك غير معنى الاعتدال . ولدالة المشقة أصل في المادة ، فالعربية استعملت الكبد في المعاناة من كبدٍ مريضة ، ثم نقلتها إلى المكابدة المعنية على سبيل المجاز فقيل : وقع في كبد ، في مشقة ، وتقول للخصماء : إنهم لفِي كبد من أمرهم ، وبعضهم يكابد بعضاً ، والمسافر يكابد الليل إذا ركب هوله وصعوبته .

(1) في ظلال القرآن لسيد قطب ، ج 6 / 3909 ————— 3910 .

وأطمئن إلى أنه في الآية الكريمة من المكابدة لتبعات التكليف ومخاطر اقتحام العقبة : **(أَمْ)**
تَجْعَلُ لَهُ عَيْنَيْنِ ٨ **وَلِسَانًا وَشَفَّيْنِ** ٩ **وَهَدَيْتَهُ النَّجْدَيْنِ** ١٠ **فَلَا أَقْنَحَ الْعَقْبَةَ** ١١ **وَمَا أَدْرَنَكَ**
مَا الْعَقْبَةُ ١٢ **(١)**

يقال في اللغة العربية : دمغه إذا أصاب دماغه ، ورأسه إذا أصاب رأسه ، وكبدہ إذا أصاب كبدہ ، أي كبد الإنسان المعروف ، ثم استعملت في الأمور المعنوية فيكون معناها أن الإنسان في مشقة شديدة وصلت كبدہ لشدتها .

(قال الحسن : يکابد مصائب الدنيا وشدائد الآخرة ، وعنہ أيضًا : يکابد الشکر على السراء ، ويکابد الصبر على الضراء ، لأنہ لا يخلو من أحدهما ، وقيل : لم يخلق الله خلقا يکابد ما يکابد ابن آدم ، وهو مع ذلك أضعف الخلق .

قال علماؤنا : أول ما يکابد قطع سرتہ ، ثم إذا قُمط قماطا وشدَّ رباطا يکابد الضيق والتعب ، ثم يکابد الارتضاع ، ولو فاته لضاع ، ثم يکابد نبت أسنانه وتحرك لسانه ، ثم يکابد الفطام الذي هو أشد من اللطام ، ثم يکابد الختان والأوجاع والأحزان ، ثم يکابد المعلم وصولته ، والمؤدب وسياسته ، والأستاذ وهیته ، ثم يکابد شغل التزویج والتعجیل فيه ، ثم يکابد شغل الأولاد والخدم والأجناد ، ثم يکابد شغل الدور وبناء القصور ثم الكبر والهرم ، وضعف الرکبة والقدم ، في مصائب يکثر تعدادها ، ونوائب يطول إیرادها من صداع الرأس ووجع الأضراس ورمد العین وغمّ الدین ووجع السن وألم الأذن ، ويکابد محننا في المال والنفس مثل الضرب والحبس ، ولا يمضي عليه يوم إلا يقاسي فيه شدة ، ولا يکابد إلا مشقة ، ثم الموت بعد ذلك كله ثم مساءلة الملك وضغطه القبر وظلمته ، ثم البعث والعرض على الله ، إلى أن يستقر به القرار إما في الجنة وإما في النار ، فلو كان الأمر إليه لما اختار هذه الشدائیں، ودلل هذا على أن له حالًا دبره وقضى عليه بهذه الأحوال فليمثل أمره)⁽³⁾

(1) من سورة البلد 90 : (الآيات : 8 — 12) .

(2) الإعجاز البياني للقرآن لعائشة عبد الرحمن بنت الشاطئ ، 315 — 316 .

(3) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي : ج 10 / 42 .

وعندهما قال الله : ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَنَ فِي كَبْدٍ﴾ كأنه خلقه داخل الكبد وهذا أبلغ في الوصف .

(والظرفية من قوله : في كبد ، مستعملة مجازا في الملزمة فكأنه مظروف في الكبد ، ونظيره قوله : ﴿بَلِ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ فِي الْعَذَابِ وَالضَّلَالِ الْبَعِيدِ، أَفَلَمْ يَرَوْا إِلَى مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَفَّهُمْ مِنْ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾⁽¹⁾

فالمراد عذاب الدنيا ، وهو مشقة اضطراب البال في التكذيب واحتلاق المعاذير والحيرة من الأمر على أحد التفسيرين لتلك الآية .

فالم公网 : أن الكبد ملازم للمشرك من حين اتصافه بالإشراك ، وهو حين تقوم العقل وكمال الإدراك .

أي كما خلقناه أول مرة في نصب من أطوار الحياة ، كذلك خلقه خلقا ثانيا في كبد من العذاب في الآخرة لكرهه .

ومن الجائز أن يجعل قوله : ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَنَ فِي كَبْدٍ﴾ من قبيل القلب المقبول لتضمينه اعتبارا لطيفا وهو شدة تلبس الكبد بالإنسان المشرك حتى كأنه خلق في الكبد . والمعنى : لقد خلقنا الكبد في الإنسان الكافر⁽²⁾

الكلمة التاسعة والخمسون : التكاثر من قوله تعالى :

﴿أَهْنَكُمُ الْتَّكَاثُرُ﴾⁽³⁾

لفظة التكاثر لها معنيان : الكثرة ، والمعنى الثاني : التنافس والombaها في تلك الكثرة ، حيث يريد الإنسان المتكاثر أن يصل إلى أعلى ما يمكن أن يصله إنسان في كثرة المال والولد من أجل

(1) من سورة سباء : (الآياتان / 8) 9 .

(2) التحرير والتنوير لابن عاشور : ج 30 / 310 .

(3) من سورة التكاثر 102 : (الآية / 1) .

التباهي والتفاخر فقط ، وهذا مثل الذي يريد أن يلبس لباسا لم يلبسه أحد من قبله ، فهذا يسمى لباس الشهرة وهو حرام في الإسلام ، ويدل على الكبر .

(والتکاثر : التباري في كثرة المال والعز⁽¹⁾)

فكأن الناس أئي أغلبهم في مبارأة ومسابقة حقيقة في التکاثر في المال والولد ، ولكن الدنيا سراب خادع والآخرة خير وأبقى ، إلا من استغل المال والولد في طاعة الله فيخرج من الذم الموجد في الآية .

(التکاثر : المغالبة في الكثرة من الأشياء الدنيوية كما تتغالب الجاهلية بكثرة أموالها وأثاثها وقرابها الضيفان وفكها العناة ، وإطعامها المحاويع وغيره على ما شهد بذلك أشعارهم وخطبهم ، والمعنى أنه شغلهم تکاثرهم بذلك حتى ماتوا فزاروا المقابر ، وقيل : إنهم تفاخروا بآبائهم حتى يعيّر الأحياء فذكروا الأموات⁽²⁾)

وقد حذر الله المؤمنين من الانشغال بالأموال والأولاد عن طاعته سبحانه ، فكيف بالتكاثر

بهما، قال تعالى : ﴿ يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءامَنُوا لَا تُنْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَسِرُونَ ﴾⁽³⁾

ولذلك لم يقل الله : ألهتم الكثرة ، وإنما قال : التکاثر ، ليدل على الكثرة المذمومة ، وهي التbahي والتفاخر بالعدد ، فقط للعدد ولحب الدنيا الزائد والتعلق بها لا لهدف آخر .

(التکاثر : تفاعل في الكثر ، أي التباري في الإکثار من شيء مرغوب في كثرته ، فمنه تکاثر في الأموال ، ومنه تکاثر في العدد من الأولاد والأحلاف للاعتزاز بهم ، وقد فسرت الآية بما ، قال تعالى : ﴿ وَقَالُوا نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَالًا وَأَوْلَادًا وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ﴾⁽⁴⁾ ، (وعن عبد الله بن الشخير عن أبيه⁽⁵⁾ قال : انتهيت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يقول :

⁽¹⁾ مفردات ألفاظ القرآن للراغب الأصفهاني : 703 مادة كثر .

⁽²⁾ عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الأنفاظ للسمين الحلبي : 483 مادة كثر .

⁽³⁾ من سورة المنافقون 63 : (الآية / 9).

⁽⁴⁾ من سورة سباء 34 : (الآية / 35).

⁽⁵⁾ مطرف بن عبد الله بن الشخير : الحرشي العامري ، أبو عبد الله ، زاهد من كبار التابعين ثقة فيما رواه من الحديث ، له كلمات في الحكم مأثورة ، توفي في البصرة 87هـ . ينظر الأعلام ج 7 / 250 .

أَهْنَكُمُ التَّكَاثُرُ ﴿١﴾ **فَإِنْ** : يقول ابن آدم مالي مالي ، وهل لك يا بن آدم من مالك إلا ما أكلت فأفقيت ، أو لبست فأبليت ، أو تصدقت فأمضيت^(١)

فهذا جار مجرى التفسير لمعنى من معانى التكاثر ، اقتضاه حال الموعظة ساعتها وتحتمله الآية .

والخطاب للمشركين بقرينة غلظة الوعيد بقوله : **كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ** ﴿٢﴾ **ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ** ﴿٤﴾ **كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ** ﴿٥﴾ **لَرَوْتَ الْجَحِيمَ** ﴿٦﴾^(٢) ، ولأن هذا ليس من خلق المسلمين يومئذ^(٣)

وقد حذر الله المسلمين من الانشغال بالدنيا فقال : **أَعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعْبٌ وَهُوَ وَزِينَةٌ وَتَفَخَّرُ مِنْكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ كَمِثْلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ بِنَاهُ**^(٤)

(التكاثر : التباري في الكثرة والتباهي بها ، وأن يقول : هؤلاء نحن أكثر وهؤلاء نحن أكثر ، روى أنبني عبد مناف وبنبي سهم تفاحروا أيهم أكثر عددا ، فكثراهم بنو عبد مناف ، فقالت بنو سهم : إن البغي أهلكنا في الجاهلية ، فعادونا بالأحياء والأموات ، فكثراهم بنو سهم .

والمعنى : أنكم تكاثرتم بالأحياء حتى إذا استوعبتم عددهم صرتم إلى المقابر فتكاثرتم بالأموات . عبر عن بلوغهم ذكر الموتى بزيارة المقابر تهكمًا بهم ، وقيل : كانوا يزورون المقابر فيقولون :

هذا قبر فلان وهذا قبر فلان عند تفاحراهم ، والمعنى أهلاكم ذلك وهو مما لا يعنيكم ولا يجدي عليكم في دنياكم وآخرتكم مما يعنيكم من أمر الدين الذي هو أهم وأعني من كل مهم ، أو أراد : أهلاكم التكاثر بالأموال والأولاد إلى أن متم وقبرتم ، منفقين أعماركم في طلب الدنيا والاستباحة إليها والتهالك عليها ، إلى أن أتاكم الموت ، لا هم لكم غيرها ، مما هو أولى بكم من السعي لعاقبتكم ، والعمل لآخرتكم ، وزيارة القبور عبارة عن الموت^(٥)

^(١) رواه مسلم : كتاب الزهد رقم الحديث 3 ، ج 18 / ص 94 .

^(٢) من سورة التكاثر 102 : (الآيات 3 / 6) .

^(٣) التحرير والتنوير لابن عاشور : ج 30 / 457 .

^(٤) من سورة الحديد 57 : (الآية 20) .

^(٥) الكشاف للزمخشري : ج 4 / 230 ————— 231 .

فالحاصل أن كلمة التكاثر دلت على كثرة و مبالغة في تلك الكثرة و مباراة و تفاخر ، وهذه المعاني ولدتها كلمة التكاثر .

المبحث الثاني : ما يحتمل ثلاثة معانٍ

الكلمة الأولى : الصلاة من قوله تعالى : ﴿ وَيُقْرَبُونَ إِلَيَّ الصَّلَاةُ ﴾⁽¹⁾

الصلاحة في اللغة : الدعاء ، وفي الشريعة : أفعال وأقوال على صفات مخصوصة (وفي تسميتها بالصلاحة ثلاثة أقوال :

أحداها : أنها سميت بذلك لرفع الصلا ، وهو مغرز الذئب من الفرس .

والثاني : أنها من صلية العود إذا لينته ، فالمصلبي يلين ويخشى .

والثالث : أنها مبنية على السؤال والدعاء .⁽²⁾

وهذه المعاني الثلاث كلها متوفرة في الكلمة الصلاة ومقصودة منها .

(الصلاة : الدعاء والاستغفار ، وقال الزجاج : الأصل في الصلاة اللزوم ، يقال : قد صلي واصطلي إذا لزم ، ومن هذا من يصلى في النار ، أي يلزم النار . وقال أهل اللغة في الصلاة : إنما من الصلوين وهم مكتنفا الذنب من الناقة وغيرها ، وأول موصل الفخذين من الإنسان ، فكأنهما في الحقيقة مكتنفا العصعص .

وقيل : أصلها في اللغة التعظيم ، وسميت الصلاة المخصوصة صلاة لما فيها من تعظيم رب عالي وتقدس⁽³⁾ .

من هنا تتبيّن معانٍ الصلاة لغة : الدعاء واللزوم والتعظيم والتجهيد والتبريك ، ومؤخوذة من الصّلى .

(الصلاة : قال كثير من أهل اللغة : هي الدعاء والتبريك والتجهيد ، قال صلی الله عليه وسلم : { إذا دعي أحدكم إلى طعام فليجب ، فإن كان مفطرا فليأكل ، وإن كان صائما فليصل }⁽⁴⁾ أي ليدع لأهله .

¹) من سورة البقرة 2 : الآية / 3 .

²) زاد المسير في علم التفسير لابن الجوزي : ج 1 / 25 .

³) لسان العرب لابن منظور : ج 14 / 464 ————— 465 مادة صلا .

⁴) رواه مسلم : كتاب النكاح ، باب الأمر بإحاجة الداعي ، رقم الحديث 1431 .

والصلاۃ التي هي العبادة المخصوصة أصلها الدعاء ، وسميت هذه العبادة بها كتسمية الشيء باسم بعض ما يتضمنه ، والصلاۃ من العبادات التي لم تنفك شریعة منها ، وإن اختلفت صورها

بحسب شرع فشرع ، ولذلك قال :

الْمُؤْمِنِينَ كَيْتَبَا مَوْقُوتًا ^(١)

وقال بعضهم : أصل الصلاۃ من الصلی ، قال : ومعنى صلی الرجل : أي أنه ذاد وأزال عن نفسه بهذه العبادة الصلی الذي هو نار الله الموقدة ، وبناء صلی كبناء مرّض لإزالة المرض ^(٢) وهكذا نجد أن من معاني الصلاۃ الدعاء ، والصلاۃ أغلبها ذكر ودعا . ويتبع الدعاء ويدخل من معانيه : التبریک والتمجید أي الدعاء بالبرکة والثناء والمدح ، ومن معاني الصلاۃ: اللزوم ، فلا يقال عن رجل مصلٌ إلا إذا كان ملازما للصلاۃ .

ومن معاني الصلاۃ الرحمة والمغفرة ، قال الله تعالى : **إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلِّونَ عَلَى النَّبِيِّ** ^(٣) ، وقال : **هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ** ^(٤) ، وقال : **أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَواتٌ مِّنْ رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ** ^(٥) أي مغفرة .

وقال النبي صلی الله عليه وسلم : { اللهم صل على آل أبي أوفى } ^(٦) يريد ارحمهم واغفر لهم .

والصلاۃ : الدين ، قال تعالى حکایة عن قوم شعیب : **أَصَلَوْتُكَ تَأْمُرُكَ أَنْ نَتَرَكَ مَا يَعْبُدُ إِبَابَأَفُنَا** ^(٧) ويقال : قراءتك ^(١)

^(١) من سورة النساء 4 : (الآية / 103) .

^(٢) مفردات ألفاظ القرآن للراغب الأصفهانی : 490 ————— 491 مادة صلا .

^(٣) من سورة الأحزاب 33 : (الآية / 56) .

^(٤) من سورة الأحزاب 33 : (الآية / 43) .

^(٥) من سورة البقرة 2 : (الآية / 157) .

^(٦) أخرجه البخاري في كتاب الزکاة باب صلاة الإمام ودعائه لصاحب الصدقة : ج3/361 رقم الحديث : 1497.

^(٧) من سورة هود 11 : (الآية / 87) .

أحياناً يكون معنى الصلاة : الرحمة والمغفرة ، وأحياناً يكون معناها : الدين ، وهذا ليس على إطلاقه .

(والصلاحة فعلة من صلٰى إذا دعا ، كالزكاة من زكي ، وإنما كتبنا بالواو مراعاة للفظ المفخم ، وإنما سمي الفعل المخصوص بها لاشتماله على الدعاء)⁽²⁾

(وقال قوم : هي مأخوذة من الصلا ، وهو عرق في وسط الظهر ويفترق عند العجب ، ومنه أخذ المصلي في سبق الخيل ، لأنَّه يأتي في الخلبة ورأسه عند صلوٰي السابق ، فاشتقت منه الصلاة ، لأنَّها ثانية للإيمان فتشبهت بالمصلي من الخيل ، وإنما لأنَّ الرا��ع يثني صلوٰيه ، والصلاحة مغرز الذنب من الفرس ، والاثنان صلوٰان والمصلي تالي السبق ، لأنَّ رأسه عند صلوٰوه)⁽³⁾ وهذا معنى من معاني الصلاة لغة ، لأنَّه في التسابق يوجد أولاً السابق ويليه المصلي أي الثاني في السبق ، ولذلك سمي الله الصلاة بهذا الاسم حيث هي تالية للإيمان أي بعد الإيمان ، وقد تكون الإيمان كله لأهميتها ، كما قال الله تعالى : ﴿ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ ﴾⁽⁴⁾ أي صلاتكم .

وهكذا نجد توسعاً كبيراً في معاني كلمة الصلاة ، لكن بعض معانيها يندرج تحت المعاني الرئيسية الثلاث وهي :

- 1 — سميت بذلك لرفع الصلا ، وهو مغرز الذنب من الفرس .
- 2 — مأخوذة من الدعاء والتعظيم والتمجيد والتبريك والدين .
- 3 — مأخوذة من صلٰيت العود إذا لينته وألزمته وأحرقته ، فالمصلي يلين ويخشى ، وإذا خشع واستشعر طعم الصلاة لزمهها وجعلت قرة عينه ، وبذلك يلزمها ولا يتركها ، فيبعده الله من الصلٰى الذي هو نار الله الموقدة .

¹) تأويل مشكل القرآن لابن قتيبة ، شرحه السيد أحمد صقر ، المكتبة العلمية ، بيروت ، لبنان ، ط 3 ، 1401هـ ، 1981م ، ص 460 — 461 .

²) حاشية الجمل على الحلالين للشيخ سليمان بن عمر العجيلي الشهير بالجمل ، ط 2 ، 1418هـ - 1997م ، ج 1/12 .

³) فتح القدير لحمد بن علي الشوكاني ، دار الرفاء المنصورة ، ط 2 ، 1418هـ - 1997م ، ج 1/114 .

⁴) من سورة البقرة 2 : (الآية / 143) .

(والصلوة المفروضة سميت صلاة لأن المصلي متعرض لاستنجاح طلبه من ثواب الله بعمله ، مع ما يسأل ربه من حاجاته ، تعرض الداعي بدعائه ربه استنجاح حاجاته وسؤاله⁽¹⁾ وهذا معنى من معانى الصلاة وهو الدعاء .

الكلمة الثانية : الشيطان من قوله تعالى :

﴿وَإِذَا حَنَّوا إِلَى شَيْطَنِهِمْ﴾⁽²⁾

كلمة الشيطان لها ثلاثة معانٍ : بعيد ، هالك ، محترق ، وكلها تنطبق على الشيطان .

(فأما الشيطان ففي اشتقاءه ثلاثة أقوال :

أحدها : أنه فيعال من شطن أي بعد ، ومنه قوله : نوى شطون أي بعيدة ، وشطنت داره أي بعدت فسمى شيطانا إما لبعده عن الخير ، وإما لبعد مذهبة في الشر فعلى هذا النون أصلية . والقول الثاني : أنه مشتق من شاط يشيط ، أي هلك يهلك ، والقول الفاصل : أنه فعلان من الشيط وهو الاحتراق ، كأنه سمي بما يقول إليه حاله⁽³⁾

وهذه المعانى الثلاثة تنطبق على الشيطان ، فالشيطان بعيد عن رحمة الله لمخالفته أمره ، ومحترق بنار الآخرة لعصيانه ربه وعدم سجوده لآدم عليه السلام ، فهو إذا هالك وفيه معنى القبح كما قال تعالى : **﴿طَلَعُهَا كَانَهُ، رُءُوسُ الشَّيَّاطِينِ﴾**⁽⁴⁾ ، أراد في القبح الذي يتصوره في ذهنه كل سامع لهذا اللفظ ، والعرب تتصور الشيطان بأقبح صورة والملك بأحسنها .

والشيطان مخلوق من النار ، كما دل عليه قوله تعالى : **﴿وَخَلَقَ الْجَنَّانَ مِنْ مَارِجِ مِنْ نَارٍ﴾**⁽⁵⁾ ، (وسمي كل خلق ذميم للإنسان شيطانا فقال عليه السلام : {الحسد شيطان والغضب شيطان }⁽¹⁾)⁽²⁾

⁽¹⁾ تفسير الطبرى : ج 1 / 137 .

⁽²⁾ من سورة البقرة 2 : (الآية / 14) .

⁽³⁾ النكت والعيون للماوردي : ج 1 / 76 ————— 77 .

⁽⁴⁾ من سورة الصافات 37 : (الآية / 65) .

⁽⁵⁾ من سورة الرحمن 55 : (الآية / 15) .

وقال الرسول صلى الله عليه وسلم : { إن الغضب من الشيطان ، وإن الشيطان خلق من النار ، وإنما تطفأ النار بالماء ، فإذا غضب أحدكم فليتووضأ } ⁽³⁾

ويتضح جمال اللغة العربية بتعدد المعاني للفظة الواحدة ، فكلمة شيطان لها عدة معان : () الشيطان واحد الشياطين ، لأنه من شيطان إذا بعد عن الخير وشطنت داره أي بعده ، وبعثر شطون أي بعيدة القعر ، والشيطان : الجبل سمي به وبعد طرفه وامتداده ، وسمى الشيطان شيطاناً بعده عن الحق وترده ، وذلك أن كل عات متمرد من الجن والإنس والدواب شيطان. وقيل : إن شيطاناً مأخوذ من شاطي شيط إذا هلك ، وشاط إذا احترق ، وشيط اللحم إذا دخنته ولم تنضجه ، وشاط الرجل إذا احتد غضباً ⁽⁴⁾

الكلمة الثالثة : الرعد من قوله تعالى : *فِيهِ ظُلْمَتٌ وَرَعْدٌ وَرَبْرَقٌ* ⁽⁵⁾

(الراء والعين والدال أصل واحد يدل على حركة واضطراب) ⁽⁶⁾

فكلمة رعد ليس معناها فقط الحركة وإنما حركة واضطراب . (الرعد : اسم ملك موكل بالسحب سمي صوته باسمه رعداً ، وقيل : ريح تختنق تحت السحاب ، وقيل : صوت اصطدام أجرام السحاب) ⁽⁷⁾

⁽¹⁾ رواه الإمام أحمد : 4/226 بلفظ : (إن الغضب من الشيطان) ، رقم الحديث 18148 .

⁽²⁾ مفردات ألفاظ القرآن للراغب الأصفهاني : 455 مادة شيطان .

⁽³⁾ رواه أبو داود : رقم الحديث / 4784 . قال شعيب الأرنؤوط : إسناده ضعيف ، ورواه أحمد : 18014 (4/226) ، وقال الألباني في تعليقه على أبي داود ضعيف .

⁽⁴⁾ الجامع لأحكام القرآن للقرطبي : ج 1/64 .

⁽⁵⁾ من سورة البقرة 2 : (الآية / 19) .

⁽⁶⁾ معجم مقاييس اللغة لابن فارس : ج 1/411 .

⁽⁷⁾ غرائب التفسير وعجائب التأويل لحمدود بن حمزة الكرماني : ج 1/123 .

فكلمة تختنق توحى بالاضطراب ، وكذلك كلمة اصطكاك تؤدي معنى الاضطراب ، فكلمة رعد تعطي معنى الاضطراب المخيف ، ولذلك يستحب قول : سبحان الذي يسبح الرعد بحمده والملائكة من خيفته . عند سماع صوت الرعد .

(وفي الرعد ثلاثة أوجه :

1) أنه ملك ينعق بالغيث كما ينعق الراعي بعنه ، فسمى الصوت رعدا باسم ذلك الملك .

2) أنه ريح تختنق تحت السحاب فتصوب ذلك الصوت .

3) أنه صوت اصطكاك الأجرام .)¹

ومما يؤكّد أن في الرعد معنى الخوف ما جاء في المفردات :

(الرعد صوت السحاب ، وروي أنه ملك يسوق السحاب)² ، وقيل : رعدت السماء وبرقت ، وأرعدت وأبرقت ويكنى بهما عن التهديد . وقيل : أرعدت فرائصه خوفا)³

(قوله تعالى : ﴿وَيُسَيِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ وَالْمَلَائِكَةُ مِنْ حِيفَتِهِ﴾ ، قال الزجاج)⁴

: جاء في التفسير أنه ملك يزجر السحاب ، قال : وجائز أن يكون صوت الرعد تسبيحه ، لأن صوت الرعد من عظيم الأشياء ، وقال ابن عباس : الرعد ملك يسوق السحاب كما يسوق الحادي الإبل بجداهه ، وقيل : الرعد صوت السحاب ، والبرق ضوء ونور يكونان مع السحاب . قالوا : وذكر الملائكة بعد الرعد في قوله عز وجل : ﴿وَيُسَيِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ وَالْمَلَائِكَةُ مِنْ حِيفَتِهِ﴾ يدل على أن الرعد ليس بملك ، وقال الذين قالوا الرعد ملك :

ذكر الملائكة بعد الرعد وهو من الملائكة كما يذكر الجنس بعد النوع)⁵

¹) النكت والعيون للماوردي : ج 1/ 82 .

²) أخرجه أحمد : 274/1 .

³) مفردات ألفاظ القرآن للراغب الأصفهاني : 357 مادة رعد .

⁴) من سورة الرعد 13 : (الآية / 13) .

⁵) لسان العرب لابن منظور : ج 3/ 179 مادة رعد .

يترجح لدى أن الرعد هو صوت السحاب المتحرك المضطرب حيث يصدر هذا الصوت المخيف المفزع فنقول : { اللهم لا تقتلنا بغضبك ، ولا هلكنا بعذابك ، وعافنا قبل ذلك }⁽¹⁾

والرعد أصوات تنشأ في السحاب ، والبرق لامع ناري مضيء يظهر في السحاب ، والرعد والبرق ينشأان في السحاب من أثر كهربائي يكون في السحاب ، فإذا تكاففت سحابتان في الجو إحداهما كهرباؤها أقوى من كهرباء الأخرى وتحاكيتا جذب الأقوى منها الأضعف ، فحدث بذلك انشقاق في الهواء بشدة وسرعة ، فحدث صوت قوي هو المسمى الرعد ، وهو فرقعة هوائية من فعل الكهرباء ، ويحصل عند ذلك التقاء الكهرباءين وذلك يسبب انفصال البرق .

(ويقال : أصل الرعد من الحركة ، ومنه الرعديد للجبان ، وارتعد : اضطرب ، والبرق : أصله من البريق والضوء ، ورعدت السماء من الرعد وبرقت من البرق ، ورعدت المرأة وبرقت : تحـ سنت وتنـ نـت ، ورـ دـ

الرجل وبرق : تـدد وأـودـد ، وأـرـدـدـ القـوـمـ وـأـبـرـقـواـ : أـصـاـبـهـمـ رـعـدـ وـبـرـقـ)⁽²⁾
وهكذا يتبيـنـ لناـ فيـ كـلـ اـشـتـقـاقـاتـ الـكـلـمـةـ أـنـ الرـعـدـ يـعـنيـ : شـدـةـ الـحـرـكـةـ إـضـافـةـ إـلـىـ
الـاضـطـرـابـ وـالـخـوفـ .

أما البرق : (فالباء والراء والكاف أصلان تتفرع الفروع منها : أحدهما لمعان الشيء ، والآخر اجتماع السواد والبياض في الشيء .

والإنسان إذا بقي كالمتحير قيل : برق بصره برقا ، فهو برق فزع مبهوت ، وكذلك تفسير من قرأها ﴿فَإِذَا رَأَيَ الْبَصَرُ﴾⁽³⁾ ، فأما من قرأ : بـرـقـ الـبـصـرـ فإـنـهـ يـقـولـ : تـراـهـ يـلـمـعـ
من شدة شخصه تراه لا يطيق)⁽¹⁾

¹) رواه الترمذى : كتاب الدعوات / باب 50 ما يقول إذا سمع الرعد رقم الحديث : 3450 . وقال حديث غريب ، وقال الألبانى ضعيف ، ورواه أحمـدـ : 5763 (100 / 2) قال شعيب الأرنؤوط : إسناده ضعيف ، ورواه أبو يعلى : 5507 (9 / 380) وقال حسين سليم أسد : إسناده ضعيف ، ورواه الحاكم 7772 (4 / 318) وقال صحيح الإسناد ولم يخرـجـاهـ .

²) الجامـعـ لأـحكـامـ الـقـرـآنـ للـقرـطـيـ : جـ 1 / 152 .

³) من سورة القيمة 75 : (الآية / 7) .

إذن الكلمة البرق تعني ثلاثة معانٍ : البرق والمعنى ، والمعنى الثاني : اجتماع السوداد والبياض في الشيء ، والمعنى الثالث : الخوف والفزع وهو المعنى الثالث أيضاً لكلمة الرعد، ولذلك اجتمعت الكلمتان في كثير من السياقات مثل : رعد الرجل وبرق أي هدد وأ وعد . ومثل : ﴿فِيهِ ظُلْمٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ﴾ في سياق المطر والعواصف . فيا سبحان الله !

الكلمة الرابعة : بارئكم من قوله تعالى : ﴿فَتُوبُوا إِلَيْنَا بَارِئُكُمْ﴾⁽²⁾

(أصل البرء والبراء والتبرى : التقصي مما يكره مجاورته ، ولذلك قيل : برأت من المرض وبرئت من فلان ، والباري خصّ بوصف الله تعالى : نحو قوله : ﴿الْبَارِئُ﴾⁽³⁾ ، قوله تعالى : ﴿فَتُوبُوا إِلَيْنَا بَارِئُكُمْ﴾⁽¹⁾ والبرية : الخلق ، وقيل : أصله المهز فترك ، وقيل بل ذلك من قوله لهم : بريت العود ، وسميت برية لكونها مبرية من البرى أي التراب ، بدلالة قوله تعالى : ﴿خَلَقَنَا مِنْ تُرَابٍ﴾⁽⁴⁾ (وقوله تعالى : ﴿الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ﴾⁽²⁾ فالخالق هو القادر الموجد من العدم ، والباري أخص بوصف الله تعالى ، فإنه أخص من الخالق لأنه خلق بترتيب مسو ثم التصوير بعد ذلك ، فلذلك جاءت عدة الصفات متالية على أبدع سياق ، قوله تعالى : ﴿فَتُوبُوا إِلَيْنَا بَارِئُكُمْ﴾⁽¹⁾ تنبية على أخص الصفتين ، فلذلك قال : بارئكم دون خالقكم لأنه أبعث لهم على التوبة⁽⁶⁾)

⁽¹⁾ معجم مقاييس اللغة لابن فارس : ج 1 / 223 ————— 224 .

⁽²⁾ من سورة البقرة 2 : (الآية / 54) .

⁽³⁾ من سورة الحشر 59 : (الآية / 24) .

⁽⁴⁾ من سورة غافر 40 : (الآية / 67) .

⁽⁵⁾ مفردات ألفاظ القرآن للراغب الأصفهاني : 121 ————— 122 مادة برأ .

⁽⁶⁾ عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ للسمين الحلبي : 43 مادة برأ .

نخلص من هذا إلى أن البارئ لها ثلاثة معان ، أولها : الخالق ، وثانيها : التساوي والترتيب والتناسب ، وثالثها : التباعد من الشيء والتمايز .

(برأ : الباء والراء والمهمزة فأصلان ، أحدهما : الخالق ، يقال : برأ الله الخلق يبرؤهم برعاء ، والبارئ الله حل ثناوه ، والأصل الآخر : التباعد من الشيء ومزايلته من ذلك البرء وهو السلامه من السقم)⁽¹⁾

(واحتلقو في هذه التسمية على أقاوين :

أحدها : أنها مأخوذة من برأ الله الخلق يبرؤهم برعاء .
والثاني : أنها فعيلة من البرء وهو التراب .

والثالث : أنها مأخوذة من برئ الشيء وهو انفصاله عنه ، ومنه البراءة من الدين لانفصاله عنه ، وأبرأه الله من المرض إذا أزاله عنه)⁽²⁾

(البارئ هو الذي خلق الخلق بريبا من التفاوت وعدم تناسب الأعضاء وتلاطم الأجزاء لأن تكون إحدى اليدين في غاية الصغر والرقة ، والأخرى بخلافه ، ومتميزة بعضه عن بعض بالخواص والأشكال والحسن والقبح فهو أخص من الخالق ، وأصل التركيب لخلوص الشيء وانفصاله عن غيره ، إما على سبيل التفصي — كبرء المريض — أو الإنشاء كبراً الله تعالى آدم ، أي خلقه ابتداء متميزة عن لوث الطين ، وفي ذكره في هذا المقام تقرير بما كان منهم من ترك عبادة العالم الحكيم الذي برأهم بلطيف حكمته حتى عرضوا أنفسهم لسخط الله ونزول أمره بأن يفك ما ركبوا من خلقهم ، وينشر ما نظم من صورهم وأشكالهم حين لم يشکروا النعمة في ذلك ، وغمطوها بعبادة من لا يقدر على شيء منها)⁽³⁾

الْخَلِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ وإنما ذكرت هذه الصفات متتابعة لأن من مجموعها يحصل تصور الإبداع الإلهي للإنسان ، فابتدئ بالخلق الذي هو الإيجاد الأصلي ثم بالبرء الذي هو تكوين جسم الإنسان ثم بالتصور الذي هو إعطاء الصورة الحسنة ، كما أشار إليه قوله

⁽¹⁾ معجم مقاييس اللغة لابن فارس : ج 1/ 236 مادة برأ .

⁽²⁾ النكت والعيون للماوردي : ج 1/ 122 .

⁽³⁾ روح المعاني للألوسي : ج 1/ 259 ————— 260 .

تعالى : ﴿ الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّدَكَ فَعَدَّكَ ۚ فِي أَيِّ صُورَةٍ مَا شَاءَ رَكَبَكَ ۚ ۸ ﴾⁽¹⁾ ،

وقوله تعالى : ﴿ هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُ كُمْ فِي الْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ ۚ ﴾⁽²⁾

إذن كلمة البارئ أعطت معنى إضافياً عن الخلق ، وهو التناسق والتركيب البديع للخلق ، فالله جل جلاله خالق ، لكنه خالق خلقاً بريئاً من التفاوت وعدم تناسب الأعضاء وتلاطم الأجزاء . وخالق خلقاً متميزاً عن لوث الطين : ﴿ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحَدُ أَحْسَنِ الْخَلِيقَينَ ۖ ۱۶ ﴾⁽³⁾ ، وأصل برأ من تبرى الشيء من الشيء وهو انفصاله منه ، فالخلق قد فصلوا من العدم إلى الوجود . وهذا هو المعنى الثالث لكلمة البارئ .

والبارئ : الخالق وبينهما فرق ، وذلك أن البارئ هو المبدع المحدث ، والخالق هو المقدر الناقل من حال إلى حال .

الكلمة الخامسة : الرجز من قوله تعالى :

﴿ فَأَنْزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا رِجْزًا مِنَ السَّمَاءِ ﴾⁽⁴⁾

(أصل الرجز : الاضطراب ، ومنه قيل : رجز البعير رجزاً فهو أرجز ، وناقة رجزاء : إذا تقارب خطوها واضطرب لضعف فيها ، وشبّه الرّجز به لتقارب أحزائه ، وتصور رجز في اللسان عند إنشاده .

وقوله : ﴿ عَذَابٌ مِنْ رِجْزٍ أَلِيمٍ ۖ ۵ ﴾⁽⁵⁾ ، فالرجز هنا كالزلزلة ، وقال تعالى :

﴿ إِنَّا مُنْزِلُونَ عَلَىٰ أَهْلِ هَذِهِ الْقَرْيَةِ رِجْزًا مِنَ السَّمَاءِ ﴾⁽⁶⁾

⁽¹⁾ من سورة الانفطار 82 : (الآيات / 7 - 8) .

⁽²⁾ من سورة آل عمران 3 : (الآية / 6) .

⁽³⁾ من سورة المؤمنون 23 : (الآية / 14) .

⁽⁴⁾ من سورة البقرة 2 : (الآية / 59) .

⁽⁵⁾ من سورة سباء 34 : (الآية / 5) .

⁽⁶⁾ من سورة العنكبوت 29 : (الآية / 34) .

⁽⁷⁾ مفردات ألفاظ القرآن للراغب الأصفهاني : 341 .

إذن من معاني الرجز : الاضطراب . والرّجز : داء يصيب الإبل في أعجائزها ، فإذا ثارت ارتعشت أفخاذها .

فالذين ينزل عليهم الرجز يضطربون اضطراباً نفسياً ومحنواً وجسدياً .

(وأصل الرجز : العذاب ، وأصله الاضطراب ، ومنه رجز البعير يرجز رجراً فهو أرجز ، ورجز : تقارب خطوه واضطرب فيه ، وشبه به بحر الرجز لتقارب أجزائه في التقطيع ، وقوله

تعالى : ﴿عَذَابٌ مِّنْ رَّجِزٍ﴾ أي مزلزل مزعج⁽¹⁾

فمن معاني الرجز : العذاب ، لكنه ليس أي عذاب ، فهو عذاب مزلزل مزعج مرعب فيه معنى الاضطراب ، وقد تعددت أوصاف العذاب في القرآن الكريم (أليم ، عظيم ، شديد ، مهين ، رجز) وكل وصف يناسب السياق ، ويناسب أيضاً نوع الذنب والخطيئة .

(وفي الرجز ثلاثة أقاويل :

أحدها : أنه العذاب وهو قول ابن عباس .

والثاني : أنه الغضب وهو قول أبي العالية⁽²⁾ .

والثالث : أنه الطاعون بعثه الله عليهم فأهلكهم وهو قول ابن زيد⁽³⁾

(فاما الرجز فهو العذاب ، وفي ماهية هذا العذاب ثلاثة أقوال :

أحدها : أنه ظلمة وموت مات منهم في ساعة واحدة أربعة وعشرون ألفاً وهلك سبعون ألفاً عقوبة ، قاله ابن عباس .

والثاني : أنه أصحاب الطاعون ، عذبوا به أربعين ليلة ثم ماتوا ، قاله وهب بن منبه⁽⁴⁾ .

والثالث : أنه الثلج : هلك به منهم سبعون ألفاً ، قاله سعيد بن جبير⁽¹⁾

⁽¹⁾ عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الأنفاظ للسمين الحلبي : 195 ————— 196 مادة رجز .

⁽²⁾ أبو العالية : رفيع بن مهران الإمام المقرئ الحافظ المفسر ، أبو العالية الرياحي البصري ، أحد الأعلام ، أدرك زمان النبي صلى الله عليه وسلم وهو شاب ، وأسلم في خلافة أبي بكر الصديق ، حفظ القرآن . توفي 90 هـ ، سير أعلام النبلاء : ج 4 / 213 ————— 207

⁽³⁾ النكت والعيون للمماوردي : ج 1/ 127 .

⁽⁴⁾ وهب بن منبه : الأنباري الصناعي الدماري ، أبو عبد الله مؤرخ كثير الإخبار عن الكتب القديمة ، عالم بأساطير الأولين ، يعد في التابعين ، ولد ومات بصنعاء وولاه عمر بن عبد العزيز قضاها ، له (قصص الأنبياء) و (قصص الأخيار) ينظر الأعلام : ج 8/ 125 ————— 126 .

فمن معانٍ الرجز : شدة العذاب ، فقد يكون الغضب ، وإذا غضب الله أنزل أشد العقوبات مثل الطاعون أو الثلج .

(فإن فسر بالثلج كان كونه من السماء ظاهرا ، وإن بغيره فهو إشارة إلى الجهة التي يكون منها القضاء أو مبالغة في علوه بالقهر والاستيلاء)⁽²⁾
وهكذا يتبيّن لنا أن الكلمة الرجز لها عدة معانٍ : الاضطراب والعذاب ، مع الدمار والهلاك .

الكلمة السادسة : النبي من قوله تعالى :

﴿ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيًّا ۖ يُغَيِّرُونَ الْحَقَّ ۚ ﴾⁽³⁾

(وفيما أحذ منه اسم النبي ثلاثة أقاويل :

أحدها : أنه مأخوذ من النبأ وهو الخبر ، لأنّه ينبيء عن الله أي يخبر ، ومنه قوله تعالى :

﴿ أَمْ لَمْ يَبْنَأْ بِمَا فِي صُحْفٍ مُّوسَى ۚ ﴾⁽⁴⁾

والثاني : أن أصل النبي هو الطريق ، فسمى رسول الله صلى الله عليه وسلم نبيا لأنّه الطريق إليه .

والثالث : أنه مأخوذ من النبوة ، لأن منزلة الأنبياء رفيعة)⁽⁵⁾

فكلمة النبيين جمعت بين ثلاثة معانٍ : الرفعـة ، وـمنـزلـةـ الأنـبـيـاءـ رـفـيـعـةـ ، وـ المعـنـىـ الثـانـيـ : الطـرـيقـ ، فـالـأـنـبـيـاءـ هـمـ الطـرـيقـ إـلـىـ اللهـ وـهـوـ الطـرـيقـ إـلـىـ جـنـاتـ النـعـيمـ ، وـ المعـنـىـ الثـالـثـ : النـبـأـ وـهـوـ الخبرـ ، فـالـأـنـبـيـاءـ كـلـهـمـ يـخـبـرـونـ عـنـ اللهـ الـوـحـيـ وـالـرـسـالـةـ .

(واشتقاد النبي من نبأ وأنبأ أي أخبر ، ويجوز أن يكون من نبا ينبو إذا ارتفع ، فيكون

بـغـيـرـ هـمـزـ : فـعـيـلاـ مـنـ الرـفـعـةـ)⁽¹⁾

⁽¹⁾ زاد المسير لابن الجوزي : ج 1 / 86 .

⁽²⁾ روح المعانٍ للألوسي : ج 1 / 267 .

⁽³⁾ من سورة البقرة 2 : (الآية / 61) .

⁽⁴⁾ من سورة النجم 53 : (الآية / 36) .

⁽⁵⁾ النكت والعيون للماوردي : ج 1 / 131 .

جاء في كتاب عمدة الحفاظ : (أنه من النبأ مهموز ، والثاني : أنه من نبا ينبو أي ارتفع ، قال بعضهم : هو من النبوة أي الرفعه سمى نبيا لرفعه محله عن سائر الناس المدلول عليهما بقوله تعالى : ﴿ وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلَيْهَا ﴾⁽²⁾ ، والنبوة الارتفاع ، يقال له نباوة ونبوة أي رفعه وشرف ، وقال غيره : النبي ما ارتفع من الأرض واحدو دب ، وسميت رسول الله أنبياء لكونهم طرقا إلى الله⁽³⁾)

قرأ نافع كلمة النبيين بالهمز : النبيين ، والباقيون بدون همز .

وهكذا يتبين لنا جمال اللغة العربية وسعة معانيها ، حيث كلمة النبي لها ثلاثة معانٍ رائعة تنطبق على النبي : من النبأ وهو الخبر ، والارتفاع حيث أن منزلة الأنبياء عالية ، والمعنى الثالث : الطريق ، فالأنبياء طريق الناس إلى الله وإلى جنات النعيم .

الكلمة السابعة : الصابرين من قوله تعالى :

وَالظَّرَى وَالصَّابِرِينَ⁽⁴⁾

(واحتل了一 في المأخذ منه هذا الاسم على ثلاثة أقاويل : أحدها : أنه مأخذ من الطلوع والظهور من قوله لهم : صبا ناب البعير إذا طلع . والثاني : أن الصابئ الخارج من شيء إلى شيء ، فسمي الصابئون بهذا الاسم لخروجهم من اليهودية والنصرانية .

والثالث : أنه مأخذ من قوله لهم : صبا يصبو إذا إلى شيء وأحبه⁽⁵⁾)

(صبا إلى شيء يصبو إذا مال قلبه إليه ، والاسم الصّبّوة ، والثاني : ريح الصبا وهي التي تستقبل القبلة ، يقال : صبت تصبو ، والثالث : قول العرب : صابيت الرمح.

⁽¹⁾ زاد المسير لابن الجوزي : ج 1/90 .

⁽²⁾ من سورة مريم 19 : الآية / 57 .

⁽³⁾ للشيخ السمين الحلبي : 561 مادة نبو .

⁽⁴⁾ من سورة البقرة 2 : الآية / 62 .

⁽⁵⁾ النكت والعيون للماوردي : ج 1/132 ————— 133 .

فاما المهموز فهو يدل على خروج وبروز ، يقال : صبا من دين إلى دين ، أي خرج ، وهو قولهم : صبا ناب البعير إذا طلع ، والخارج من دين إلى دين صايء والجمع صابئون وصياء⁽¹⁾

كلمة صبا لها عدة معانٍ منها : الخروج من دين إلى دين ، والظهور والطلع ، ومحبة الشيء والميل إليه .

فالصابئ في اللغة : من خرج ومال من دين إلى دين ، ولهذا كانت العرب تقول لمن أسلم قد صبا ، فالصابئون قد خرجو من دين أهل الكتاب . وأحبوا الدين الذي اختاروه ومالوا إليه ، وظهر أمرهم وطلع لغراية دينهم ، وهكذا كانت كلمة الصابئ جامعة لكل المعانٍ الثلاث . قال قنادة : هم قوم تركب دينهم بين اليهودية والمحوسية ، وقيل : هم قوم يعبدون الملائكة ويصلون إلى القبلة ويقرؤون الزبور ويصلون الخمس . وهم قوم يعظمون النجوم كما تعظم الكعبة ، وقيل : هم قوم موحدون يعتقدون تأثير النجوم ويقررون بعض الأنبياء .

(والصابئون : قوم عبدوا الملائكة ، وقيل : الكواكب . والجمهور على همزه ، وقرأه نافع غير مهموز . فمن همزه جعله من صبا ناب البعير أي خرج ، وصابات النجوم : طلعت ، فالصابئ التارك لدينه كالصابئ الطارئ على القوم فإنه تارك لأرضه ومنتقل عنها)⁽²⁾ من هنا تبين لنا معنيان لكلمة صابئ : خارج وظاهر ، والمعنى الثاني : تارك لدينه ، والثالث : مائل إلى الدين الذي اختاره .

وفعلا الصابئ تنطبق عليه المعانٍ الثلاث فهو ترك دينه وانتقل إلى دين آخر رغبة وحبا فيه ، ظهر أمره وطلع . مما أكثر فصاحة القرآن لا تتحصر وجوهها ولا تنتهي .

الكلمة الثامنة : السبت من قوله تعالى :

﴿ وَلَقَدْ عِلِّمْتُمُ الَّذِينَ أَعْتَدْنَا مِنْكُمْ فِي السَّبْتِ ﴾⁽¹⁾

⁽¹⁾ معجم مقاييس اللغة لابن فارس : ج 2 / 332 .

⁽²⁾ الدر المصنون في علوم الكتاب المكتوب للسمين الحلي : ج 1 / 407 .

(سبت : قوله تعالى : ﴿ وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَّاً ۚ ﴾⁽²⁾ أي قطعاً لأعمالكم التي تزاولوها نهاراً ، والمعنى : جعلناه راحة لكم ، أو لأنه ينقطع فيه حركاتكم فتسكنون ، والسبات : السكون ، ومنه يوم السبت لأنه يقال : قطع فيه بعض خلق الأرض ، أو لأنه حرم على اليهود فيه العمل ، يقال : أسبت إذا دخل في السبت ، وسبت يسبت إذا عظمه ، ومنه قوله تعالى : ﴿ وَيَوْمَ لَا يَسْتِئْنُونَ ۚ ﴾⁽³⁾ أي لا يفعلون ما يجب في شرعهم في هذا اليوم)⁽⁴⁾

تنطبق كل هذه المعاني الثلاث على كلمة السبت : القطع والسكن والتعظيم .
(أنه سمي بذلك لأنه سبت حلق كل شيء أي قطع وفرغ منه ، وقيل : أنه سمي بذلك لأن اليهود يسبتون فيه أي يقطعون فيه الأعمال .

وقيل : أن أصل السبت المدوء والسكنون في راحة ودعة ، ولذلك قيل : للنائم مسبوت لاستراحته وسكنون جسده ، كما قال تعالى : ﴿ وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَّاً ۚ ﴾⁽⁵⁾ فسمى به اليوم لاستراحة اليهود فيه)

فالسبت لغة له ثلاثة معانٍ : القطع والفراغ من العمل ، والسكنون والمدوء ، والراحة .
(سبت : السين والباء والتاء أصل واحد يدل على راحة وسكنون ، يقال للسير السهل اللين : سبت ، وأما السبت بعد الجمعة فيقال : إنه سمي بذلك لأن الخلق فرغ منه يوم الجمعة وأكمل ، فلم يكن اليوم الذي بعد الجمعة يوماً خلق فيه شيء والله أعلم بذلك)⁽⁶⁾
(والسبت مأخوذ إما من : السبت الذي هو الراحة والدعة ، وإما من السبت وهو القطع ، لأن الأشياء فيه سبت وقت خلقتها)⁽⁷⁾

⁽¹⁾ من سورة البقرة 2 : (الآية / 65) .

⁽²⁾ من سورة النبأ 78 : (الآية / 9) .

⁽³⁾ من سورة الأعراف 7 : (الآية / 163) .

⁽⁴⁾ عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الأنفاظ : 228 مادة سبت .

⁽⁵⁾ النكت والعيون للماوردي : ج 1/ 135 .

⁽⁶⁾ معجم مقاييس اللغة لابن فارس : ج 2/ 124 _____ 125 مادة سبت .

⁽⁷⁾ المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز لابن عطية : ج 1/ 159 _____ 160 .

فمعنى السبت في كلام العرب : القطع ، يقال : قد سبت رأسه إذا حلقه وقطع الشعر منه ، ويقال نعل سبتية : إذا كانت مدبوغة مخلوقة الشعر ، فسمى السبت سبتا لأن الله تعالى ابتدأ الخلق فيه وقطع فيه بعض خلق الأرض ، أو لأن الله تعالى أمربني إسرائيل فيه بقطع الأعمال وتركها .

(وأصل السبت القطع لأن اليهود أمروا بأن يقطعوا الأعمال ويستغلوا بعبادة الله ، ويسمى النوم سباتا لأنه يقطع الحركات الاختيارية)⁽¹⁾

(والسبت اسم لليوم المعروف ، وهو مأخوذ من السبت الذي هو القطع لأنه سبت فيه خلق كل شيء وعمله ، وقيل من السبوت وهو الراحة والدعة ، وقيل : المراد بالسبت هنا مصدر سبت اليهود إذا عظمت يوم السبت)⁽²⁾

وهكذا يتبيّن لنا أن كلمة السبت لها ثلاثة معانٍ : القطع ، والسكون والراحة ، والتعظيم والاحترام . وهذه المعانٍ كلها تتطابق على كلمة السبت ، فما أفصح ألفاظ القرآن الكريم ! .

الكلمة التاسعة : نكالا من قوله تعالى :

﴿فَجَعَلْنَاهَا نَكَالًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا وَمَوْعِظَةً لِلْمُتَّقِينَ ﴾⁽³⁾

(نكالا لها ثلاثة تأويلات :

أحدها : عقوبة وهو قول ابن عباس .

والثاني : عبرة ينكل بها من رآها .

والثالث : أن النكال الاشتهر بالفضيحة)⁽⁴⁾

كلمة النكال لها ثلاثة معانٍ : العقوبة والعقاب ، عذاب شديد جدا بحيث يمنع غيره من الوقوع في نفس الفعل (منع الغير) هذا هو المعنى الثاني لكلمة النكال ، والمعنى الثالث :

¹) تنوير الأذهان من تفسير روح البيان للشيخ إسماعيل البروسوي : ج 1 / 70 .

²) روح المعانٍ في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني للألوسي : ج 1 / 282 .

³) من سورة البقرة 2 : (الآية / 66) .

⁴) النكت والعيون للماوردي : ج 1 / 136 .

الفضيحة حيث لا يتأتى معنى الاعتبار ومنع الغير إلا بالفضيحة كما قال تعالى: ﴿ وَلِشَهَدَ ﴾

عَذَابَهُمَا طَالِفَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿ ٦ ﴾⁽¹⁾

(وأصل ذلك من نكل أي منع ، لأن القيد يمنع عن الشيء ، ومنه نكلت به أي فعلت فعلاً يمنع غيره من الورق في فعله ، والنكل عن اليمين : الامتناع منه ، والنكل أيضاً :

اللجام لأنه يمنع الدابة عن الجماح ، قوله تعالى : ﴿ فَجَعَلْنَاهَا نَكَلًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا

خَلْفَهَا ﴾⁽²⁾ أي فجعلنا العقوبة أو القرية العاقبة أو الطائفية منعاً لمن تقدمها أو تأخر عنها أن يرتكبوا مثل ما ارتكبوا ، والنكل : العذاب ، قوله تعالى : ﴿ وَاللَّهُ أَشَدُّ بَأْسًا وَأَشَدُّ

تَنْكِيلًا ﴾⁽³⁾ ، أي تعذيباً عذاباً يمنع الغير من الذنب

(نكل : أصل صحيح يدل على منع وامتناع ، وإليه يرجع فروعه ، ونكل عنه نكولاً ينكل ، وأصل ذلك النكل : القيد وجمعه أنكال ، لأنه ينكل أي يمنع ، والنكل : حديدة اللجام ، وهو نأكل عن الأمور : ضعيف عنها ، ومن الباب نكلت به تنكيلاً ، ونكلت به نكالاً ، ومعناه أنه فعل به ما يمنعه من العاودة وينعى غيره من إثيان مثل صنيعه)⁽⁴⁾

فالنكل هو العقوبة الشديدة المضعفة العاجزة المانعة من العمل ، (يقال : نكل عن الشيء: ضعف وعجز ، ونكلته : قيده ، والنكل : قيد الدابة وحديدة اللجام لكونهما مانعين، والجمع الأنكال ، قال تعالى : ﴿ إِنَّ لَدَيْنَا أَنْكَالًا وَحَيْمًا ﴾⁽⁵⁾ ، ونكلت به: إذا فعلت به ما ينكل به غيره ، واسم ذلك الفعل نكل ، قال تعالى: ﴿ فَجَعَلْنَاهَا نَكَلًا لِّمَا

بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا ﴾⁽⁶⁾ وقال : ﴿ حَزَاءً بِمَا كَسَبَ أَنْكَالًا مِّنَ اللَّهِ ﴾⁽⁶⁾

⁽¹⁾ من سورة النور 24 : (الآية / 2).

⁽²⁾ من سورة النساء 4 : (الآية / 84).

⁽³⁾ عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ للسمين الحلبي : 593 ————— 594 .

⁽⁴⁾ معجم مقاييس اللغة : ج 3 / 473 مادة نكل .

⁽⁵⁾ من سورة المزمل 73 : (الآية / 12).

⁽⁶⁾ من سورة المائدة 5 : (الآية / 38).

(والنکال : المنع ، ومنه النکل اسم للقيد من الحديد واللجام لأنه يمنع به ، وسمي العقاب نکالا لأنه يمنع به غير العاقب أن يفعل فعله ، ويمنع العاقب أن يعود إلى فعله الأول ، والتتکيل: إصابة الغير بالنکال ليُردع غيره ، ونکل عن كذا ينکل نکولا امتنع⁽²⁾ إذن من معانی النکال في اللغة العربية المنع ، والعقاب ، والمعنى الثالث : الاشتھار بالفضيحة حيث هذا المعنى الثالث يجمع المعنيين : الأول والثاني أي العقوبة الشديدة المانعة من معاودة الذنب مرة أخرى للفاعل نفسه ولغيره من الناس . فهي العقوبة الرادعة والعبرة .

الكلمة العاشرة : وسطا من قوله تعالى :

﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِنَكُونُوا شَهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ ﴾⁽³⁾ (وسط : الواو والسين والطاء بناء صحيح يدل على العدل والنصف ، وأعدل الشيء أو سطه ووسطه . قال الله عز وجل : ﴿ أُمَّةً وَسَطًا ﴾ ، ويقولون : ضربت وسط رأسه بفتح السين ، ووسط القوم بسكونها . وهو أو سطهم حسبا إذا كان في واسطة قومه وأرفعهم محلا⁽⁴⁾ فكلمة الوسط تدل على النصف أي التوسط في الأمور ، وتدل على العدل أي عدم الريادة والنقسان ، وتدل أيضا على الرفعة في الحسب والأفضلية .

(قوله تعالى : ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ﴾ فيه ثلاثة تأويلاً : أحدها : يعني خيارا ، من قولهم فلان وسط الحسب في قومه إذا أرادوا بذلك الرفيع في حسبة .

¹) مفردات ألفاظ القرآن للراغب الأصفهاني : 824 ————— 825 مادة نکل .

²) الدر المصنون في علوم الكتاب المكتوب للسمين الحلبي : ج 1 / 415 .

³) من سورة البقرة 2 : (الآية / 143) .

⁴) معجم مقاييس اللغة : ج 3 / 108 مادة وسط .

والثاني : أن الوسط من التوسط في الأمور ، لأن المسلمين توسلوا في الدين ، فلا هم أهل غلوٌ فيه ، ولا هم أهل تقصير فيه ، كاليهود الذين بدلووا كتاب الله وقتلوا أنبياءهم وكذبوا على ربهم ، فوصفهم الله تعالى بأنهم وسط ، لأن أحبت الأمور إليه أو سلطها .

والثالث : يزيد بالوسط عدلا لأن العدل وسط بين الزيادة والنقصان ، وقد روى أبو سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى : ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا كُلُّهُمْ أَيْ عدلا﴾⁽¹⁾

وهكذا يتبيّن لنا معانٍ لكلمة الوسط التي أراد الله منها كل هذه المعانٍ ، وهذا قال :

﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾ يقال : هذا أو سطهم حسنا . والأمة الحمدية هي أفضل الأمم على الإطلاق فهي أو سطهم حسنا حيث نبيها ورسولها هو أفضل الأنبياء حسنا ونسانا . وهذا هو المعنى الأول لكلمة الوسط (وهو الخيار والنفاسة والعزة) ، وأراد الله لهذه الأمة الوسط وهو العدل أي الوسط بين الزيادة والنقصان . فهي أمة عادلة في كل شؤونها ولا تحب الظلم ولا ترضى به . وهذا هو المعنى الثاني .

والمعنى الثالث : التوسط في الأمور ، في كل الأمور ، فلديها حسٌ الموزنات والأولويات الفقهية ، فلا هي من أهل الغلوٌ مثل النصارى ﴿ وَرَهَبَانِيَّةً أَبْتَدَعُوهَا مَا كَنَّبَنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا أَبْتَغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ فَمَارَعَوهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا﴾⁽²⁾ ، ولا هي من أهل التقصير مثل اليهود الذين بدلووا كتاب الله وقتلوا أنبياءهم وكذبوا على ربهم .

وكذا نجد أن كل

المعاني الثلاثة تنطبق وتدرج تحت كلمة الوسط ، وهذا قال الله : ﴿ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾ .

(وسط الشيء : ما له طرفان متساويا القدر ، والوسط تارة يقال فيما له طرفان مذمومان ، يقال : هذا أو سطهم حسنا ، إذا كان في واسطة قومه وأرفعهم محلا ، وكاجود الذي هو بين

⁽¹⁾ النكت والعيون للماوردي : ج 1/ 198 - 199 .

⁽²⁾ من سورة الحديد 57 : الآية / 27 .

البخل والسرف ، فيستعمل استعمال القصد المصنون عن الإفراط والتفريط ، فيمدح به نحو السواء

والعدل والنصفة نحو ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ﴾⁽¹⁾

والوسط : العدل . ومنه قوله تعالى : ﴿ قَالَ أَوْسَطُهُمْ ﴾⁽²⁾ أي أعدلهم وخيرهم (وأصل ذلك أن خير الأشياء أو ساطها ، والغلو والتقصير مذمومان ، وذكر ابن حرير الطبرى أنه من التوسط في الفعل ، فإن المسلمين لم يقتصروا في دينهم كاليهود فإنهم قتلوا الأنبياء وبدلوا كتاب الله ، ولم يغلوا كالنصارى فإنهم زعموا أن عيسى ابن الله)⁽³⁾

وهذه الوسطية هي ميزة وأفضلية للأمة الحمدية ، ولما كان الوسط مجانبا للغلو والتقصير كان محمودا ، أي هذه الأمة لم تغل غلو النصارى في أنبيائهم ، ولا قصرت تقصير اليهود في أنبيائهم . ووسط الوادي : خير موضع فيه وأكثره كلاً وماء ، وفلان من أوسط قومه ، وإنه لواسطة قومه ووسط قومه أي من خيارهم وأهل الحسب منهم ، وفي الحديث : { خير الأمور أو ساطها }⁽⁴⁾ ، والوسط اسم للمكان الواقع بين أمكنته تحيط به ، أو للشيء الواقع بين أشياء محيطة به ليس هو إلى بعضها أقرب منه إلى بعض ، ولما كان الوصول إليه لا يقع إلا بعد اخترق ما يحيط به أحد معنى الصيانة والعزة . كوسط الوادي لا تصل إليه الرعاة والدواب إلا بعد أكل ما في الجوانب فيبقى كثير العشب والكلا ، لأن المكان الوسط لا يصل إليه العدو بسهولة ، وكواسطة العقد لأنفس لؤلؤة فيه، فمن أجل ذلك صار معنى النفاسة والعزة والختار من لوازم معنى الوسط فأطلقوا على الختار النفيض .

(فالوسط في هذه الآية فسر بالختار لقوله تعالى : ﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ﴾⁽⁵⁾ ، وفسر بالعدل ، والجمع في التفسيرين هو الوجه ، والآية ثناء على المسلمين بأن الله قد ادخل لهم الفضل وجعلهم وسطا بما هيأ لهم من أسبابه في بيان الشريعة)⁽⁶⁾

⁽¹⁾ مفردات ألفاظ القرآن للراغب الأصفهاني / 869 مادة وسط .

⁽²⁾ من سورة القلم 68 : (الآية / 28) .

⁽³⁾ زاد المسير في علم التفسير لابن الجوزي : ج 1/ 154 .

⁽⁴⁾ مصنف ابن أبي شيبة : ج 8/ 246 ، وشعب الإيمان للبيهقي : ج 14/ 113 .

⁽⁵⁾ من سورة آل عمران 3 : (الآية / 110) .

⁽⁶⁾ التحرير والتنوير لابن عاشور : ج 2/ 18 ————— 19 .

فما أجمل ألفاظ القرآن الكريم وما أفسحها ! .

الكلمة الحادية عشرة : العفو من قوله تعالى :

(^١) ﴿ وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنِفِّقُونَ قُلِ الْعَفْوَ ﴾

(العفو : خيار كل شيء وأجوده)^(٢)

قال الله تعالى : ﴿ يَأَيُّهَا الَّذِينَ إِمَانُوا أَنْفِقُوا مِنْ طِبَّتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُمْ مِّنَ الْأَرْضِ وَلَا تَمْمَمُوا الْخَيْثَرَ مِنْهُ تُنِفِّقُونَ وَلَسْتُمْ بِغَاصِبِيهِ إِلَّا أَنْ تُعْمِضُوا فِيهِ وَاعْلَمُوا أَنَّ

الله غني حميد 

فالله عز وجل أمر بإنفاق العفو الذي هو خيار كل شيء وأجوده ، والله طيب لا يقبل إلا طيبا ، فمن معاني العفو : خيار الشيء وأجوده .

(العفو : القصد لتناول الشيء ، قوله : ﴿ وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنِفِّقُونَ قُلِ الْعَفْوَ ﴾ أي ما يسهل إنفاقه ، وعفوت عنه : قصدت إزالة ذنبه صارفا عنه ، فالعفو هو التجافي عن الذنب ، قال

تعالى : ﴿ فَمَنْ عَفَ وَأَصْلَحَ ﴾^(٤)

ومن معاني العفو : سهولة الإنفاق . (وفي قوله تعالى :

العفو  تأويلات منها :

أحدها : بما فضل عن الأهل .

والثاني : أنه الوسط في النفقة ، ما لم يكن إسرافا أو إقتارا)^(١)

^(١) من سورة البقرة 2 : (الآية / 219) .

^(٢) المعجم الوسيط / 612 لإبراهيم مصطفى وأحمد حسن الريات مادة عفو .

^(٣) من سورة البقرة 2 : (الآية / 267) .

^(٤) من سورة الشورى 42 : (الآية / 40) .

^(٥) مفردات ألفاظ القرآن للراغب الأصفهاني : 574 مادة عفو .

ف والله عز وجل أراد هذه المعاني الثلاث كلها في كلمة واحدة هي العفو ، فالدين يسر والله عز وجل قال : أنفقوا ما تيسر إنفاقه حيث يكون ما فضل و زاد عن نفقة الأهل الواجبة ثم ينفق ما تيسر ، والإإنفاق يكون من أجود الشيء وأفضلها وهذا من معاني العفو ، ويكون الإنفاق وسطا لا إسراف ولا تقتير . قال الله تعالى : ﴿ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْرُولَةً إِلَى عُنْقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ ﴾⁽²⁾ ، وقال جل شأنه : ﴿ فَتَقْعُدُ مَلُومًا مَحْسُورًا ﴾⁽²⁹⁾ ، ﴿ وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا ﴾⁽³⁾

فمن معاني العفو : الشيء الجيد ، والزيادة وما تيسر إنفاقه ، والاعتدال والوسط والاقتصاد في الإنفاق .

(والعفو هو ما ينفقه المرء دون أن يجهد نفسه وماله . ونحو هذا هي عبارة المفسرين ، وهو مأخوذ من عفا الشيء إذا كثر ، فالمعني أنفقوا ما فضل من حوائجكم ولم تؤذوا فيه أنفسكم فتكونوا عالة ، روي أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : { ابدأ بنفسك فتصدق عليها ، فإن فضل شيء فلأهلك ، فإن فضل شيء عن أهلك فلذي قرابتك ، فإن فضل عن ذي قرابتك شيء فهكذا وهكذا }⁽⁴⁾)⁽⁵⁾

ومن هذا التفسير نجد معنى من معاني العفو ، وهو الفضل والزيادة عن الحاجة وما تيسر إنفاقه وسهيل دون أن يجهد نفسه وأهله لأنه فضل عن حاجته .

(والعفو مصدر عفا يعفو إذا زاد ونمى ، قال تعالى : ﴿ ثُمَّ بَدَّلَنَا مَكَانَ الْسَّيِّئَةِ الْحَسَنَةَ حَتَّىٰ عَفَوْا ﴾⁽⁶⁾ ، وهو هنا ما زاد على حاجة المرء من المال ، أي فضل بعد نفقة ونفقة عياله بمعتاد أمثاله ، فالمعني أن المرء ليس مطالبا بارتكاب المأثم لينفق على المخاويخ ، وإنما ينفق عليه مما

¹) النكت والعيون للماوردي : ج 1/ 278 .

²) من سورة الإسراء 17 : (الآية / 29).

³) من سورة الفرقان 25 : (الآية / 67).

⁴) رواه مسلم كتاب الزكاة باب الابداء في النفقة رقم 997 ، ورواه النسائي : ج 8/ 317 .

⁵) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز لابن عطية : ج 1/ 295 .

⁶) من سورة الأعراف 7 : (الآية / 95).

استفضله من ماله ، وهذا أمر بإنفاق لا يشق عليهم ، وهذا أفضل الإنفاق ، لأن مقصد الشريعة من الإنفاق إقامة مصالح ضعفاء المسلمين ، ولا يحصل منه مقدار له بال إلا بتعديمه ودوامه لستمر منه مقادير متماثلة فيسائر الأوقات ، وإنما يحصل التعديم والدوام بالإنفاق من الفاضل عن حاجات المنفقين ، فحينئذ لا يشق عليهم ، فلا يتدركه واحد منهم ولا يخلون به في وقت من أوقاتهم، وهذه حكمة بالغة وأصل اقتصادي عمراني ، وفي الحديث : { خير الصدقة عن ظهر غنى، واليد العليا خير من اليد السفلة ، وابداً من تغول }⁽¹⁾ ، وجعل الله العفو كله منفعة ترغيباً في الإنفاق ، وهذا دليل على أن المراد من الإنفاق هنا الإنفاق المتطوع به)⁽²⁾
وهنا معانٍ من معانٍ العفو : ما زاد عن الحاجة وفضل عنها ، والتوسط في الإنفاق والاقتصاد فيه وعدم الإسراف ، ليستمر الإنفاق ولا يتوقف فسبحان الحكيم العليم .

(العفو : نقيض الجهد ، وهو أن ينفق ما لا يبلغ إنفاقه منه الجهد واستفراغ الوسع ، ويقال للأرض السهلة العفو { عن النبي صلى الله عليه وسلم أن رجلاً أتاه بيضة من ذهب أصابها في بعض المغارب ف قال : خذها مني صدقة فأعرض عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأتاه من الجانب الأيمن فقال مثله فأعرض عنه ، ثم أتاه من الجانب الأيسر فأعرض عنه ، فقال : هاتها مغضباً ، فأخذها فخذفها بها خذفاً لو أصابه لشجه أو عقره ، ثم قال : يجيء أحدكم بمالي كله يتصدق به ويجلس يتكلف الناس ، إنما الصدقة عن ظهر غنى }⁽³⁾)

فالعفو من المال ما يسهل إنفاقه ، والجهد من المال ما يعسر إنفاقه ، والقدر المنفق إنما يكون إنفاقه سهلاً إذا كان فاضلاً عن حاجة نفسه وعياله ومن عليه مؤونته ، فيكون معنى :

﴿ قُلِّ الْعَفْوَ ﴾ أي أنفقوا العفو وهو نقيض الجهد وهو المشقة .

⁽¹⁾ رواه مسلم بباب الزكاة رقم الحديث: 95 ، ج 3 / 125 .

⁽²⁾ التحرير والتنوير لابن عاشور : ج 2 / 333 ————— 334 .

⁽³⁾ رواه الدارمي : باب الزكاة / 25 ، قال حسين سليم أسد في تعليقه على الدارمي : رجاله ثقات غير أن ابن إسحاق قد عنون وهو مدلس ، ومسند أبي يعلى الموصلي : ج 5 / 138 ، وقال حسين سليم أسد : رجاله ثقات ، ورواه ابن خزيمة (98/4)2441 وقال الألباني : إسناده ضعيف ، ورواه ابن حبان 3372 (65/8) وقال شعيب الأرنؤوط : رجاله ثقات إلا أن فيه تدليس ابن إسحاق .

⁽⁴⁾ الكشاف للزمخشري : ج 1 / 133 .

الكلمة الثانية عشرة : قاتنين من قوله تعالى : ﴿ وَقُومُوا لِلَّهِ قَنِيتِينَ ﴾⁽¹⁾

(القنوت : لزوم الطاعة مع الخضوع ، وفسر بكل واحد منهمما في قوله تعالى :

﴿ وَقُومُوا لِلَّهِ قَنِيتِينَ ﴾ ، وقوله تعالى : ﴿ كُلُّهُمْ قَانِتُونَ ﴾⁽²⁾ قيل : خاضعون ، وقيل : طائعون ، وقيل : ساكتون ، ولم يعن به كل السكوت وإنما عني به ما قال عليه الصلاة والسلام : { إن هذه الصلاة لا يصح فيها شيء من كلام الآدميين ، إنما هي قرآن وتسبيح }⁽³⁾ ، وعلى هذا قيل : { أي الصلاة أفضل ؟ فقال : طول القنوت }⁽⁴⁾ أي الاشتغال بالعبادة ورفض كل ما سواه⁽⁵⁾

(وختلف في أصل القنوت على ثلاثة أوجه :

أحداها : أن أصله الدوام على أمر واحد ، والثاني : أصله الطاعة ، والثالث : أصله الدعاء⁽⁶⁾ فمن معاني القنوت : الدوام على أصل واحد وهو طول القيام ، ومن معانيه الطاعة والخضوع ، ومن معانيه : الدعاء ، وكلها تنطبق على كلمة قاتنين وكلها مراده من الله في هذه الآية : ﴿ وَقُومُوا لِلَّهِ قَنِيتِينَ ﴾ أي طائعين ، فهو عبارة عن إكمال الطاعة وإتمامها ، والاحتراز عن إيقاع الخلل في أركانها وسنتها ، قيل : لكل أهل دين صلاة يقومون فيها عاصين ، فقوموا أنتم الله في صلاتكم طائعين ، وقيل : القنوت هو الدعاء والذكر ، بدليل : ﴿ أَمَّنْ هُوَ قَنِيتُ ﴾⁽⁷⁾ ، ولما أمر بالمحافظة على الصلوات وجوب أن يحمل هذا القنوت على ما فيها من الذكر والدعاء ، فمعنى الآية : وقوموا الله داعين ذاكرين ، وقيل : إنما يخص القنوت بصلة الصبح والوتر لهذا المعنى ، وقيل : القنوت هو السكوت عمما لا يجوز التكلم

⁽¹⁾ من سورة البقرة 2 : (الآية / 238) .

⁽²⁾ من سورة الروم 30 : (الآية / 26) .

⁽³⁾ أخرجه مسلم : رقم الحديث / 537 .

⁽⁴⁾ أخرجه مسلم : رقم الحديث / 756 .

⁽⁵⁾ مفردات ألفاظ القرآن للراغب الأصفهاني : 684 ————— 685 مادة قنت .

⁽⁶⁾ النكت والعيون للماوردي : ج 1 / 310 .

⁽⁷⁾ من سورة الزمر 39 : (الآية / 9) .

به في الصلاة ، ويدل على ذلك { ما روي عن زيد بن أرقم⁽¹⁾ قال : كنا نتكلّم في الصلاة يكلّم الرجل صاحبه وهو إلى جنبه في الصلاة حتى نزلت : ﴿وَقُومُوا لِلَّهِ قَنْتِينَ﴾ فأمرنا بالسکوت ونهينا عن الكلام {⁽²⁾} ، وقيل : القنوت: هو طول القيام في الصلاة⁽³⁾ وهكذا يتبيّن لنا من هذا التفسير بعضاً من معانى القنوت في اللغة العربية : مثل الطاعة والخضوع ، والذكر والدعاة وطول القيام مع السکوت ، لأن الكلام يبطل الصلاة ، وهذا كان جائزاً في بداية الأمر ثم حرم الله وجعله من مبطلات الصلاة . فالقنوت لله هو طاعة الله والخشوع وخفض الجناح وإطالة القيام والدعاة ، والعبد بكل ذلك لله مطیع وهو لربه فيه قانت ، والقنوت : أصله الطاعة لله .

فيكون معنى : ﴿وَقُومُوا لِلَّهِ قَنْتِينَ﴾ (وقوموا الله فيها مطيعين ، يترك بعضكم فيها كلام بعض وغير ذلك من معانى الكلام ، سوى قراءة القرآن فيها أو ذكر الله بالذى هو أهله أو دعائه فيها ، غير عاصين الله فيها بتضييع حدودها والتفريط في الواجب لله عليكم فيها وفي غيرها من فرائض الله⁽⁴⁾) وهكذا يتبيّن لنا أن من معانى القنوت : الطاعة والخضوع ، والدعاة ، والقيام والدوام على شيء واحد .

(قانتين : قال الشعبي : طائعين ، وقال الضحاك : كل قنوت في القرآن فإنما يعني به الطاعة ، وقال مجاهد : معنى قانتين : خاشعين ، والقنوت : طول الركوع والخشوع وغض البصر وخفض الجناح . وقال الريبع⁽⁵⁾ : القنوت طول القيام ، وروي عن ابن عباس : قانتين داعين ،

⁽¹⁾ زيد بن أرقم : بن زيد بن قيس الأنصاري الخزرجي المديني ، غزا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم سبع عشرة غزوة ، توفي سنة 56 هـ وله مناقب . ينظر تهذيب الأسماء واللغات : ج 1/ 199 .

⁽²⁾ رواه البخاري : كتاب العمل في الصلاة 3 ، رقم الحديث : 1200 ، ج 3/ 73 .

⁽³⁾ تفسير الخازن لعلاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم البغدادي : ج 1/ 170 .

⁽⁴⁾ تفسير الطبرى : ج 2/ 587 .

⁽⁵⁾ الريبع بن خثيم الثورى يكنى أبا يزيد ، قال عبد الله للريبع بن خثيم : لو رأك رسول الله صلى الله عليه وسلم لأحبك ، عن علقمة بن مرثد قال : انتهى الزهد إلى ثمانية من التابعين منهم الريبع بن خثيم . توفي 63 هـ . ينظر صفة الصفوة : ج 3/ 40 .

وقال السدي⁽¹⁾ : قانتين : ساكتين ، وقيل : إن أصل القنوت في اللغة : الدوام على الشيء ، ومن حيث كان أصل القنوت في اللغة : الدوام على الشيء جاز أن يسمى مدح الطاعة قانتا ، وكذلك من أطال القيام والقراءة والدعاء في الصلاة أو أطال الخشوع والسكوت كل هؤلاء فاعلون للقنوت⁽²⁾

الكلمة الثالثة عشرة : صرٌ من قوله تعالى :

كَمَثِيلِ رِيحٍ فِيهَا صَرٌ ⁽³⁾

(وري—— ح ص—— ر وصر صر)

شدي—— دة الص—— وتسد

البرد⁽⁴⁾ ، فمن معاني الكلمة { صر } : الصوت

الشديد والبرد كما قال تعالى : **وَمَّا عَادٌ فَأَهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرُصِيرٍ عَاتِيَةٍ** ⁽⁵⁾

(والصرُ : البرد والحر ، يقال : أصاب النبت صرٌ إذا أصابه برد يضرُ به ، والصرُ صرُ الريح
الباردة ، وربما جعلوا في هذا الموضع الحرّ ، ومن معاني الصر : الصوت ، من ذلك الصرة : شدة

الصياح⁽⁶⁾ ، قال تعالى : **فَاقْبَلَتِ امْرَأَهُ فِي صَرَقٍ فَصَكَّتْ وَجْهَهَا** ⁽⁷⁾ صرة أي صيحة .

(وفي الصر تأويلان : أحدهما : هو البرد الشديد ، والثاني : أنه صوت لهب النار التي تكون
في الريح ، وأصل الصر صوت من الصرير⁽⁸⁾)

⁽¹⁾ السدي : إسماعيل بن عبد الرحمن بن أبي كريمة ، الإمام المفسر أبو محمد الحجازي ثم الكوفي ، قال النسائي : صالح الحديث ، وقال أحمد بن حنبل : ثقة ، توفي 127 . ينظر سير أعلام النبلاء : ج 5 / 264 — 265 .

⁽²⁾ الجامع لأحكام القرآن للقرطبي : ج 2 / 140 — 141 .

⁽³⁾ من سورة آل عمران 3 : (الآية / 117) .

⁽⁴⁾ القاموس الخيط للفيروز أبادي : ج 2 / 71 .

⁽⁵⁾ من سورة الحاقة 69 : (الآية / 6) .

⁽⁶⁾ معجم مقاييس اللغة لابن فارس : ج 3 / 283 — 284 .

⁽⁷⁾ من سورة الذاريات 51 : (الآية / 29) .

⁽⁸⁾ النكت والعيون للماوردي : ج 1 / 418 .

يظهر لنا معنى ثالثاً من معانٍ الصر وهو لهب النار بالإضافة إلى الصوت الشديد والبرد . وكلمة ريح في القرآن الكريم كله تدل على العذاب ما عدا مرة واحدة في القرآن من سورة يونس من قوله تعالى : ﴿ وَجَرَيْنَ بِهِمْ بِرِيحٍ طَّيْبَةٍ ﴾⁽¹⁾ ، لأن الله قدّرها بقوله : ﴿ بِرِيحٍ طَّيْبَةٍ ﴾ ، أما كلمة الرياح في القرآن فهي مبشرة بالأمطار والخيرات ، وقد قال الرسول صلى الله عليه وسلم : { اللهم اجعلها رياحاً ولا تجعلها ريحًا }⁽²⁾ (يبدو أن الشدة ملحوظة في الصرّ ، كما هي ملحوظة في الإصرار أي التشدد في التمسك بالشيء ، والصرة : الشدة من الكرب وال الحرب ، والصيحة من شدة الألم والكرب ، والصرير عزيف الريح وأشد الصياح . ولعل أصل استعماله في الصرّار : الرباط يشد على ضرع الناقة ليحبس لبنيها فيجتمع ، وفي الصُّرّة تشد على الدرّاهم وشبعها ، وحس الانكماش والتقبض ملازم لشدة البرد)⁽³⁾ إذن من دلالات كلمة الصر : الشدة بل شدة الألم والصوت والبرد والعذاب ، ومن دلالات الكلمة أيضاً : معنى الانكماش والتقبض . ولفظة { صر } وحيدة الصيغة في القرآن ، أما المضاعف منها { صر صر } ورد ثلاثة مرات في القرآن صفة للريح التي أهلّكت عاداً ، أحد المواقع في سورة الحاقة المتقدّم ذكرها ، والثاني : ﴿ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرَّصَرًا فِي أَيَّامٍ نَّحَسَاتٍ ﴾⁽⁴⁾ ، والثالث : ﴿ إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرَّصَرًا فِي يَوْمٍ نَّحَسِّ مُسْتَمِّرٍ ﴾⁽⁵⁾ . (وفي الصر ثلاثة أقوال : أحدها : أنه البرد ، قاله الأكثرون .

⁽¹⁾ من سورة يونس 10 : (الآية / 22) .

⁽²⁾ المعجم الكبير للطبراني : ج 9/ 414 ، رواه أبو يعلى : 2456 (341/4) قال حسين سليم أسد : إسناده ضعيف .

⁽³⁾ الإعجاز البصري للقرآن للدكتور عائشة عبد الرحمن بنت الشاطئ / 590 .

⁽⁴⁾ من سورة فصلت 41 : (الآية / 16) .

⁽⁵⁾ من سورة القمر 54 : (الآية / 19) .

والثاني : أنه النار ، قاله ابن عباس . قال ابن الأنباري : وإنما وصفت النار بأنها صر لتصويتها عند الالتهاب .

والثالث : أن الصر : التصويت والحركة من الحصى والحجارة ، ومنه : صرير النعل ، ذكره ابن الأنباري⁽¹⁾

وهكذا كانت كلمة الصر لها ثلاثة معانٍ : البرد والتصويت والنار ، فالريح موصوفة بالأية ثلاثة أوصاف ، فهي ريح باردة ذات صوت شديد وفيها نار ، وقد وصف الله النار في القرآن الكريم بأن لها صوت شديد مثل قوله تعالى : ﴿إِذَا رَأَتُهُمْ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ سَمِعُوا هَـا تَغْيِطًا وَنَفِيرًا﴾⁽²⁾ ، وقوله تعالى : ﴿إِذَا أَقْوَافِهَا سَمِعُوا لَهَا شَهِيقًا وَهِيَ تَفُورُ ٧﴾⁽³⁾ تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ الْغَيْظِ

(قوله : ﴿رِيحًا صَرَصَرًا﴾ لفظه من الصر ، وذلك يرجح معنى الشد لما في البرودة من التعقد⁽⁴⁾)

(قوله تعالى : ﴿بَرِيحَ صَرَصَرٍ﴾ أي شديدة البرودة ، هي من الصر وهو العقد المحكم ، ومنه الإصرار على الذنب لأنه تعقد في الذنب وشد عليه وامتنع من الإلقاء عنه ، وأصله من الصر وهو الشد⁽⁵⁾)

فالشد والعقد المحكم نتيجة البرودة الشديدة ، وهي من معانٍ كلمة الصر .

({ فيها صر } الجمهرة على أنه برد ، وقيل : صر صوت لهيب النار في تلك الريح)⁽⁶⁾

(والصر : البرد الشديد ، المحرق لكل ما يهب عليه وهو معروف ، قال ابن عباس وجمهور المفسرين : الصر البرد ، وتسميه العرب : الضرب ، وذهب الزجاج وغيره إلى أن اللفظة من

¹) زاد المسير في علم التفسير لابن الجوزي : ج 1/445 .

²) من سورة الفرقان 25 : (الآية / 12) .

³) من سورة الملك 67 : (الآياتان / 7 - 8) .

⁴) مفردات ألفاظ القرآن للراغب الأصفهاني : 482 .

⁵) عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ للسمين الحلبي : 292 مادة صر .

⁶) غرائب التفسير وعجائب التأويل لخالد بن حمزة الكرماني : ج 1/266 .

التصويت من قوله : صر الشيء ومنه الريح الصرصار ، قال الزجاج : فالصر صوت النار التي في الريح . قال القاضي : الصر هو نفس جهنم الذي في الزمهرير يحرق نحوا مما تحرق النار)⁽¹⁾ وهكذا يتبيّن لنا جمال اللغة العربية ، وجمال القرآن الكريم حيث يكون للفظة الواحدة عدة معانٍ كلها مقصودة ومراده من الله عز وجل .

الكلمة الرابعة عشرة :

بعلها من قوله تعالى :

﴿وَإِنْ أُمْرَأً حَافَتْ مِنْ بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا﴾⁽²⁾

كلمة بعل في اللغة لها ثلاثة معانٍ :

(فال الأول : الصاحب ، يقال للزوج بعل ، وكانوا يسمون بعض الأصنام بعلا ، ومن ذلك البعل وهو ملاعبة الرجل أهله ، والأصل الثاني : جنس من الحيرة والدهش ، يقال : بعل الرجل إذا دهش ، ولعل من هذا قوله : امرأة بعلة إذا كانت لا تحسن لبس الثياب .
والأصل الثالث : البعل من الأرض : المرتفعة التي لا يصيّبها المطر في السنة إلا مرة واحدة)⁽³⁾ وهكذا توفر هذه المعاني الثلاث في الآية الكريمة حيث كلمة بعل تعني الصاحب وهو الزوج ، والزوج له درجة القوامة فهو مرتفع بتلك الدرجة ، ونحوف المرأة من زوجها النشور والإعراض يعني الحيرة والدهش .

والبعل هو السيد ، وسمي الزوج بعلا لأنّه سيد المرأة . (والبعل : اسم زوج المرأة ، وأصل البعل في كلامهم السيد ، وقد سمي الكنعانيون معبودهم بعلا ، قال تعالى : ﴿أَنَّدُعُونَ بَعْلًا وَتَذَرُوتَ أَحَسَنَ الْخَلِيقَينَ﴾⁽⁴⁾ وسمي به الزوج لأنّه ملك أمر عصمة زوجه ، ولا ن

¹) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز لابن عطية : ج 1/ 495 .

²) من سورة النساء 4 : (الآية / 128) .

³) معجم مقاييس اللغة لابن فارس : ج 1/ 264 ————— 265 .

⁴) من سورة الصافات 37 : (الآية / 125) .

الزوج كان يعتبر مالكا للمرأة وسيدا لها ، فكان حقيقة بهذا الاسم ، وقد عبر القرآن بهذا

الاسم في أغلب الموضع ، كقوله تعالى : ﴿ وَهَذَا بَعْلٌ شَيْخًا ﴾⁽¹⁾

وقيل : البعل الذكر ، وتسمية المعبد بعلا لأنه رمز إلى قوة الذكورة ، ولذلك سمى الشجر الذي لا يسقى بعلا⁽²⁾

(البعل : الزوج ، والبعل أيضا : مالك الشيء وسيده ، وذلك أنهم تصوروا من بعل المرأة لما كان مستوليا عليها ومستعليا أنه مالكها ، سموا رب الشيء بعله ، يقال : هذا بعل هذه الدار ،

قوله تعالى : ﴿ أَنَّدَعُونَ بَعْلًا ﴾ يعني إلها سوى الله ، وذلك لما تقدم من نتصورهم استعظام البعل بالنسبة إلى المرأة فسموا معبودهم المتقرب به إلى الله كما زعموا بعلا ، وسماه بما كانوا يقولون : إنه سيدهم وعظيمهم ، قيل : كان صنما من ذهب وفضة ، وقيل : البعل من تحب طاعته وهو من معنى الزوج أيضا ، والبعل : الكل على أهله ، وذلك لأن الكل على غيره يستعمل عليه أمره وهنئيه ، فسمي بعلا لذلك ، ولتصور الاستعلاء سموا الأرض العالية على غيرها بعلا ، والنخل الذي يشرب بعروقه بعلا ، ويصور من البعل الذي هو النخل قيامه وثبوته في مكانه ، فقيل : بعل فلان بأمره إذا دهش وثبت في مكانه ثبوت النخل في مقره⁽³⁾

فكلمة البعل تعطي معان كثيرة منها : الملك والسيادة والاستعلاء على الشيء والثبات في المكان .

وهكذا أراد الله للزوج أن تنطبق عليه هذه المعاني فهو سيد الأسرة ومالكها ، ومستعليا على المرأة بدرجة القوامة وثبتا في مكانه ، بمعنى أنه يحكم عقله في الأمور لا عاطفته .

(ولما تصور من الرجل الاستعلاء على المرأة فجعل سائسها والقائم عليها كما

قال تعالى : ﴿ الرِّجَالُ قَوَّمُوكَ عَلَى النِّسَاءِ ﴾⁽⁴⁾ سمى باسمه كل مستعلى على غيره ، فسمى العرب معبودهم الذي يتقربون به إلى الله بعلا لاعتقادهم ذلك فيه

¹) من سورة هود 11 : الآية / 72 .

²) التحرير والتنوير لابن عاشور : ج 2 / 374 .

³) عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ للسمين الحلبي / 56 مادة بعل .

⁴) من سورة النساء 4 : الآية / 34 .

في نحو قوله تعالى : ﴿أَنَدْعُونَ بَعْلًا وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ الْخَلِقِينَ﴾⁽¹⁾ ويقال : أتانـا بـعل

هذه الدابة أي المستعليـ عليها ، وقيل للأرض المستعليـ علىـ غيرها بـعل ، ولـ فعل النـخل بـعل
تشبيـها بالـبـعل من الرجال ، ولـما عـظم حـتـى يـشرـب بـعروـقه بـعل لـاستـعلاـته ، ولـما كـانـت وـطـأـة العـالـيـ
عـلـى المـسـتـوـيـ عـلـيـه مـسـتـشـقـلـة فيـ النـفـس ، قـيلـ : أـصـبـح فـلـانـ بـعـلاـ عـلـى أـهـلـهـ أـيـ تـقـيـلاـ لـعـلوـهـ عـلـيـهـ ،
وـتـصـوـرـ منـ الـبـعلـ الـذـي هوـ النـخـلـ قـيـامـ هـفـيـ مـكـانـهـ ، فـقـيلـ : بـعلـ فـلـانـ بـأـمـرـهـ : إـذـا أـدـهـشـ وـثـبـتـ
مـكـانـهـ ثـبـوتـ النـخـلـ فيـ مـقـرـهـ وـذـلـكـ كـقـوـلـهـ : مـاـ هـوـ إـلـاـ شـجـرـ فـيـمـ لـاـ يـرـحـ⁽²⁾
إـذـنـ سـمـيـ الزـوـجـ بـعـلاـ لـعـدـةـ أـسـبـابـ وـمـعـانـ فيـ اللـغـةـ الـعـرـبـيـةـ : مـنـهـ الـاسـتـعلاـ وـالـارـتفـاعـ
وـالـاسـتـقـالـ ، وـكـذـلـكـ الـدـهـشـةـ وـالـثـبـاتـ فيـ المـكـانـ .

(الـبـعلـ) : الـأـرـضـ الـمـرـفـعـةـ الـتـيـ لـاـ يـصـبـيـهـاـ مـطـرـ إـلـاـ مـرـةـ وـاحـدـةـ فيـ السـنـةـ ، وـقـيلـ : الـبـعلـ كـلـ
شـجـرـ أوـ زـرـعـ لـاـ يـسـقـىـ ، وـقـيلـ : الـبـعلـ ماـ شـرـبـ بـعـروـقهـ مـنـ الـأـرـضـ بـغـيرـ سـقـيـ مـنـ سـماءـ وـلـاـ غـيرـهاـ
، وـالـبـعلـ : الـمـالـكـ وـالـرـئـيـسـ ، وـإـنـماـ زـوـجـ الـمـرـأـةـ بـعـلاـ لـأـنـهـ سـيـدـهـاـ وـمـالـكـهـاـ . وـتـبـعـلـتـ الـمـرـأـةـ : أـطـاعـتـ
بـعلـهاـ . وـتـبـعـلـتـ لـهـ : تـزـينـتـ ، وـالـبـعلـ : صـنـمـ سـمـيـ بـذـلـكـ لـعـبـادـهـمـ إـيـاهـ كـأـنـهـ رـبـهـمـ ، وـالـبـعلـ :
الـدـهـشـ عـنـدـ الرـوـعـ ، وـالـبـعلـ : الـكـلـ⁽³⁾ ، يـقـالـ : صـلـارـ فـلـانـ بـعـلاـ
عـلـىـ قـوـمـهـ أـيـ ثـقـلاـ وـعـيـالـاـ ، وـبـعلـ عـلـىـ الرـجـلـ : أـبـيـ عـلـيـهـ⁽³⁾
وـهـكـذـاـ تـعـدـدـتـ مـعـانـيـ كـلـمـةـ الـبـعلـ : الـزـوـجـ لـأـنـهـ الـمـالـكـ وـالـرـئـيـسـ وـالـمـسـتـعليـ وـالـمـسـتـشـقـلـ فيـ
الـنـفـسـ ، لـأـنـ النـفـوسـ لـاـ تـحـبـ السـيـادـةـ عـلـيـهـاـ .

الـكـلـمـةـ الـخـامـسـةـ عـشـرـةـ : إـمـراـ منـ قـولـهـ تـعـالـيـ : ﴿فَأَنْطَلَقَ أَحـتـىـ إـذـا رـكـبـاـ فـيـ السـفـيـنـةـ﴾

خـرقـاـ قـالـ أـخـرـقـهـاـ لـتـغـرـقـ أـهـلـهـاـ لـقـدـ جـهـتـ شـيـئـاـ إـمـراـ⁽⁴⁾

⁽¹⁾ منـ سـورـةـ الصـافـاتـ 37 : (الآـيـةـ / 125) .

⁽²⁾ مـفـرـدـاتـ الـفـاظـ الـقـرـآنـ لـلـرـاغـبـ الـأـصـفـهـانـيـ : 135 مـادـةـ بـعلـ .

⁽³⁾ لـسانـ الـعـربـ لـابـنـ مـنـظـورـ : جـ 11 / 57 .

⁽⁴⁾ منـ سـورـةـ الـكـهـفـ 18 : (الآـيـةـ / 71) .

(أَمِّرَ الْأَمْرُ أَيْ كُبُرٌ وَكُثُرٌ نَحْوَ اسْفَحَلَ الْأَمْرُ ، وَالْإِتَّمَارُ الْمُتَشَافِرُ ، وَأَصْلُهُ أَنَّ الْإِتَّمَارَ قَبْوِلُ الْأَمْرِ ، وَذَلِكَ أَنَّ الْمُتَشَافِرِيْنَ يَقْبِلُونَ أَمْرًا بَعْضًا ، وَمِنْهُ : ﴿إِنَّكَ أَمَلَأَيَّاتَمَرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكُ﴾⁽¹⁾)

(وَالْإِمْرُ بِكَسْرِ الْهَمْزَةِ هُوَ الْعَظِيمُ الْمُفْطَعُ ، يَقُولُ : أَمْرٌ كَفْرٌ إِمْرًا ، إِذَا كَثُرَ فِي نُوْعِهِ ، وَلَذِلِكَ فَسْرَهُ الرَّاغِبُ بِالْمُنْكَرِ . لَأَنَّ الْمَقَامَ دَالٌ عَلَى شَيْءٍ ضَارٍ ، وَمَقَامُ الْأَبْيَاءِ فِي تَغْيِيرِ الْمُنْكَرِ مَقَامٌ شَدِيدٌ وَصَرَاحَةٌ ، وَلَمْ يَجْعَلْهُ نَكْرًا كَمَا فِي الْآيَةِ بَعْدَهَا لَأَنَّ الْعَمَلَ الَّذِي عَمِلَهُ الْخَضْرُ ذَرِيعَةً لِلْغَرَقِ وَلَمْ يَقُعْ الْغَرَقُ بِالْفَعْلِ)⁽²⁾)

(وَالْإِمْرُ فِي كَلَامِ الْعَرَبِ : الدَّاهِيَّةُ ، وَأَصْلُهُ كُلُّ شَيْءٍ شَدِيدٌ كَثِيرٌ ، يَقُولُ : أَمْرُ الْقَوْمِ ، إِذَا كَثُرُوا وَاشْتَدَ أَمْرُهُمْ)⁽³⁾)

(أَمِّرَ مَأْخُوذُهُ مِنَ الْإِمْرِ وَهُوَ الْفَاسِدُ الَّذِي يَحْتَاجُ إِلَى الصَّلَاحِ ، وَمِنْهُ رَجُلٌ إِمْرٌ إِذَا كَانَ ضَعِيفًا الرَّأْيُ لِأَنَّهُ يَحْتَاجُ إِنْ يَؤْمِرَ حَتَّى يَقْوِيَ رَأْيُهُ ، وَمِنْهُ أَمْرٌ قَوْمٌ إِذَا كَثُرُوا لِأَنَّهُمْ يَحْتَاجُونَ إِلَى مِنْ يَأْمُرُهُمْ وَيَنْهَا هُمْ)⁽⁴⁾)

وَهَكُذا نَجُدُ أَنْ لَفْظَةَ (إِمْرًا) تَعْنِي ثَلَاثَةَ دَلَالَاتٍ : كَبِيرًا وَكَثِيرًا ، وَالدَّلَالَةُ الثَّانِيَةُ مُنْكَرًا عَظِيمًا وَفَاسِدًا يَحْتَاجُ إِلَى صَلَاحٍ ، وَالدَّلَالَةُ الثَّالِثَةُ : عَجَابًا .

(﴿لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا﴾⁽⁵⁾) يَقُولُ : لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا عَظِيمًا ، وَفَعْلُتْ فَعْلًا مُنْكَرًا)

(وَإِمْرًا مَعْنَاهُ : عَجَابًا ، وَقَيْلٌ : مُنْكَرًا ، وَقَيْلٌ : الدَّاهِيَّةُ الْعَظِيمَةُ)⁽⁶⁾)

⁽¹⁾ من سورة القصص 28 : (الآية / 20) .

⁽²⁾ التحرير والتنوير لابن عاشور : ج 15 / 111 .

⁽³⁾ الكشف والبيان لأبي إسحاق أحمد بن محمد النيسابوري ، دار النشر ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت لبنان ، 2002هـ / 1422م ، ج 6 / 183 تحقيق أبي محمد بن عاشور .

⁽⁴⁾ النكت والعيون للماوردي : ج 3 / 326 .

⁽⁵⁾ تفسير الطبرى : ج 8 / 256 .

⁽⁶⁾ الجامع لأحكام القرآن للقرطى : ج 11 / 15 .

(٦١) لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا ﴿٦١﴾ وَفِيهِ ثَلَاثَةُ أَقْوَالٍ : أَحَدُهُمَا مُنْكِرًا قَالَهُ مَجَاهِدٌ ، وَقَالَ الرَّجُلُ اسْمَاعِيلُ بْنُ الْمُنْكَرِ ، وَالثَّانِي : عَجَابًا قَالَهُ قَتَادَةُ وَابْنُ قَتِيَّةٍ ، وَالثَّالِثُ : دَاهِيَةً قَالَهُ أَبُو عَبِيدَةَ ^(١) فَمَا أَجْمَلَ أَلْفَاظَ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ وَمَا أَفْصَحَهَا وَمَا أَكْثَرَ إِعْجَازَهَا ! .

الكلمة السادسة عشرة : معاجزين من قوله تعالى :

أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مِّنْ رَّجِزِ الْإِلَمِ ﴿٥﴾ ^(٢)

كلمة معاجزين لها ثلاثة معانٍ : (أحددها : مسابقين ، والثاني : معاندين ، والثالث : مراغمين مشاقين) ^(٣)

(يقال : عاجزته وأعجزته جعلته عاجزا ، وقيل : معاجزين معناه : ظانين مقدرين أنهم يعجزوننا لأنهم حسروا لا بعث ولا نشور فيكون ثواب وعقاب ، وهو في المعنى كقوله تعالى :

﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ أَنْ يَسْبِقُونَا﴾ ^(٤) ، وقيل : معاجزين للأنبياء وأولياء الله تعالى يمانعونهم ويقاتلونهم ليصدوهم عن أمر الله تعالى ، وقيل : معناه معاندين ، وقيل : سابقين أي يظنون أنهم يفوتوننا) ^(٥)

من هنا يتبيّن أن الكلمة معاجزين لها ثلاثة معانٍ : سابقين يظنون أنهم يفوتوننا ويعجزوننا لأنهم حسروا لا بعث ولا نشور فيكون ثواب وعقاب ، المعنى الثاني : معاجزين للأنبياء وأولياء الله يمانعونهم ويقاتلونهم ليصدوهم عن أمر الله ، أما المعنى الثالث فهو معاندين .

والكلمة فيها قراءتان : معاجزين وهي قراءة ابن كثير وأبي عمرو ، وهي اسم فاعل من عجزه أي قاصدين التعجيز ، ومعاجزين وهي قراءة جميع القراء ماعدا ابن كثير وأبي عمرو ، وهي اسم

^(١) زاد المسير في علم التفسير لابن الجوزي : ج 5 / 171 .

^(٢) من سورة سباء 34 : الآية / 5 .

^(٣) النكت والعيون للماوردي : ج 4 / 433 .

^(٤) من سورة العنكبوت 29 : الآية / 4 .

^(٥) عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ : 343 مادة عجز .

فاعل من عاجزه فأعجزه وعجزه إذا ساقه فسبقه ، لأن كلا من الفريقين يبطل إبطال حجج الخصم .

(معاجزين : معناه محاولين تعجيز قدرة الله فيهم)⁽¹⁾

معناه يظنون أنهم يفوتون الله ويعجزونه فلا يحاسبهم وينتقم منهم ، سبحانه وتعالى عما يصفون .

(معاجزين : مسابقين يحسبون أنهم يفوتوننا ، وأن الله لا يقدر على بعثهم في الآخرة ، وظنوا أنا نحملهم ، يقال: عاجزه وأعجزه إذا غالبه وسبقه)⁽²⁾

(قال ابن زيد في قول الله تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ سَعَوْ فِي ءَايَاتِنَا مُعَاجِزِينَ ﴾ قال : جاهدين ليحطوها أو يطلوها ، قال : وهم المشركون وقرأ : ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْفُرْقَانِ وَالْغَوَافِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ ﴾⁽³⁾)⁽⁴⁾

(معاجزين : مبالغة في معاجزين ، وهو تمثيل شبيه حالم في مكرهم بالنبي صلى الله عليه وسلم بحال من يمشي مشيا سريعا ليسبق غيره ويعجزه)⁽⁵⁾
إذن معاجزين صيغة مبالغة ، فهم يجاهدون ويسابقون ويعاندون ويفعلون المستحيل لإطفاء نور الله ولكن هيبات . قال الله تعالى : ﴿ يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ يَا فَوَاهِمُهُمْ وَأَلَّهُ مِنْ نُورٍ وَّلَّوْ كَرِهَ الْكَفَرُونَ ﴾⁽⁶⁾

(والمعاجز : المسابق الطالب عجز مسايره عن الوصول إلى غايتها وعن اللحاق به ، فصيغ له المفاعة لأن كل واحد يطلب عجز الآخر عن لحاقه ، والمعنى أنهم بعملهم يغالبون رسول الله

⁽¹⁾ المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز لابن عطية : ج 4 / 405 .

⁽²⁾ الجامع لأحكام القرآن للقرطبي : ج 7 / 167 ————— 168 .

⁽³⁾ من سورة فصلت 41 : (الآية / 26) .

⁽⁴⁾ تفسير الطبراني : ج 10 / 347 .

⁽⁵⁾ التحرير والتنوير لابن عاشور : ج 22 / 15 .

⁽⁶⁾ من سورة الصاف 61 : (الآية / 8) .

صلى الله عليه وسلم وهم لا يشعرون أنهم يحاولون أن يغلبوا الله وقد ظنوا أنهم نالوا مرادهم في الدنيا ، ولم يعلموا ما لهم من سوء العاقبة ^(١) .

الكلمة السابعة عشرة : كظيم من قوله تعالى :

﴿ إِذَا بُشِّرَ أَهْدُهُمْ بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحْمَنِ مَثَلًا ظَلَّ وَجْهُهُ مُسُودًا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴾^(٢)

كظم الغيظ حبسه ، قال الله تعالى : ﴿ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ ﴾^(٣) ، والكظيم مبالغة للكاظم، والكظم: الإمساك النفسي، أي كاظم للحزن لا يظهره بين الناس، ويبيكي في خلوته .

(كظم فلان غيظه : إذا تحرعه وهو قادر على الإيقاع بعده فامسك عنه ، والكظم : مخرج النفس ، يقال : أخذ بكظمه إذا أخذ بحلقه ، والكُظوم : احتباس النفس ، ويعبر به عن السكوت، كما يعبرون عنه بقولهم : { حُبس نفسه } ، قوله تعالى : ﴿ وَهُوَ مَكْظُومٌ ﴾^(٤) ، أي ملوء كربا ، وقيل : بمنزلة من حبس نفسه ، قوله تعالى : ﴿ وَهُوَ كَظِيمٌ ﴾^(٥) ، أي ممسك على غيظ ، وكظم فلان خصميه إذا أجا به بجواب مسكت فأفحمه ، ﴿ إِذْ أَقْلُوبُ لَدَى الْخَنَاجِرِ كَظِيمِينَ ﴾^(٦) أي ممسكين على غيظ قد ملأ قلوبهم مع زوالها عن مقرها حتى صارت قرية من أفواههم ، وقيل : كاظمين على قلوبهم خوف أن تخرج لأنها بلغت حد الخروج)^(٧) (وهو كظيم أي حزين)

^(١) التحرير والتنوير لابن عاشور : ج 17 / 213 .

^(٢) من سورة الزخرف 43 : (الآية / 17) .

^(٣) من سورة آل عمران 3 : (الآية / 134) .

^(٤) من سورة القلم 68 : (الآية / 48) .

^(٥) من سورة الزخرف 43 : (الآية / 17) .

^(٦) من سورة غافر 40 : (الآية / 18) .

^(٧) عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ للسمين الحلبي : 492 مادة كظم .

(والكظيم : الممتلئ غيظا الذي قد رد غيظه إلى جوفه ، فهو يتحرعه ويروم رده ، وهذا محسوس عند الغيظ)⁽¹⁾

فمن معانٍ كلمة كظيم : مملوء من الكرب والكآبة والحزن ، يقال : رجل كظيم ومكظوم : أي مكروب ، ومن معانيها : مملوء غيظا ، والمعنى الثالث : زوال القلب من مكانه من شدة امتلائه بالغيظ والغضب والسكوت .

(كظيم : أي حزين ، وقيل : مكروب ، وقيل : ساكت)⁽²⁾

والكظيم : الممسك عن الكلام كربا وحزنا ، إذن من معانٍ كلمة الكظيم : الساكت من شدة امتلائه بالحزن والكرb والغيظ والكآبة .

فما أجمل ألفاظ القرآن الكريم حيث يكون للفظة الواحدة عدة معانٍ مثل كلمة كظيم تعني : شدة الحزن والكرb والكآبة والامتلاء غيظا وغضبا ، والسكوت وزوال القلب من مكانه من شدة امتلائه بالغيظ .

الكلمة الثامنة عشرة : النجم من قوله تعالى : ﴿وَالنَّجْمٌ إِذَا هَوَى﴾⁽³⁾

من معانٍ النجم في اللغة العربية ما يلي : (أحدها : أنها نجوم القرآن إذا نزلت لأنه كان ينزل نحوها .

والثاني : أنها النجوم المنقضية . وسببه أن الله تعالى لما أراد بعث محمد صلى الله عليه وسلم رسولاً كثراً انقضاض الكواكب قبل مولده ، فذعر أكثر العرب منها ، وفزعوا إلى كاهن لهم ضرير كان يخبرهم بالحوادث ، فسألوه عنها فقال : انظروا البروج الثانية عشر فإن انقض منها شيء فهو ذهاب الدنيا ، وإن لم ينقض منها شيء فسيحدث في الدنيا أمر عظيم ، فاستشعروا ذلك فلما بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم كان هو الأمر العظيم الذي استشعروه ، فأنزل الله تعالى :

﴿وَالنَّجْمٌ إِذَا هَوَى﴾ أي ذلك النجم الذي هوى ، هو لهذه النبوة التي حدثت)⁽⁴⁾ .

⁽¹⁾ المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز لابن عطية : ج 5 / 49.

⁽²⁾ الجامع لأحكام القرآن للقرطبي : ج 8 / 48.

⁽³⁾ من سورة النجم 53 : الآية / 1 .

⁽⁴⁾ النكت والعيون للماوردي : ج 5 / 389 ————— 390

فالمعنى الأول لكلمة النجم : أي الجزء الذي ينزل على الرسول صلى الله عليه وسلم من القرآن فهذا يسمى نجم وجمعه نجوم ، والمعنى الثاني : النجم المعروف في السماء .

(﴿وَالنَّجْمٌ إِذَا هَوَى﴾) (كان القرآن ينزل نحو ما فأقسام الله بالنجم منه إذا نزل ، وقيل : أقسام بالنجم إذا سقط في الغور)⁽¹⁾

(قيل : النجم ما لا ساق له كالبيطرين والقثاء والبطيخ ، والشجر ما له ساق ، قوله تعالى :

(﴿وَالنَّجْمٌ إِذَا هَوَى﴾) قيل : أراد به جنس الكوكب ، فدل بالواحد على الجمع ، وقيل : أراد كوكباً بعينه وهو الشريا .

قال : وإنما نص الله على هويه دون طلوعه ، لأن الطلع قد فهم من نفس مادة النجم ، يقال : نجم قرن الشاة أي طلع ، وقيل : أراد به القرآن ، وبهويه نزوله على سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لأن القرآن نزل نحو ما أي مف رقا كقوله تعالى :

لِنَفَرَأُوهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ⁽²⁾ ، وكذا لفظ النجوم يطلق على جمع النجم تارة وعلى المصدر أخرى ، ثم شبه طلوع النبات والرأي بطلع الكوكب ، فقيل : نجم النبات ، والنبات نفسه نجم كما مر ، وإن اختص بنوع من النبات مما لا ساق له⁽³⁾

تبين أن النجم له ثلاثة معانٍ : الكواكب والنجوم المعروفة ، والمعنى الثاني : القدر المنزلي من القرآن ، والمعنى الثالث : النبات الذي لا ساق له .

(قيل : النجم الشريا ، قال عليه السلام : { إذا طلع النجم ارتفعت العاهات }⁽⁴⁾ يعني الشريا ، والعرب تقول : إذا طلع النجم عشاء ، ابتغى الراعي كساء ، وقيل : هو نجوم القرآن إذا نزلت ، العجيب : هو نجم النبات إذا يبس ، وقيل : إذا علا ونما ، قال الشيخ : ويحتمل العالم إذا مات والمصلبي إذا سجد ، والمجاهد إذا قتل ، فإنهن نجوم الأرض على ما جاء في الأخبار⁽⁵⁾)

(1) تفسير غريب القرآن لابن قتيبة / 427 .

(2) من سورة الإسراء 17 : (الآية / 106).

(3) عمدة المخاطب في تفسير أشرف الألفاظ للسمين الحلبي / 563 .

(4) رواه الإمام أحمد : ج 2 / 341 . قال شعيب الأرنؤوط : إسناده صحيح على شرط البخاري .

(5) غرائب التفسير وعجائب التأويل للشيخ محمود بن حمزة الكرماني : ج 2 / 1151 — 1152 .

أضاف هذا الاقتباس أن النجم قد يكون بشرًا صالحًا فهو نجم مضيء ضمننا ومعنى .

(﴿وَالنَّجْمٌ إِذَا هَوَى﴾) قال ابن عباس : يعني الثريا إذا سقطت وغابت ، والعرب تسمى الثريا بحما ، ومنه قوله : إذا طلع النجم عشاء ابتعى الراعي كساء ، وقيل : هي نجوم السماء كلها وهيها غروها ، فعلى هذا لفظه واحد ومعناه الجمع ، وروي عن ابن عباس : أنه الرجوم من النجوم وهي ما ترمى به الشياطين عند استراق السمع ، وقيل هي النجوم إذا انتشرت يوم القيمة ، وقيل : أراد بالنجم القرآن سمي بحما لأنه نزل بحوما متفرقة في عشرين سنة ، وهو قول ابن عباس أيضًا ، وقيل : النجم هو النبت الذي لا ساق له ، وهو يحيى سقوطه على الأرض ، وقيل : النجم هو محمد صلى الله عليه وسلم وهو يحيى نزوله ليلة المعراج من السماء⁽¹⁾ فالآقوال الأربع الأولى تدل على النجوم والكواكب ، ثم القول الذي بعده يدل على أن النجم هو القرآن ، والقول الذي بعده يدل على النبات الذي لا ساق له .

(﴿وَالنَّجْمٌ إِذَا هَوَى﴾) قال ابن عباس ومجاهد : معنى (﴿وَالنَّجْمٌ إِذَا هَوَى﴾) والثريا إذا سقطت مع الفجر ، والعرب تسمى الثريا بحما ، وإن كانت في العدد بحوما ، وعن مجاهد أيضًا أن المعنى والقرآن إذا نزل لأنه كان ينزل بحوما ، وعنده أيضًا : يعني نجوم السماء كلها حين تغرب ، وهو قول الحسن قال : أقسم الله بالنجم إذا غابت ، وليس يمتنع أن يعبر عنها بلفظ واحد ومعناه جمع ، وقال الحسن أيضًا : المراد بالنجم النجم إذا سقطت يوم القيمة ، وقيل : الجم هنا هو النبت الذي ليس له ساق ، وهو أي سقط على الأرض⁽²⁾ وهكذا تبين لنا أن أغلب التفاسير تدور على المعانين الثلاث لكلمة النجم : فهي غما النجم المعروف ، وإما الجزء المنجم من القرآن الكريم ، وإما النبات الذي ليس له ساق ، ولا تعارض بين هذه المعانين بل كلها مراده من الله عز وجل في هذه اللفظة ، والله الحمد والمنة .

الكلمة التاسعة عشرة : المقوين من قوله تعالى :

(﴿نَحْنُ جَعَلْنَاهَا تَذَكِّرَةً وَمَتَعًا لِلْمُقْوِينَ﴾) 

(1) تفسير الخازن : ج 4/190 .

(2) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي : ج 9/55 ————— 56 .

(3) من سورة الواقعة 56 : الآية / 73 .

(فإن مقوين التي هي جمع مقوٍ تأتي بمعنى النازل في القواء ، أي الصحراء ، وتأتي بمعنى الجائع ، وتأتي بمعنى المستمتع ، فالأعرابي الذي يعيش في البيداء فيتبارد إلى ذهنه المعنى الأول ، ذلك أن النار تعتبر متعة كبرى للمقيمين في الصحراء ، إذ بها تتعارف منازلهم ، ويضيفون ما حولهم ، ومن حولها يتكمّل ناديهם .

وأما الرجل العادي من أهل المدينة فيتبارد إلى فكره المعنى الثاني ، إذ إن أعظم فوائدتها عندهم يتمثل في كونها وسيلة لا بد منها لإنضاج الطعام وتحضيره ، فهي متاع ضروري هام للمقوين أي الجائعين ، وأما المعنى الثالث فهو عبارة عن بطاقة مفتوحة مع تطورات العصور والأزمنة ، فما من لون من ألوان المتعة والفائدة التي تكتدي إليها المدينة أو العلم من النار وخصائصها إلا ويستوعبه قوله تعالى في وصفها : ﴿ وَمَتَّعَ الْمُقْوِينَ ﴾ وهذا المعنى الثالث مما يمكن أن يفهمه الرجل العصري للاية دون أي تكلف في فهمها ولا تأويل)⁽¹⁾ فكلمة المقوين لها ثلاثة معانٍ : المسافرين والجائعين والمستمتعين .

﴿ وَمَتَّعَ الْمُقْوِينَ ﴾ فيها أقاويل :

أحدها : منفعة للمسافرين ، قال الفراء : إنما يقال للمسافرين إذا نزلوا القى وهي الأرض القفر التي لا شيء فيها .

الثاني : المستمتعين من حاضر ومسافر . قاله مجاهد .

الثالث : للجائعين في إصلاح طعامهم . قاله ابن زيد .

الرابع : الضعفاء والمساكين ، مأخوذ من قوله : قد أقوت الدار إذا خلت من أهلها ، والعرب تقول : قد أقوى الرجل إذا ذهب ماله .

الخامس : أن المقوى الكثير المال مأخوذ من القوة فيستمتع بها الغني والفقير)⁽²⁾

فالقول الرابع داخل في الثالث ، فالضعفاء والمساكين هم جائعون ، والقول الخامس : داخل في الثاني المستمتعين من حاضر ومسافر وغني وفقير .

(1) منهج تربوي فريد للدكتور سعيد رمضان البوطي : 30 — 31 .

(2) النكت والعيون للماوردي : ج 5 / 461 — 462 .

(قوله تعالى : ﴿ تَذَكَّرَةٌ وَمَتَاعًا لِلْمُقْوِينَ ﴾ ٧٣) هم الذين في زادهم ، وحقيقةتهم النازلون بالأرض القواء وهي القفر من الأرض ، يقال : أقوى الرجل أي صار في قوا كأترب إذا صار في التراب ، وقيل : إنما قيل لهم مقوون لأن من نزل بالقفر حصل له فقر ، وفي عبارة بعضهم : ويصور من حال الحاصل في القفر الفقر وهو وتجانس بديع ، واقتويته أي استخدمته ، يقال : بيبي وبين فلان ثوب فتقاويها أي أعطيته به ثنا أو أعطاني هو فأخذه أحدهنا ، وقد اقتويت منه الغلام الذي كان بيبينا أي اشتريت منه حصته)^(١)

من هنا نصل إلى معنى من معاني كلمة المقوين وهو : القراء وهم الضعفاء والجائعون .

(للمقوين : للذين ينزلون القواء وهي القفر ، أو للذين خلت بطونهم أو مزاودهم من الطعام ، يقال : أقويت من أيام أي لم آكل شيئاً)^(٢)
وفي هذا النص معنيان لكلمة المقوين : الأول : المسافرون ، والثاني : الجائعون القراء الذين خلت بطونهم .

(للمقوين : للذين ينزلون القواء وهي القفر من أقوى دخل القواء ، كأصرح دخل الصحراء ، وتخصيص المقوين بذلك لأنهم أحوج إليها ، فإن المقيمين أو النازلين بقرب منهم ليسوا بمضطرين إلى الاقتداح بالزنداد .

وقيل : للمقوين أي المسافرين ، وقيل : للمقوين للقراء يستضيفون بها في الظلمة ويصططون من البرد ، كأنه تصور من حال الحاصل في القفر الفقر ، فقيل : أقوى فلان أي افتقر كقوفهم أترب وأرمل ، وقيل للجائعين لأنهم أقوت أي خلت بطونهم ومزاودهم من الطعام فهم يحتاجون إليها لطبخ ما يأكلون . وقال عكرمة ومجاهد : المقوين : المستمتعين بها من الناس أجمعين (المسافرين والحاضرين) يستضيفون بها ويصططون من البرد وينتفعون بها في الطبخ والخبز .

وعلى هذا القول : المقوي من الأضداد ، يقال للفقير : مقوٍ لخلوه من المال ، وللغني : مقوٍ لقوته على ما يريد ، يقال : أقوى الرجل إذا صار إلى حال القوة ، والمعنى : متاعاً للأغنياء والقراء لأنه لا غنى لأحد عنها)^(٣)

(١) عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ : 476 مادة قفو .

(٢) الكشاف للزمخشري : ج 4/61 .

(٣) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثانى للألوسي : ج 27/150 .

وهكذا نخلص إلى معانٍ كلية المقوين : المسافرون ، الجائعون الفقراء ، المستمتعون بها من جميع الفئات من الناس .

فما أبدع ألفاظ القرآن الكريم حيث للفظة الواحدة عدة معانٍ يريدها النص القرآني .

الكلمة العشرون : المهل من قوله تعالى :

(**يَوْمَ تَكُونُ السَّمَاءُ كَالْمُهْلِ**)⁽¹⁾

(والمهل : دردي الزيت وعكره ، في قول ابن عباس وغيره ، وقال ابن مسعود : ما أذيب من الرصاص والنحاس والفضة ، وقال مجاهد : كالمهل : كثيق من دم وصديد)⁽²⁾

(والمهل : عكر الزيت ، فالسماء لسودادها وانكدار أنوارها تشبه ذلك ، والمهل أيضا ماء أذيب من فضة ونحوها فيجيء له ألوان وتنبع مختلط ، والسماء أيضا للأهوال التي تدركها تصير مثل ذلك)⁽³⁾

(قوله تعالى : **يُغَاوِرُونَ بِمَاءِ كَالْمُهْلِ**)⁽⁴⁾ قيل : هو ماء أذيب من الجواهر المعدنية كالنحاس والرصاص وغير ذلك ، وقيل : هو دردي الزيت ، وقيل : هو صديد جلود أهل النار .

وفي التفسير يبتلون بعطش فيستغيثون فيؤتون بالمهل فإذا قربه إلى فيه سقطت فروة وجهه ، نسأل

الله العظيم الإجارة من نار الجحيم ، ودللت الآية الأخرى على أنهم يشربونه وهو قوله تعالى :

(**كَالْمُهْلِ يَعْلَى فِي الْبُطْوَنِ**)⁽⁵⁾ فقد حصل في بطون القوم ويا بئس ما حصل)⁽⁶⁾

تبين مما سبق ثلاثة معانٍ لكلمة المهل : الأول : دردي الزيت وعكره ، والثاني : ما صهر وأذيب من الرصاص والنحاس والفضة ، والثالث : صديد جلود أهل النار .

(1) من سورة المعارج 70 : (الآية / 8) .

(2) الجامع لأحكام القرآن للقراطي : ج 9/185.

(3) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز لابن عطية : ج 5 / 366 .

(4) من سورة الكهف 18 : (الآية / 29) .

(5) من سورة الدخان 44 : (الآية / 45) .

(6) عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ للسمين الحلبي : 554 مادة مهل .

وهكذا ألفاظ القرآن الكريم تؤدي معاني كثيرة ، وتحدم النص القرآني على أكمل وجه ، فما
أعظم إعجاز القرآن الكريم .

المبحث الثالث : ما يحتمل أكثر من ثلاثة معانٍ

الكلمة الأولى : ويل من قوله تعالى :

يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ⁽¹⁾

(1) من سورة البقرة 2 : الآية / 79 .

للويل معان كثيرة منها : أنه العذاب والحزن والخزي والهوان والتقيح وواد في جهنم والتحسر .

(ومن قال : ويل واد في جهنم فإنه لم يرد أن ويلا في اللغة هو موضوع لهذا ، وإنما أراد من قال الله تعالى ذلك فيه فقد استحق مقترا من النار وثبت ذلك له . قال عز وجل :

﴿فَوَيْلٌ لَّهُمْ مِّمَّا كَنَبْتُ أَيَّدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُمْ مِّمَّا يَكْسِبُونَ ﴾⁽¹⁾ ، ﴿ وَيْلٌ لِّكُلِّ أَفَّاكِ أَشَبَّرِ ﴾⁽²⁾ ، ﴿ وَيْلٌ لِّلْمُطْفِقِينَ ﴾⁽³⁾ ، ﴿ وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزةٍ لُّمَزَةٍ ﴾⁽⁴⁾

(الويل : القبح والتعس ، وقد يستعمل على التحسر ، وويل استصغار ، ويل : تقال لمن يقع في هلكة يستحقها ولا ترحم عليه ، والويل : الحزن والمكروه : والويل : المشقة من العذاب)⁽⁵⁾

إذن لكلمة الويل دلالات كثيرة منها : الاستصغار والمكروه وشدة العذاب ومشقته .

(الويل كلمة تقولها العرب لكل من وقع في هلكة ، وأصلها في اللغة : العذاب والهلاك ، وقال ابن عباس : الويل : شدة العذاب)⁽⁶⁾

فالويل : المشقة من العذاب وشدة الشر والحزن ، والتفسع وأصله الهلكة ، وكل من وقع في هلكة دعا بالويل ، ومنه قوله تعالى : **﴿يَوْئِنَّا مَا لِهَذَا الْكِتَبِ﴾⁽⁷⁾**

(قال الفراء : الأصل في الويل { وي } أي حزن ، كما تقول : وي لفلان أي حزن له)⁽⁸⁾ روی عن النبي صلی الله عليه وسلم قال : (ويل واد في جهنم ، يهوي فيه الكافرأربعين خريفا قبل أن يبلغ إلى قعره)⁽¹⁾

(1) من سورة الجاثية 45 : (الآية / 7) .

(2) من سورة المطففين 83 : (الآية / 1) .

(3) من سورة الهمزة 104 : (الآية / 1) .

(4) مفردات ألفاظ القرآن للراغب الأصفهاني / 88 مادة ويل .

(5) عمدة المخاطب في تفسير أشرف الألفاظ للسمين الحلبي : 646 مادة ويل .

(6) تفسير الخازن : ج 1/ 62 .

(7) من سورة الكهف 18 : (الآية / 49) .

(8) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي : ج 2/ 8 .

الكلمة الثانية : لباس من قوله تعالى : ﴿أَحِلَّ لَكُم مِّنْ لِيَلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَى نِسَاءِكُم﴾

هُنَّ لِيَاسُ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِيَاسُ لَهُنَّ⁽²⁾

لفظة لباس لها معانٌ كثيرة منها :

1) يستر العورة والمعايب ، وكذلك الزوجان يستر كل واحد منهما الآخر ، فلا يفشي أسراره ولا معايبه .

2) زينة ، وكذلك الزوجان كل واحد يكمل صاحبه ويزينه وهي سنة الحياة .

3) السكن والطمأنينة ، لأن كل واحد من الزوجين يسكن للآخر . قال الله تعالى :

﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنَّ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ

مَوَدَّةً وَرَحْمَةً⁽³⁾﴾ ، وقال تعالى : ﴿وَجَعَلْنَا أَلَيْلَ لِيَاسًا⁽⁴⁾﴾

(وجعل اللباس لكل ما يغطي من الإنسان عن قبيح ، فجعل الزوج لزوجه لباسا من حيث إنه يمنعها ويصدّها عن تعاطي قبيح ، قال تعالى : ﴿هُنَّ لِيَاسُ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِيَاسُ لَهُنَّ⁽⁵⁾﴾ فسماهن لباسا .

وجعل التقوى لباسا على طريق التمثيل والتشبيه ، قال تعالى : ﴿وَلِيَاسُ الْتَّقْوَى﴾

ذَلِكَ حَيْرٌ⁽⁶⁾

(1) رواه الترمذى : كتاب التفسير باب 22 سورة الأنبياء ، ج 5 / 300 ، رقم الحديث : 3164 ، ورواه أحمد: 11730

(2) قال شعيب الأرنؤوط : إسناده ضعيف ، وابن حبان : 7467 (16 / 508) ، ورواه الحاكم : 8764 (3 / 75)

639) وقال حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه .

(2) من سورة البقرة 2 : (الآية / 187) .

(3) من سورة الروم 30 : (الآية / 21) .

(4) من سورة النبأ 78 : (الآية / 10) .

(5) من سورة الأعراف 7 : (الآية / 26) .

(6) مفردات ألفاظ القرآن للراغب الأصفهاني : 734 ————— 735 مادة لبس .

(وأصل اللبس الستر ، وكل شيء ستر شيئاً فهو لباس له ، وقوله تعالى : هُنَّ

لِبَاسٌ لَكُمْ كُلُّهُ نَبَّهَ بذلك على شدة المخالطة وأنَّ كلاً من الزوجين بمنزلة اللباس للأخر ،

و قريب منه قوله تعالى : وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً⁽¹⁾

فمن معانى اللباس الستر والتغطية ، فجعل الله كلاً من الزوجين لباساً ، لأنضمام الجسدتين وامتزاجهما وتلازمهما تشبيهاً بالثوب ، وجائز أن يكون كل واحد منهما سترة لصاحبه عملاً لا يحمل .

(فإن قال قائل : وكيف يكون نساؤنا لباساً لنا ونحن هن لباساً ، واللباس إنما هو ما لبس ؟ قيل : لذلك وجهان من المعانى :

أحدهما : أن يكون كل واحد منهما جعل لصاحبه لباساً ، لتجردهما عند النوم ، واجتماعهما في ثوب واحد ، وانضمام جسد كل واحد منهما لصاحبه بمنزلة ما يلبسه على جسده من ثيابه ، فقيل لكل واحد منهما : هو لباس لصاحبه .

والوجه الآخر : أن يكون جعل كل واحد منهما لصاحبه لباساً لأنه سكن له ،

كما قال حل ثناؤه : جَعَلَ لَكُمْ أَيْثَلَ لِبَاسًا⁽²⁾ يعني بذلك سكناً تسكنون فيه ، وكذلك زوجة الرجل سكنته يسكن إليها ، كما قال تعالى ذكره :

زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا⁽³⁾ فيكون كل واحد منهما لباساً لصاحبه ، بمعنى سكونه إليها .

وقد يقال لما ستر الشيء وواراه عن أبصار الناظرين إليه هو لباسه وغشاوته ، وجائز أن

يكون قيل : هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ⁽⁴⁾ يعني أنَّ كل واحد منكم ستر لصاحبه عن أبصار سائر الناس⁽⁵⁾

(1) عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ للسمين الحلبي : مادة لبس / 512 .

(2) من سورة الفرقان 25 : (الآية / 47) .

(3) من سورة الأعراف 7 : (الآية / 189) .

(4) من سورة البقرة 2 : (الآية / 187) .

(5) تفسير الطبرى : ج 2 / 168 ————— 169 .

يتبيّن لنا مما سبق ثلاثة معانٍ لكلمة اللباس : الاجتماع والانضمام حيث يكون اللباس مجتمعاً ومنضماً على صاحبه تماماً ، والمعنى الثاني : السكن والراحة والطمأنينة ، وكذلك الزوجان ، والمعنى الثالث : الستر والحماية وحجب المعايب عن أبصار الناس .

(قوله : ﴿ هُنَّ لِيَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِيَاسٌ لَهُنَّ ﴾ نزلهن مع الرجال منزلة اللباس لما بينهما من الاجتماع والتضامن .

الغريب : هن لباس لكم أي سكن من قوله : ﴿ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا ﴾⁽¹⁾ ، ثم سمّاهما لباساً ، كما سمى الليل سكناً في قوله : ﴿ وَجَعَلَ الْيَلَ سَكَنًا ﴾⁽²⁾ ، ثم سمّاه لباساً فقال : ﴿ وَجَعَلْنَا الْيَلَ لِيَاسًا ﴾⁽³⁾ ١٠⁽⁴⁾ وهكذا جعل الله كلاً من الرجل والمرأة لباساً للآخر لتجردهما عند النوم واعتناقهما واحتتمال كل منهما على الآخر ، أو لأن كلاً منهما يستر صاحبه وينفعه من الفجور ، أو المعنى هن سكن لكم وأنتم سكن لهن كما قال تعالى : ﴿ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا ﴾ ولا يسكن شيء إلى شيء كسكن أحد الزوجين إلى الآخر .

الكلمة الثالثة : حسنة من قوله تعالى : ﴿ رَبَّنَا إِنَّا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَفِي الْآخِرَةِ

٥⁽⁵⁾ حَسَنَةٌ وَقَنَا عَذَابَ النَّارِ ٢٠١

(حسنة) فيها أربعة تأويلات :

أحدها : العافية في الدنيا والآخرة . وهو قول قتادة .

والثاني : أنها نعم الدنيا ونعم الآخرة وهو قول أكثر أهل العلم .

(1) من سورة الأعراف 7 : (الآية / 189) .

(2) من سورة الأنعام 6 : (الآية / 96) .

(3) من سورة النبأ 78 : (الآية / 10) .

(4) غرائب التفسير وعجائب التأويل للشيخ محمود بن حمزة الكرماني : ج 1/200 .

(5) من سورة البقرة 2 : (الآية / 201) .

والثالث : أن الحسنة في الدنيا العلم والعبادة ، وفي الآخرة الجنة ، وهو قول الحسن والثوري.

والرابع : أن الحسنة في الدنيا المال ، وفي الآخرة الجنة ، وهو قول ابن زيد والسدسي ^(١)

من هنا نصل إلى أن الحسنة لها دلالات كثيرة منها : العافية والنعم والعلم والعبادة والمال.

قال الحافظ ابن كثير : (جمعت هذه الدعوة كل خير في الدنيا وصرفت كل شر ، فإن الحسنة في الدنيا تشمل كل مطلوب دنيوي من عافية ودار رحمة وزوجة حسنة ورزق واسع وعلم نافع وعمل صالح ومركب هين وثناء جميل إلى غير ذلك مما اشتملت عليه عبارات المفسرين ، ولا منفأة بينها فإنها كلها مندرجة في الحسنة في الدنيا ، وأما الحسنة في الآخرة فأعلى ذلك دخول الجنة وتوابعه من الأمان من الفزع الأكبر في العرصات وتسهيل الحساب وغير ذلك من أمور الآخرة الصالحة) ^(٢)

ولذلك ورد في السيرة النبوية أن أكثر دعايين كان يدعوا بهما النبي صلى الله عليه وسلم :

أ) **رَبَّنَا إِنَّا فِي الدُّنْيَا كَا حَسَنَةٍ وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةٌ وَقَنَا عَذَابَ النَّارِ** ^(٣)

ب) { يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك } ^(٤)

(والحسنة يعبر عنها عن كل ما يسر من نعمة تناول الإنسان في نفسه وبدنه وأحواله) ^(٥)

ولأن كلمة حسنة نكرة جمعت معان أكثر ، فالنكرة تدل على العموم ، (روی عن علي ابن أبي طالب أن الحسنة في الدنيا المرأة الحسناء وفي الآخرة الحور العين ، وقال قتادة : حسنة الدنيا

(١) النكت والعيون للماوردي : ج 1 / 263 .

(٢) تفسير القرآن العظيم لابن كثير : ج 1 / 243 ————— 244 .

(٣) من سورة البقرة 2 : (الآية / 201) .

(٤) رواه الترمذى كتاب القدر باب 7 ما جاء أن القلوب بين أصبعي الرحمن ، ج 4 / 390 رقم الحديث 2140 . وقال حديث حسن وقال الألبانى صحيح ، ورواه البخارى فى الأدب المفرد 683 (237) قال الألبانى صحيح ، ورواه أحمد : 17667 (4 / 82) قال شعيب الأرناؤوط : إسناده صحيح على شرط الشيختين ، ورواه أبو يعلى : 2318 (4 / 207) قال حسين سليم أسد : إسناده صحيح على شرط مسلم ، ورواه ابن حبان : 943 (3 / 222) قال شعيب : إسناده صحيح .

(٥) مفردات ألفاظ القرآن للراغب الأصفهانى / 235 .

العافية في الصحة وكفاف المال ، وقال الحسن : حسنة الدنيا العلم والعبادة ، والذى عليه أكثر أهل العلم أن المراد بالحستين نعم الدنيا والآخرة وهذا هو الصحيح ، فإن اللفظ يقتضي هذا كله ، فإن حسنة نكرة في سياق الدعاء فهو محتمل لكل حسنة من الحسنات على البدل ، وحسنـة الآخرة : الجنة بإجماع ، وقيل : لم يرد حسنة واحدة بل أراد : أعطنا في الدنيا عطية حسنة)⁽¹⁾ فسبحان الله لفظة واحدة (حسنة) تقتضي كل هذه المعاني وجميع محابي الدنيا .

فالحسنة هي العلم والعبادة ، والعافية وكفاف المال والعلم والعبادة والتوفيق للخير ، والنعم كلها تندرج تحتها . والحسنة جامعة لكل الخيرات في الدارين (قال أبو القاسم الحكيم)⁽²⁾ : حسنة الدنيا عيش على سعادة ، وموت على شهادة ، وحسنة الآخرة بعث من القبر على بشارة ، وجواز على الصراط على سلامـة)⁽³⁾

الكلمة الرابعة : حرث من قوله تعالى : ﴿نِسَاؤُكُمْ حَرَثٌ لَّكُمْ﴾⁽⁴⁾

(الحرث : إلقاء البذر في الأرض وتقيئها للزرع ويسمى المحروث حرثا ، قال الله تعالى : ﴿أَنِ اغْدُوا عَلَى حَرَثِكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَرِمِينَ﴾⁽⁵⁾ وتصور منه معنى العمارة التي تحصل عنه في قوله تعالى : ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرَثَ الْآخِرَةِ نَزِدُهُ فِي حَرَثِهِ وَمَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرَثَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ نَصِيبٍ﴾⁽⁶⁾ وتصور معنى الكسب منه ، وتصور معنى التهيج من حرث الأرض ، فقيل : حرثت النار ، ولما تهيج به النار محـرث ،

(1) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي : ج 2 / 286 .

(2) أبو القاسم الحكيم : إسحاق بن محمد بن إسماعيل السمرقندـي ، قاض حنفي ، من كتبـه الصحائف الإلهـية ، والسودـاد الأعظم في التوحـيد ، توفي 345هـ . ينظر الأعلام للزرـكـلي : ج 1 / 296 .

(3) تنوير الأذهـان من تفسـير روح البـيان للـشـيخ إـسماعـيل البرـوسـوي : ج 1 / 157 .

(4) من سورة البقرة 2 : (الآية / 223) .

(5) من سورة القلم 68 : (الآية / 22) .

(6) من سورة الشورى 42 : (الآية / 20) .

ويقال : احرث القرآن أي أكثر تلاوته ، وقال عز وجل : ﴿نَسَأُلُّكُمْ حَرَثٌ لَّكُمْ فَأَتُوا حَرَثَكُمْ أَنَّ شِئْتُمْ﴾⁽¹⁾ وذلك على سبيل التشبيه فالنساء زرع ما فيه بقاء نوع الإنسان ، كما أن بالأرض زرع ما به بقاء أشخاصهم ، قوله عز وجل : ﴿وَيَهْلِكَ الْحَرَثَ وَالنَّسْلَ﴾⁽²⁾ يتناول الحرثين⁽³⁾

فكلمة الحرث في اللغة العربية لها عدة دلالات منها : إلقاء البذر في الأرض ، وهذه هي الدلالة المشهورة والمعروفة لكلمة الحرث وهي الزراعة ، والعمارة ، أي عمارة الأرض بالأعمال الصالحة ، والكسب كما يقال : احرث دنياك لآخرتك فالدنيا مزرعة الآخرة ، والتهيج يقال : حرث النار أي أثركها وهيجتها .

(حرث) : الحرث الإثارة والتفتيش ، ومنه حرث الأرض وهو إثارتها ، وقيل : الحرث إلقاء البذر في الأرض وقيمتها للزراعة ، ويطلق على نفس المحوث ، وتصور منه العمارة التي تحصل عنه في قوله تعالى : ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرَثَ الْآخِرَةِ نَزَدَ لَهُ فِي حَرَثِهِ وَمَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرَثَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا﴾⁽⁴⁾ فسمى ما يكده له الإنسان من الأعمال الموصلة إلى الثواب والعقاب حرثا لأن نتيجته عمارة ما قصد به الحارث ، ويعبر به عن الكسب ، لأن كل أحد لا بد أن يحرث أي يكتسب ، إما لأمر دنياه أو لأمر آخرته ، وكل أحد لا بد أن يهم إما بخير أو بشر ، وقوله تعالى : ﴿نَسَأُلُّكُمْ حَرَثٌ لَّكُمْ﴾⁽¹⁾ سماهن حرثا على الاستعارة البليغة فإنهن بمنزلة الأرض المبغى منها طلوع البذر ونموه ، وجعل النطف الملقة من أصلاب الرجال في أرحامهن بمنزلة البذر ، وهذا في غاية الفصاحة والبلاغة ، وتصور من الحرث معنى التهيج ، فقيل : حرث النار⁽⁵⁾

(1) من سورة البقرة 2 : (الآية / 223) .

(2) من سورة البقرة 2 : (الآية / 205) .

(3) مفردات ألفاظ القرآن للراغب الأصفهاني / 226 مادة حرث .

(4) من سورة الشورى 42 : (الآية / 20) .

(5) عمدة المخاطب في تفسير أشرف الألفاظ للسمين الحلبي / 115 ، مادة حرث .

يضاف إلى معانٍ الحُرث السابقة معنٍ إضافياً وهو : الإثارة والتَّفْتِيش ، وفي عملية الحُرث لا بد من إثارة الأرض لحراثتها وإلقاء البذر فيها .

(والحرث : العمل للدنيا والآخرة ، والحرث : كسب المال وجمعه ، والحرث : الثواب والنصيب ، والحرث : التَّفْتِيش)⁽¹⁾

قال الطبرى في تفسيره : (﴿نِسَاؤُكُمْ حَرَثٌ لَّكُمْ ﴾) نساؤكم مزدروع أولادكم ، فأتوا مزدروعكم كيف شئتم وأين شئتم .

وإنما عنى بالحرث المزدروع ، والحرث هـ _____ وـ زـ رـ عـ ،
ولكنهن لما كن من أسباب الحرث جعلن حرثا)⁽²⁾

(وتشبيه النساء بالحرث تشبيه لطيف كما شبه النسل بالزرع في قول أبي طالب في خطبته خديجة للنبي صلى الله عليه وسلم : " الحمد لله الذي جعلنا من ذرية إبراهيم وزرع إسماعيل ")⁽³⁾

(﴿نِسَاؤُكُمْ حَرَثٌ ﴾) أي موضع حرث ، وهذا تشبيه شبه اجتماع الزوجين بالزراعة ، والنطفة بالبذرة ، والرحم بالأرض ، والولد بالنبات)⁽⁴⁾
وهكذا تكون كلمة الحُرث شاملة لكل المعانى المذكورة ، فالمرأة حُرث بكل ما تحمل هذه الكلمة من معنى فهي مكان لإلقاء البذور في رحمها ، بعد إثارة وتقىح ثم الحُرث يعني الكسب والجمع والعمل ، حيث أن الجين يجمع خلقه في رحم المرأة ، وبعد حُرثها تبدأ المرأة في العمل والكسب ثم تكون العمارة بهذا النسل الصالح ، والمرأة حُرث فهي خير متع الدنيا ، والدنيا متع وخير متعها المرأة الصالحة .

والمرأة حُرث أي نصيب حيث أن هؤلاء الأولاد رزق من الله ونصيب ، وقد لا يكون أولاد بعد هذا الحُرث ، قال الله تعالى : (﴿لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ يَهْبِطُ لِمَنْ

(1) لسان العرب لابن منظور : مادة حُرث / 134 ————— 135 .

(2) تفسير الطبرى : ج 2 / 404 .

(3) التحرير والتنوير لابن عاشور : ج 2 / 353 .

(4) غرائب التفسير وعجائب التأويل لخالد بن حمزة الكرماني : ج 1 / 214 .

يَشَاءُ إِنْتَشَا وَيَهْبِ لِمَنْ يَشَاءُ الْذُكُورَ ﴿٤١﴾ أَوْ يُرُوِّجُهُمْ ذُكْرًا وَإِنْتَشَا وَيَجْعَلُ مَنْ يَشَاءُ عَقِيمًا

إِنَّهُ عَلِيمٌ فَدِيرٌ ﴿٥٠﴾ ^(١) كما أن الإنسان يحرث أي يلقي البذور في الأرض وقد تنبت أو لا

تنبت ، كما قال الله عز وجل : ﴿٦٣﴾ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَحْرُثُونَ إِنَّمَا تَرْزَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الْنَّارُ عُونَ

. ^(٢)

الكلمة الخامسة : مragima من قوله تعالى :

﴿ وَمَنْ يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي الْأَرْضِ مُرَاغِمًا كَثِيرًا وَسَعَةً ﴾ ^(٣)

مراغما : سعة ومذهبها ومنسحا (المراغم والمهاجر واحد) ، تقول : راغمت وهاجرت قومي ، وأصله أن الرجل كان إذا أسلم خرج عن قومه مراغما لهم ، أي مغاضباً ومهاجراً أي مقاطعاً من المحران ، فقيل للمذهب مراغم ، وللمصير إلى النبي صلى الله عليه وسلم هجرة لأنها كانت هجرة الرجل قومه ^(٤)

فالرجل كان إذا أسلم ثم هاجر أوجد الله له مراغما أي مكاناً واسعاً يعبد الله فيها . بل أكثر من مكان ، ففرض الله واسعة ، قال

الله تعالى : ﴿ قَالُوا أَللَّهُمَّ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَسَعَةً فَهَاجِرُوا فِيهَا ﴾ ^(٥) ، وكذلك من معاني المراغم أن المهاجر أرغم قومه أي جعلهم يضعون أنوفهم في الر GAM AI التراب قهراً وذلاً وهواناً ، حيث فاكهم هذا المهاجر وهرب منهم ولم يستطيعوا إمساكه أو تعذيبه لأنهم لا يريدون للإسلام أن ينتشر حقداً وحسداً .

(١) من سورة الشورى 42 : (الآيات / 49 - 50) .

(٢) من سورة الواقعة 56 : (الآيات / 63 - 64) .

(٣) من سورة النساء 4 : (الآية / 100) .

(٤) تفسير غريب القرآن لابن قتيبة : 134 .

(٥) من سورة النساء 3 : (الآية / 97) .

(الرَّغَامُ : التَّرَابُ الدَّقِيقُ ، وَرَغْمُ أَنْفٍ فَلَانُ رَغْمًا : وَقَعَ فِي الرَّغَامِ ، وَأَرْغَمَهُ غَيْرُهُ ، وَيَعْبُرُ بِذَلِكَ عَنِ السُّخْطِ ، وَعَلَى هَذَا قِيلَ : أَرْغَمَ اللَّهُ أَنْفَهُ وَأَرْغَمَهُ أَسْخَطَهُ وَرَاغَمَهُ سَاخْطَهُ ، وَتَجَاهَدَا عَلَى أَنْ يُرْغَمَ أَحَدُهُمَا الْآخَرُ ، ثُمَّ تَسْتَعَارُ الْمَرَاغِمَةُ لِلْمَنَازِعَةِ ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿يَحِدُّ فِي الْأَرْضِ﴾

مُرَاغِمًا كَثِيرًا وَسَعَةً⁽¹⁾ أي مذهباً يذهب إليه إذا رأى منكراً يلزمـه أن يغضـبـ منه كقولـكـ : غضـبـتـ إـلـىـ فـلـانـ مـنـ كـذـاـ وـرـغـمـتـ إـلـيـهـ⁽²⁾

فمن معاني الرغام : التراب الدقيق ، والسطح والغضب بسبب الكفر والمعاصي والمنكرات ، والمنازعة والمخاصلة ، والإجبار والإكراه .

(مَرَاغِمًا كَثِيرًا : أي مذهبـاـ وـمـضـطـرـبـاـ ، وـأـصـلـهـ مـنـ الرـغـامـ وـهـوـ التـرـابـ الدـقـيقـ ، وـمـنـهـ رـغـمـ)⁽³⁾

فمن معاني الرغام أيضاً : الإذعان والذلة والانقياد . (مَرَاغِمًا : مـهـاجـرـاـ وـطـرـيـقاـ يـرـاغـمـ بـسـلـوكـهـ قـوـمـهـ أـيـ يـفـارـقـهـمـ عـلـىـ رـغـمـ أـنـوـفـهـمـ ، وـرـغـمـ : الذـلـ وـالـهـوـانـ ، وـأـصـلـهـ لـصـوـقـ الـأـنـفـ بـالـرـغـامـ وـهـوـ التـرـابـ ، يـقـالـ : رـاغـمـتـ الرـجـلـ إـذـاـ فـارـقـتـهـ ، وـهـوـ يـكـرـهـ مـفـارـقـتـكـ لـذـلـكـ تـلـحـقـهـ بـذـلـكـ)⁽⁴⁾

فالمراغم : يفارقـ قـوـمـهـ رـغـمـ أـنـوـفـهـمـ أـيـ غـصـبـاـ عـنـهـمـ وـبـدـوـنـ رـضـاـهـمـ بـلـ عـلـىـ كـرـهـ مـنـهـمـ .

(مَرَاغِمًا كَثِيرًا : أي متـحـولـاـ يـتـحـولـ إـلـيـهـ وـمـهـاجـرـاـ ، وـإـنـماـ عـبـرـ عـنـهـ بـذـلـكـ تـأـكـيدـاـ لـلـتـرـغـيبـ إـلـىـ ماـ يـكـونـ سـبـبـاـ لـرـغـمـ أـنـفـ قـوـمـهـ الـذـينـ هـاجـرـهـمـ ، وـرـغـمـ : الذـلـ وـالـهـوـانـ ، وـأـصـلـهـ لـصـوـقـ الـأـنـفـ بـالـرـغـامـ وـهـوـ التـرـابـ ، وـلـمـ كـانـ الـأـنـفـ مـنـ جـمـلـةـ الـأـعـضـاءـ فـيـ غـاـيـةـ الـعـزـةـ وـالتـرـابـ فـيـ غـاـيـةـ الذـلـةـ ، جـعـلـ قـوـلـهـمـ : رـغـمـ أـنـفـهـ كـنـيـةـ عنـ الذـلـةـ)⁽⁵⁾

وهـكـذـاـ أـدـتـ لـفـظـةـ (ـمـرـاغـمــ)ـ مـعـانـ كـثـيرـ وـدـلـلـاتـ مـتـعـدـدـةـ .

(1) من سورة النساء 3 : (الآية / 100) .

(2) مفردات ألفاظ القرآن للراغب الأصفهاني / 359 مادة رغم .

(3) عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ للسمين الحلبي / 206 .

(4) الكشاف للزمخشري : ج 1/ 292 .

(5) تنوير الأذهان من تفسير روح البيان للشيخ إسماعيل حقي البروسوي : ج 1/ 369 .

الكلمة السادسة : فاكهون من قوله تعالى :

﴿إِنَّ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ الْيَوْمَ فِي شُغْلٍ فَلَا يَرَوْنَ﴾⁽¹⁾

(فكه : الفاء والكاف والهاء أصل صحيح يدل على طيب واستطابة . من ذلك الرجل الفكه : الطيب النفس ، ومن الباب : الفاكهة لأنها تستطاب وتستطرف ، ومن الباب : المفاكه وهي المزاحمة وما يستحلى من كلام .

ومن الباب : أفكهت الناقة والشاة إذا درّتا عند أكل الربيع وكان في اللبن أدنى خثورة وهو أطيب اللبن)⁽²⁾

من معانٍ الكلمة فاكهون : طيبون جسماً ونفساً ، مازحون مرحون ، فرحون ضاحكون .

(فأما فاكهون فيه أربعة أقوال : أحدها : فرحون قاله ابن عباس ، والثاني معجبون قاله الحسن وقناة ، والثالث : ناعمون قاله مقاتل⁽³⁾ . والرابع : ذوق فاكهة كما يقال : فلان لا بن تامر⁽⁴⁾ قاله ابن قتيبة)

والفكه الذي يتفكه ، تقول العرب للرجل إذا كان يتفكه بالطعام أو بالفاكهه أو بأعراض الناس: إن فلانا لفكه بكتذا ، أي يتسلى ويتلذذ ويستمتع . ورجل فكه أي طيب النفس ضحوك .

فمن معانٍ الكلمة فاكهون : فرحون ، معجبون ، ناعمون ، ذوق فاكهة ، طيبو النفس ضحوكون متلذذون .

وهذه المعانى متحققة في أهل الجنة جعلنا الله وإياكم من أهلها .

(والفالـ)
ـاكهون الذين تكثر عندهم الفواكه ،
ـ وكذلك التامر واللابن الذي كثر عنده اللبن والتمر)⁽⁵⁾

(1) من سورة يس 36 : الآية / 55 .

(2) معجم مقاييس اللغة لابن فارس : ج 2 / 446 .

(3) مقاتل : بن سليمان البلاخي ، أبو الحسن كبير المفسرين ، يروي عن مجاهد والضحاك وعطاء وابن سيرين ، مات سنة نيف وخمسين ومائة . ينظر سير أعلام النبلاء 7 / 201 — 202 .

(4) زاد المسير في علم التفسير لابن الجوزي : ج 7 / 28 .

(5) غريب القرآن وتفسيره لعبد الله بن يحيى البزيدي / 312 .

(فاكهون : أي مسوروون بما يعمهم الله تعالى في الآخرة بما تحملوا من مشاق الصبر على عمل الطاعات واحتساب المعاصي ، وهو مأخذ من لفظ الفاكهة لأن بها يحصل التلذذ ، والفاكه المازح ، قوله تعالى : ﴿ وَعَمَّا كَانُوا فِيهَا فَنَكِيْهِنَ ﴾⁽¹⁾ أي ناعمين ، وقيل : الفاكه : ذو الفاكهة نحو لابن وتمر ، والفاكه ما يتفكه به من الشمار⁽²⁾ من معاني كلمة فاكهون : مسوروون ، ناعمون ، مازحون ، متلذذون ، ذوو فاكهة كثيرة ، كما قال الله تعالى : ﴿ وَفَكَاهَةٌ كَثِيرَةٌ ۚ لَا مَقْطُوعَةٌ وَلَا مَمْنُوعَةٌ ﴾⁽³⁾

(فاكهون : من الفكاهة بفتح الفاء وهي طيب العيش والنشاط بالتنعم ، وأما الفكاهة بالضم فالمازح ، والمعنى متنعمون بنعيم مقيم ، فائزون بملك كبير ، متلذذون في شغل شاغل ، فشغلهم شغل التلذذ ، لا شغل فيه تعب كشغل أهل الدنيا ، وقد فسر على وجوه منها : سماع الأصوات الطيبة والنغمات اللذيدة ، ومنها سماع الأوتار وسماع أصوات الحور الأبكار والأوراق والأشجار ، والظاهر أن المراد بالشغل ما هم فيه من فنون الملاذ التي تلهيهم عما عدتها بالكلية⁽⁴⁾)

فريق من العلماء قال : فاكهون وفكهون يعني واحد ، وبعضهم فرق ، والفرق بسيط لتشابه بنيت الكلمة .

فالذين قالوا إنما يعني واحد ما سبق ذكره ينطبق على الكلمتين ، والذين فرقوا قالوا : فاكهون معناه أصحاب فاكهة كما تقول : لابن وتمر وشاحم ولاحم ، وفكهون معناه : طربون فرحون مأخذ من الفكاهة أي لاهم لهم .

(1) من سورة الدخان 44 : الآية / 27 .

(2) عمدة المخاطب في تفسير أشرف الألفاظ للسمين الحلبي / 432 .

(3) من سورة الواقعة 56 : (الآياتان / 32 — 33) .

(4) تنوير الأذهان من تفسير روح البيان للشيخ إسماعيل حقي البروسوي : ج 3/ 318 .

الكلمة السابعة : متشاكسون من قوله تعالى :

﴿ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلًا فِيهِ شُرْكَاءٌ مُتَشَكِّسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا ﴾⁽¹⁾

التشاكس : الاختلاف ، وشركاء متشاكسون أي بينهم اختلاف وتنازع .

(متشاكسون : قال الفراء : أي مختلفون ، وقال المبرد : أي متعارضون من شكس فهو شكس . والتشاكس والتباخس : الاختلاف ، يقال : تشاكت أحواله وتشابخت أسنانه ، ويقال : شاكسي فلان أي ماكسني وشاحني في حقي . قال الجوهري: رجل شكس بالتسكين أي صعب الخلق)⁽²⁾

من معاني الكلمة متشاكسون : متعارضون ، مختلفون ، متظالمون ، حيث يمنعون حقوق بعضهم، صعبة أخلاقهم .

متشاكسون : متذارعون مختلفون سيئة أخلاقهم ، والشكس : السيء للخلق المحالف للناس لا يرضى بالإنصاف .

(متشاكسون : أي مختلفون متشارجون ، وأصله من شكس خلقه إذا ساء وضاق ، وخلق شكس أي ضيق ، والمعنى : أنهم مختلفون يختصمون أبدا ، ولا يتتفقون لشकاسة أخلاقهم ، ويقال فيه التباخن أيضا)⁽³⁾

يضيف هذا النص إلى معاني الكلمة متشاكسون : متشارجون ومتباخرون ، وقد كانت هذه اللفظة مناسبة للسياق القرآني لتؤدي كل هذه المعاني ، حيث مثل الله تعالى الكافر والعابد للأوثان والشياطين لرجال عده ، في أخلاقهم شکاسة ونقص وعدم مسامحة ، فهم لذلك يعذبون ذلك العبد بأنهم يتضايقون في أوقاتهم ، ويضايقون العبد في كثرة العمل فهو أبدا ناصب ، فكذلك عابد الأوثان الذي يعتقد أن ضره ونفعه عندها ، فهو يرضي صنما في زعمه ، ويتذكر كيف يرضي صنمه الآخر فهو أبدا في تعب وفي ضلال .

(متشاكسون : فيه أربعة أوجه :

(1) من سورة الزمر 39 : الآية / 29 .

(2) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي : ج 8 / 164 .

(3) عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ للسمين الحلبي / 274 .

أحدها : متنازعون قاله قتادة . الثاني : مختلفون . الثالث : متعارضون ، الرابع : متظالمون ،
مأخوذه من قوله : شكسي مالي ، أي ظلمي)⁽¹⁾
متشاشون : متضايقون ، والشكس : الضيق من الرجال ، والتشاش : شدة الاختلاف ،
وشدة الاختلاف في الرجل : الاختلاف في استخدامه وتوجيهه .

(وهذه الكلمة تمثيل لحال المشرك في تقسم عقله بين آلهة كثرين ، فهو في حيرة وشك من
رضى بعضهم عنه وغضب بعض ، وفي تردد عبادته إن أرضى بها أحد آلهته ، لعله يغضب بها
ضدده ، فرغباهم مختلف ، وبعض القبائل أولى ببعض الأصنام من بعض ، قال تعالى : ﴿وَلَعَلَّا
بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾⁽²⁾ ويقى هو ضائعا لا يدرى على أيهم يعتمد ، فوهمه شعاع ، وقلبه أوزاع
بحال ملوك اشتراك فيه مالكون ، لا يخلون من أن يكون بينهم اختلاف وتنازع ، فهم
يتعاورونه في مهن شتى ، ويتدافعونه في حواejهم ، فهو حيران في إرضائهم تعان في أداء
حقوقهم لا يستقل لحظة ولا يتمكن من استراحة)⁽³⁾
وهكذا اختار الله لفظة (متشاشون) مناسبة لتوسيع المثل ، ومناسبة لكلمة شركاء .

الكلمة الثامنة : ممنون من قوله تعالى : ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ أَجْرٌ

غير ممنون)⁽⁴⁾

غير ممنون : غير مقطوع ، مأخوذه من منت الحبل إذا قطعه ، وقيل : غير منقوص ، ومنه
المنون لأنها تنقص منه الإنسان أي قوته . وقيل : غير محسوب .

(غير ممنون : غير معدود كما قال تعالى : ﴿يُغَيِّرُ حَسَابِ﴾⁽⁵⁾ ، وقيل : غير
مقطوع ولا منقوص ، ومنه قيل : المنون للمنية لأنها تنقص العدد وتقطع المدد)⁽¹⁾

(1) النكت والعيون للماوردي : ج 5 / 124 .

(2) من سورة المؤمنون 23 : (الآية / 91) .

(3) التحرير والتنوير لابن عاشور : ج 4 / 81 .

(4) من سورة فصلت 41 : (الآية / 8) .

(5) من سورة الزمر 39 : (الآية / 10) .

ومن هنا يتبيّن أنَّ الكلمة (غير منون) لها معانٍ : الأول : غير معدود ولا محسوب ، والثاني : غير منقوص ولا مقطوع . وإذا كان لا ينقص فمن باب أولى لا ينقطع . وهو أيضاً لا يعد ولا يحسب فهو أجر بغير حساب لا يكال ولا يوزن ، إنما يُعرف لهم غرفاً .

ومن المعانٍ لـ الكلمة : غير منون أي غير منون به عليهم ، من المنة . (والمعنى : لا يمْنَن به عليهم فيتکدر بالمنة ، قال : منْ عليه مناً : أَنْعَمْ ، وَمِنْهُ امْتَنْ ، والمنة في الأصل : النعمة الثقيلة التي لا يطلب معطيها أَجْرًا منْ أَعْطَاهَا إِلَيْهِ ثُمَّ استعملت بمعنى الامتنان ، أي عد النعمة وجميع ما يعطيه الله عباده في الآخرة تفضيل منه وكرم ، وليس شيء منه بواجب عند أهل السنة والجماعة ، وما كان بطريق التفضيل وإن صح الامتنان عليه لكنه تعالى لا يفعله مَنْهُ فضلاً منه وكرماً ، أو غير منون بمعنى لا ينقطع أجرهم وثوابهم في الآخرة ، بل دائم أبيدي ، من مننت الحبل قطعه ، أو غير

محسوب كما قال تعالى : ﴿بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾⁽²⁾

(قال السدي : نزلت في الزمْنِ والمرْضِ والهَرْمَى إِذَا ضَعَفُوا عَنِ الطَّاعَةِ كَتَبَ لَهُمْ مِنَ الْأَجْرِ كَأَصْحَاحٍ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ فِيهِ)⁽³⁾

(غير منون : قيل غير منقوص ، وقيل : مقطوع من مننت الحبل أي قطعه ، وقيل : غير منون من المَنْ لأنَّ عطاءَ اللهِ تعالى لا يمْنَنْ به ، إنما يمْنَنُ المخلوق)⁽⁴⁾

وهكذا يتبيّن لنا عظمة وإعجاز ألفاظ القرآن الكريم حيث اللفظة الواحدة تحتمل عدة معانٍ مثل الكلمة : منون ، حيث كان لها معانٌ عدة وكلها مقصودة منها مثل : غير معدود ولا محسوب ، وغير منقوص ، وغير مقطوع ، وغير منون به عليهم ، فما أجمل ألفاظ القرآن! وما أعظم إعجازها وأوضح بيانها ! إنه كلام الله و كفى .

إن هذه اللفظة لتوحي بعظيم الأجر والثواب للمؤمنين يوم القيمة من الله ذي الجلال والإكرام الذي يجازي على الحسنة بعشر أمثالها إلى سبعمائه ضعف ، والله يضاعف لمن يشاء.

(1) مفردات ألفاظ القرآن للراغب الأصفهاني : 778 مادة من .

(2) تنوير الأذهان من تفسير روح البيان للشيخ إسماعيل حقي البروسوي : ج 3 / 448 .

(3) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي : ج 15 / 223 .

(4) الدر المصنون في علوم الكتاب المكتون للسمين الحلبي : ج 9 / 508 .

الكلمة التاسعة : الريحان من قوله تعالى :

﴿ وَالْحَبْ ذُو الْعَصْفِ وَالرَّيْحَانُ ﴾⁽¹⁾

(الريحان هو كل مشموم طيب الريح من النبات ، وعن الحسن أنه قال : هو ريحانكم هذا أي الريحان المعروف ، وعن مجاهد أنه الرزق ، بل قال ابن عباس : كل ريحان في القرآن فهو رزق)⁽²⁾

فالريحان إما أن يكون كل نبات طيب الرائحة ، أو أن يكون مخصوصاً بالريحان المعروف ، أو أن يكون الرزق فيكون عاماً فيطلق الريحان على كل رزق .

(والريحان ذو الرائحة كقوله تعالى : ﴿ فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتُ نَعِيمٍ ﴾⁽³⁾

، وقيل : الريحان الرزق ، وقيل لبعض الأعراب : إلى أين تذهب ؟ فقال : أطلب من ريحان الله أي من رزقه ، وروي : الولد ريحان لأن الولد رزق من الله)⁽⁴⁾

فالريحان الرزق الذي يؤكل ، والعرب تقول : ذهبنا نطلب ريحان الله أي رزق الله .

(فالريحان ماله رائحة ، وقيل : رزق ، ثم يقال للحب المأكول ريحان في قوله : ﴿ وَالْحَبْ ذُو الْعَصْفِ وَالرَّيْحَانُ ﴾⁽⁵⁾

وقيل لأعرابي إلى أي ؟ فقال : أطلب من ريحان الله أي من رزقه)⁽⁶⁾

(وفي الريحان أربعة أقوال : أحدها : أنه الرزق عن ابن عباس .

والثاني : أنه خضرة الزرع ، قال أبو سليمان الدمشقي⁽¹⁾ : فعلى هذا سمي ريحانا لاستراحة النفس بالنظر إليه .

(1) من سورة الرحمن 55 : (الآية / 12).

(2) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثانى للألوسي : ج 27 / 103 .

(3) من سورة الواقعة 56 : (الآية / 89).

(4) عمدة المخاطب في تفسير أشرف الألفاظ للسمين الحلبي : 213 .

(5) من سورة الرحمن 55 : (الآية / 12).

(6) مفردات ألفاظ القرآن للراغب الأصفهاني / 369 ————— 370 .

والثالث : أنه ريحانكم هذا الذي يشم ، عن ابن عباس قال الريحان : ما أنبت الأرض من الريحان .

والرابع : أنه مالم يؤكل من الحب ، والعصف المأكول منه ، حكاية الفراء⁽²⁾ ومن معانى الريحان : خصرة الزرع ، وما لم يؤكل من الحب .

وفي كتاب النكت والعيون ورد : (أن العصف الورق الذي لا يؤكل ، والريحان هو الحب المأكول)⁽³⁾

فالريحان هو الحب المأكول ، أما العصف فهو الورق الذي لا يؤكل أى هو علف البهائم (والريحان ماله رائحة ذكية من الأزهار والخشائش ، وهو فعال من الرائحة ، وإنما سمى به ماله رائحة طيبة ، وهذا اعتبار وامتنان بالنبات المودعة فيه الأطیاب مثل الورد والياسمين ، وما يسمى بالريحان الأخضر)⁽⁴⁾ وهذا التفسير للريحان عام شامل يشمل كل نبت طيب الرائحة .

(والريحان : الرزق عن ابن عباس ومجاهد ، وعن الضحاك أنه الريحان الذي يشم ، وعن ابن عباس أيضا : أنه خصرة الزرع ، وقال سعيد بن جبير : هو ما قام على ساق ، وقال الكلبي⁽⁵⁾ : إن العصف الورق الذي لا يؤكل ، والريحان هو الحب المأكول ، وقيل : الريحان كل بقلة طيبة الريح سميت ريحانا ، لأن الإنسان يراح لها رائحة طيبة أى يشم فهو فعال روحان من الرائحة ، والأصل فيما يتربّك من الراء والواو والحاء : الاهتزاز والحركة ، والريحان: نبت معروف ، والريحان : الرزق)⁽⁶⁾

(1) أبو سليمان الدمشقي : عبد الرحمن بن أبي سليمان بن أبي الجون العنسي أبو سليمان الدمشقي الداراني ، ذكره ابن حبان في الثقات ، مات سنة 112 . تمهيد التهذيب ج 6 / 171 .

(2) زاد المسير في علم التفسير لابن الجوزي : ج 8 / 108 ————— 109 .

(3) للماوردي : ج 5 / 426 .

(4) التحرير والتنوير لابن عاشور : ج 27 / 227 .

(5) الكلبي : إبراهيم بن خالد الكلبي أبو ثور الفقيه صاحب الإمام الشافعى ، قال ابن حبان : كان أحد أئمة الدنيا فقها وعلما وورعا وفضلا ، صنف الكتب وفرّع على السنن . توفي 240هـ ينظر الأعلام : ج 1 / 37 .

(6) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي : ج 9 / 103 .

نصل من هذا النص إلى معانٍ كلمة الريحان : الرزق ، والريحان المعروف ، وحضررة الزرع ، والحب المأكول وما قام على ساق ، وكل ما له اهتزاز وحركة .

يؤكد هذه المعانٍ ما جاء في تفسير الطبرى : فإن أهل التأويل اختلفوا في تأويله ، فقال بعضهم : هو الرزق عن ابن عباس ، قال : كل ريحان في القرآن فهو رزق ، وقال آخرون : هو الريحان الذي يشم ، عن ابن عباس قال : الريحان ما تنبت الأرض من الريحان .

وقال آخرون : هو حضررة الزرع ، عن ابن عباس قال : الريحان هو حضررة الزرع ، وقال آخرون : هو ما قام على ساق ، عن سعيد قال : الريحان هو ما قام على ساق ⁽¹⁾ وهكذا كانت لفظة الريحان لها دلالات كثيرة ومعانٍ متعددة كلها تنطبق على الآية

الـكـرـيمـةـ : ﴿ وَالْحَبْ ذُو الْعَصْفِ وَالْرَّيْحَانُ ﴾⁽²⁾ **فـمـاـأـجـمـلـأـلـفـاظـالـقـرـآنـالـكـرـيمـ !** وما أروعها ! وما أوسع معانيها !

الكلمة العاشرة : وطنا من قوله تعالى :

﴿ إِنَّ نَاسِئَةَ الَّيْلِ هِيَ أَشَدُ وَطَأً وَأَقْوَمُ فِي لَأَنَّمَا

كلمة وطنا لها أكثر من معنى : ثقلاء ، مهادا ، نشاطا ، ثباتا ، وقعا ، موافقة .

(المواطأة) : الموافقة وأصله أن يطأ الرجل برجله موطئ صاحبه ، قال الله عز وجل : ﴿ إِنَّمَا

اللَّسِيَّةُ زِيَادَةٌ فِي الْكُفَرِ يُضَلُّ بِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا يُحَلُّونَهُ عَامًا وَيُحَرِّمُونَهُ عَامًا لَيُوَاطِئُوا

عِدَّةَ مَا حَرَمَ اللَّهُ فَيُحَلُّوا مَا حَرَمَ اللَّهُ ﴾⁽³⁾

(هي أشد وطنا :قرأ ابن عامر ⁽¹⁾ وأبو عمرو ⁽²⁾ { وطاء } بكسر الواو مع المد ، وهو مصدر واطأت فلانا على كذا مواطأة ووطاء ، وأراد أن القراءة في الليل يتواتأ فيها قلب المصلي

(1) تفسير الطبرى : ج 11 / 580

(2) من سورة المزمل 73 : (الآية / 6) .

(3) من سورة التوبه 9 : (الآية / 37) .

(4) مفردات ألفاظ القرآن للراغب الأصفهانى : 875 مادة وطأ .

ولسانه وسمعه على التفهم للقرآن والإحكام لتأويله . ومنه قوله تعالى : { لِيُوَاطِئُوا
عِدَّةً مَا حَرَمَ اللَّهُ } وقرأ الباقيون { وَطْنًا } بفتح الواو مع القصر ، والمعنى : إنه أتقل على المصلي من ساعات النهار من قول العرب : اشتدت على القوم وطأة السلطان إذا ثقل عليهم ما يلزموهم ، ومنه قول النبي

صلى الله عليه وسلم : { اللهم اشدد وطأتك على مضر }⁽³⁾⁽⁴⁾ من هنا نجد فرقا في المعنى بسبب اختلاف القراءة في الكلمة ، فوطأه معناها موافقة ، ووطأه معناها ثقلا .

(أشد وطئا يواطئ بسمعه وقلبه من المواطأة ، لأن القراءة بعد هدي من الليل أفهم له)
وقال بعضهم : أشد ركوبا لأن كل شيء تعمله بالليل من سير أو صلاة فهو أشد⁽⁵⁾
(قرأ أبو عمرو وابن عامر بكسر الواو وفتح الطاء والمد ، وقرأ الباقيون بفتح الواو وإسكان الطاء من غير مد ، وكلهم همز ، وحجة من مده أنه جعله مصدر واطأ وطاء ، على معنى أشد موافقة من السمع للقلب ، وقال الفراء في معنى هذه القراءة : هي أشد علاجا فهي أعظم أجرا لصعوبة مفارقة الراحة بالنوم . وحجة من لم يمده أنه جعله مصدر وطئ يطأ وطئا : على معنى هي أشد على الإنسان من القيام بالنهار ، لأن الليل للدعة والسكون ، وهذا في المعنى كقول الفراء في القراءة الأولى ، وقيل معناه : هي أثبت قياما .

(1) ابن عامر : عبد الله بن عامر الشامي يكنى أبا عمرو ، ولد 80هـ ، توفي 118هـ من التابعين من علماء الطبقة الثالثة ، أشهر تلامذته هشام وابن ذكوان ، ينظر القراءات وأثرها في علوم العربية / 61 .

(2) أبو عمرو : زبان بن العلاء بن عمار المازني التميمي ، أعلم الناس بالقرآن والعربية مع الصدق والثقة والأمانة والدين ، ولد سنة 68هـ ، وتوفي 154هـ ، أشهر تلامذته الدورى والسوسي .

(3) رواه البخاري : كتاب الأذان باب 128 يهوي بالتكبير حين يسجد ، ح 290 رقم الحديث : 804 .

(4) زاد المسير في علم التفسير لابن الجوزي : ح 8/391 .

(5) غريب القرآن وتفسيره لأبي عبد الرحمن عبد الله اليزيدي : 395 ————— 396

قال المفسرون : قيام الليل أثبتت في الخير وأحفظت للقلب من قيام النهار ، لأن النهار يضطرب فيه الناس بمعايشهم ، والليل أخلٍ للقلب وأثبتت في القيام . وكثير من المفسرين على أن معنى : (أشد وطئا) أشد مكابدة واحتمالا⁽¹⁾

فقيام الليل أشد وطئا من قيام النهار ، فالليل محل استراحة ، وقيامه أشد على الإنسان ، وأبلغ في الثواب ، وأبلغ في القيام وأوطأ للقائم ، أي أشد موافقة حيث يوافق القلب فيها اللسان لأن الليل أفرغ من الشغل منه في النهار .

(وقيل : المعنى أشد مهادا للتصرف في التفكير والتدبر ، والوطاء خلاف الغطاء ، وقيل : أشد وطئا بسكون الطاء وفتح الواو أي أشد ثباتا من النهار ، فإن الليل يخلو فيه الإنسان بما يعمله ، فيكون ذلك أثبت للعمل وأنفٍ لما يلهمي ويشغل القلب ، والوطاء : الثبات ، تقول : وطئت الأرض بقدمي . قال الفراء : أثبت قراءة وقياما ، وعنده : أشد وطئا أي أثبت للعمل وأدوم لمن أراد الاستكثار من العبادة ، والليل وقت فراغ عن اشتغال المعاش ، فعبادته تدوم ولا تنقطع ، وقيل : أشد وطئا أي أشد نشاطا للمصلبي لأنه في زمان راحته . وقيل : أي نشاطا للمصلبي وأخف وأثبت لقراءة⁽²⁾)

(أشد وطئا : ناشئة الليل أشد ثباتا من النهار وأثبتت في القلب ، وذلك أن العمل بالليل أثبت منه بالنهار ، عن قتادة : أي أثبت في الخير وأحفظ في الحفظ .

والضحاك يقول : قراءة القرآن بالليل أثبت منه بالنهار وأشد مواطأة بالليل منه بالنهار . وعن مجاهد قال : أن تواتط قلبك وسمعك وبصرك⁽³⁾

وهكذا يتبيّن لنا أن من معاني الكلمة وطئا : ثباتا . (والوطاء أصله : وضع الرجل على الأرض ، وهو هنا مستعار لمعنى يناسب أن يكون شأنًا للظلم بالليل ، فيحوز أن يكون الوطاء استعير لفعل من أفعال المصلبي على نحو إسناد المصدر إلى فاعله أي واطئا أنت ، فهو مستعار لتمكن المصلبي من الصلاة في الليل بتفرغه لها وهدوء بالله من الأشغال النهارية تمكن الواطئ على الأرض فهو أمكن للفعل ، والمعنى أشد وقعا ، وبهذا فسره الضحاك والفراء .

. 345————— 344 / ج 2 (الكشف عن وجوه القراءات السبع لمكي بن حوش القيسي الأندلسي :)

. 28 / ج 19 (الجامع لأحكام القرآن للقرطبي :)

. 284————— 283 / ج 12 (تفسير الطبرى :)

ويجوز أن يكون الوطء مستعرا لحالة صلاة الليل وأثرها في المصلي ، أي أشد أثر خير في نفسه وأرسخ خيرا وثوابا ، وبهذا فسره قتادة .

والوطاء : الوفاق والملاءمة ، والمعنى أن صلاة الليل أوفق بالمصلبي بين اللسان والقلب ، أي بين النطق بالألفاظ وتفهم معانيها للهدوء الذي يحصل في الليل وانقطاع الشواغل وبهذا فسره مجاهد⁽¹⁾

وهذا هو السر الإلهي في ألفاظ القرآن : فلفظة وطئا أعطت هذه المعاني الرائعة ، ولذلك قال

الله : ﴿كَتَبْ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكُ مُبَرَّكٌ لِيَبْرُأُ مَا يَنْتَهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُوا الْأَلْبَابِ﴾⁽²⁾ ، فطريق الوصول إلى هذه المعاني والأسرار للفظة الواحدة هو طريق التدبر لآيات الله .

الفصل الثاني

(الأفعال)

وفيه مباحث :

المبحث الأول : ما يحتمل معنيين .

(1) التحرير والتنوير لابن عاشور : ج 29 / 245 .

(2) من سورة ص 38 : الآية / 29 .

المبحث الثاني : ما يحتمل ثلاثة معانٍ .

المبحث الثالث : ما يحتمل أكثر من ثلاثة معانٍ .

الفصل الثاني (الأفعال)

المبحث الأول : ما يحتمل معانيين

الكلمة الأولى : يوقنون من قوله تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُوَ يُوقِنُونَ ﴾⁽¹⁾ أي يؤمنون بالآخرة إيماناً يقينياً ، أي تصديقاً حازماً لا يداخله شك (واليقين

من صفة العلم فوق المعرفة والدراءة وأخواتها ، يقال : علم يقين ولا يقال : معرفة يقين ، وهو سكون الفهم مع ثبات الحكمة ، وكم ، وقال :

﴿ عِلْمَ الْيَقِينِ ﴾⁽²⁾ و ﴿ عَيْنَ الْيَقِينِ ﴾⁽³⁾ و ﴿ حَقُّ الْيَقِينِ ﴾⁽⁴⁾ وبينهما فروق ، يقال :

(1) من سورة البقرة 2 : الآية / 4 .

(2) من سورة التكاثر 102 : الآية / 5 .

(3) من سورة التكاثر 102 : الآية / 7 .

(4) من سورة الواقعة 56 : الآية / 95 .

استيقن وأيقن ، قال تعالى: ﴿إِنَّ نَّفْسًا إِلَّا ذَنَّا وَمَا نَحْنُ بِمُسْتَعِنِينَ﴾⁽¹⁾، ﴿وَفِي الْأَرْضِ أَيَّتٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾⁽²⁾

﴿لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾⁽³⁾ ﴿⁽⁴⁾

لم يقل الله : وبالآخرة هم يؤمنون ، بل قال : يوقنون ليفيد أعلى درجات الإيمان والتصديق ، مع أن الآخرة أمر غيبي وهم مع ذلك قد صدقوا وآمنوا ولم يخالجهم في ذلك أدنى شك أو ارتياط .

(يقن : قوله تعالى : ﴿ثُمَّ لَتَرَوْنَهَا عَيْنَ الْيَقِين﴾⁽⁵⁾ أي الأمر الثابت الذي لا شك يخالجه ، واليقين هو سكون الفهم مع ثبات الحكم ، وأصله من يقن الماء أي ثبت وسكن ، قال بعضهم : اليقين من صفة العلم فوق المعرفة والدراربة وأنحوها ، يقال : علم يقين ولا يقال معرفة يقين ، ويقال : علم اليقين ، عين اليقين ، حق اليقين ، وبينهما فرق ، فال الأول أدناها ، والثاني

أعلاها ، والثالث : بينهما ، وفيها أقوال غير ذلك ، وقوله تعالى : ﴿وَأَسْتَيْقِنْتَهَا أَنْفُسُهُمْ﴾⁽⁶⁾

أي تيقنتها ، يقال : أيقن الرجل ويقن وتيقن واستيقن ، وقوله تعالى : ﴿قَدْ بَيَّنَاهُ أَلَا يَكُونَ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾⁽⁷⁾ وقوله تعالى : ﴿حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ﴾⁽⁸⁾ أي الحق الذي

وعدك الله من نصره لك ولدينه ، وقيل : اليقين هنا الموت ولا شك أن الموت فرد من أفراده ،

قوله تعالى : ﴿وَمَا قَاتَلُوهُ يَقِينًا﴾⁽⁹⁾ إنما حكموا بذلك تخمينا وتوهمها⁽¹⁰⁾

(1) من سورة الجاثية 45 : (الآية / 32) .

(2) من سورة الذاريات 51 : (الآية / 20) .

(3) من سورة البقرة 2 : (الآية / 118) .

(4) مفردات ألفاظ القرآن للراغب الأصفهاني : 892 ————— 893 .

(5) من سورة التكاثر 102 : (الآية / 7) .

(6) من سورة النمل 27 : (الآية / 14) .

(7) من سورة البقرة 2 : (الآية / 118) .

(8) من سورة الحجر 15 : (الآية / 99) .

(9) من سورة النساء 4 : (الآية / 157) .

(10) عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ للسمين الحلبي / 650 .

إذن الفعل يوقنون معناه : يؤمنون ويصدقون تصديقاً جازماً بالحق الذي وعدهم الله إياه من أمور الآخرة ويثبتون ويسكنون على ذلك ، فهم في أعلى درجات التصديق والإيمان والثبات والفهم.

والبيين أعلى درجات العلم وهو الذي لا يمكن أن يدخله شك بوجهه ، فيوقنون معناه : يعلمون علماً متمكنًا في نفوسهم . ليس فقط يعلمون وإنما وصلوا أعلى درجات العلم حيث ثبت واستقر في نفوسهم فأصبح يقيناً .

(يوقنون من الإيقان وهو العلم ، والمعنى يستيقنون ويعلمون أنها كائنة)⁽¹⁾

فالبيين عكس الشك والارتياح والشبهة (هُوَ يُوقِنُ : الإيقان : إتقان العلم بالشيء بنفي الشك والشبهة عنه نظراً واستدلاً أي يعلمون علماً قطعياً ، مزيحاً ما كان أهل الكتاب عليه من الشكوك والأوهام التي من جملتها زعمهم أن التلذذ بالمطاعم والمشارب والمناكح ، إنما احتاج إليه في هذه الدار من أجل نماء الأجسام ولمكان التوالي والتناسل ، وأهل الجنة مستغنو عنه فلا يتلذذون إلا بالنسائم والأرواح العبة والفرح والسرور .

ثم ثمرة اليقين بالآخرة : الاستعداد لها ، فقد قيل : عشرة من المغوروين : من أيقن أن الله خالقه ولا يعبد ، ومن أيقن أن الله رازقه ولا يطمئن به ، ومن أيقن أن الدنيا زائلة ويعتمد عليها ، ومن أيقن أن الوراثة أعداؤه ويجتمع لهم ، ومن أيقن أن الموت آت فلا يستعد له ، ومن أيقن أن القبر منزله فلا يعمره ، ومن أيقن أن الديان يحاسبه فلا يصحح حجته ، ومن أيقن أن الصراط مم्रٍّ فلا يخفف ثقله ، ومن أيقن أن النار دار الفجار فلا يهرب منها ،
ومن أيقن أن الجنة دار الأبرار فلا يعمل لها)⁽²⁾

قال الله تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ إِمَّا أُنْزَلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزَلَ مِنْ قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُوَ يُوقِنُونَ ﴾⁽³⁾

(وغيره سبحانه بين الإيمان بالمنزل والإيمان بالآخرة فلم يقل : وبالآخرة هم يؤمنون ، دفعاً لكثرة التكرار أو لكتلة غرائب متعلقات الآخرة وما أعد فيها من الثواب والعقاب وتفصيل أنواع التنعيم والتعذيب ، ونشأة أصحابهما على خلاف النشأة الدنيوية ، مع إثبات المعاد الجسماني

(1) تفسير الخازن : ج 1/24

(2) تنوير الأذهان من تفسير روح البيان للشيخ إسماعيل حقي البروسوي: ج 1/27 .

(3) من سورة البقرة 2 : الآية / 4 .

كيفما كان إلى غير ذلك مما هو أغرب من الإيمان بالكتاب المنزلي حتى أنكره كثير من الناس
(¹)

ولذلك ناسب الفعل يوقنون لأمور الآخرة من الفعل يؤمنون أو يعلمون لأن اليقين هو العلم
بالشيء عن نظر واستدلال أو بعد شك سابق ، ولا يكون شك إلا في أمر ذي نظر فيكون أخص
من الإيمان ومن العلم . (فالتعبير عن إيمانهم بالأخرفة بمادة الإيقان لأن هذه المادة تشعر بأنه علم
حاصل عن تأمل وغوص الفكر في طريق الاستدلال لأن الآخرة لما كانت حياة غائبة عن
الشاهد ، غريبة بحسب المتعارف ، وقد كثرت الشبه التي جرّت المشركيين والدهريين على نفيها
وإحالتها كان الإيمان بها جديراً بمادة الإيقان بناء على أنه أخص من الإيمان فلإيشار (يوقنون) هنا
خصوصية مناسبة لبلاغة القرآن)
(²)

الكلمة الثانية : ختم . من قوله تعالى :

(³) خَتَمَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ وَعَلَىٰ أَبْصَرِهِمْ غَشْوَةٌ ﴿١﴾

الختم هو الطبع . ومنه ختم الكتاب (والختم والطبع يقالان على وجهين أحدهما : أنهما
مصدران لختم وطبع وهو تأثير الشيء بنقش الخاتم والطبع ، والثاني : الأثر الحاصل على الشيء
ثم إنه يتتجاوز بذلك تارة عن الاستئناف من الشيء والمنع منه اعتباراً بما يحصل من المنع بالختم على
الكتب والأبواب نحو قوله : (خَتَمَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ) وтارة عن تحصيل أثر عن شيء اعتباراً
بنقش الحاصل وتارة يعتبر منه بلوغ الأمر ومنه ختم القرآن أي بلغت
آخره ، وقيل في قوله : (خَتَمَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ) إشارة إلى ما جرت به العادة من أن الإنسان
إذا تناهى في اعتقاد باطل وارتكاب محظوظ فلا يكون منه تلتفت بوجهه إلى الحق يورثه ذلك هيبة

(1) روح المعاني للألوسي : ج 1 / 122 . 123

(2) التحرير والتنوير لابن عاشور : ج 1 / 237.

(3) من سورة البقرة 2 : الآية / 7 .

ثمرته على استحسان المعاشي فكأنما ختم بذلك على قلبه وعليه : ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ﴾⁽¹⁾

من هنا نصل إلى معانٍ للفعل ختم : الطبع والتآثير على الشيء والمنع فعندما يطبع على القلب ويختتم عليه ، يمنع عنه النور فلا يصل إليه أبداً ، بسبب الذنوب والمعاقي ، والمعنى الثاني بلوغ الأمر وفعلا الكافر بكفره بلغ الغاية في الشر فطبع الله على قلبه وختمه فحرم من النور والخير . وأصل الختم الطبع ، والخاتم هو الطابع يقال منه : ختمت الكتاب إذا طبعته .

(فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ : وَكَيْفَ يَخْتِمُ عَلَى الْقُلُوبِ ، وَإِنَّمَا الْخِتَمَ طَبَعٌ عَلَى الْأَوْعِيَةِ وَالظَّرَوفِ وَالْغَلْفِ ؟

قيل : فإن قلوب العباد أووعية لما أودعت من العلوم ، وظروف لما جعل فيها من المعارف بالأمور ، فمعنى الختم عليها وعلى الأسماع نظير معنى الختم على سائر الأوعية والظروف . قال مجاهد : نبأ أن الذنوب على القلب تحف به من نواحيه حتى تلتقي عليه ، فاللتقاء لها عليه الطبع ، والطبع والختم .

وقال أيضاً : الران أيسر من الطبع ، والطبع أيسر من الأفعال . والأفعال أشد ذلك كلـه . عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ((إن المؤمن إذا أذنب ذنباً كانت نكتة سوداء في قلبه ، فإن تاب ونزع واستغفر ، صقلت قلبه ، فإن زاد زادت حتى تغلق

قلبه ، فذلك الران الذي

قال الله جل ثناؤه : ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾⁽²⁾

⁽³⁾ فأخبر صلى الله عليه وسلم أن الذنوب إذا

(1) من سورة محمد 47 : الآية / 16 .

(2) عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ للسمين الحلبي / 151 .

(3) من سورة المطففين 83 : الآية / 14 .

تابعت على القلوب أغلاقتها ، وإذا أغلاقتها أتاهما حينئذ الختم من قبل الله عز وجل والطبع ، فلا يكون للإيمان إليها مسلك ، ولا للكفر منها مخلص فذلك هو الطبع والختم الذي ذكره الله تعالى

في قوله : ﴿خَتَمَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ﴾⁽²⁾ إذن كثرة الذنوب تغلق القلوب وهذا الغلق هو الختم والطبع . طبع الله عليها أي أغلق عليها وأغلاقها فليست تعي خيرا ولا تسمعه ، وأصل هذا أن كل شيء ختمته فقد سددها وربطها .

(والختم حقيقته السد على الإناء والغلق على الكتاب بطين ، مع وضع عالمة مرسومة في خاتم ليمنع ذلك من فتح المختوم ، فإذا فتح علم صاحبه أنه فتح لفساد يظهر في أثر النقش ، وأما تسمية البلوغ لآخر الشيء ختما فلأن ذلك الموضع أو ذلك الوقت هو ظرف وضع الختم فيسمى له مجازا ، والخاتم الطين الموضوع على المكان المختوم ، وطين الختم طين خاص يشبه الجبس يبل بماء ومحوه ، ويشد على الموضع المختوم فإذا جف كان قوي الشد لا يقلع بسهولة وهو يكون قطعا صغيرة كل قطعة بمقدار مضاغة ، والختم في اصطلاح الشرع استمرار الضلال في نفس الضال أو خلق الضلال ومثله الطبع والأكنة)⁽³⁾

فلم يقل الله أغلق أو أقفل الله قلوبهم بل قال جل جلاله : ﴿خَتَمَ﴾ ليؤدي معان كثيرة منها : الإغلاق والإफال والمنع . والسد ، وبلغ آخر الشيء حيث أن عملية الطبع والختم لا تكون إلا إذا مليء القلب معاصٍ ولم يستغفر منها .

الكلمة الثالثة : (يعدهم) من قوله تعالى :

﴿وَيَعِدُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾⁽⁴⁾

(1) رواه ابن ماجه : كتاب الزهد باب ذكر الذنوب / 29 ، ج 2 رقم الحديث 4244 قال الألباني : حسن ، ورواه الترمذى : 3334 (5 / 434) وقال حديث حسن صحيح وقال الألباني : حسن ، ورواه ابن حبان : 930 (3 / 210) قال شعيب : إسناده حسن .

(2) تفسير الطبرى : ج 1 / 145 - 146 .

(3) التحرير والتنوير لابن عاشور : ج 1 / 251 .

(4) من سورة البقرة 2 : (الآية / 15) .

يعدهم أي يمهد لهم ويطيل لهم والله يمهد ولا يهمل . وهذا الإمهال ليس في صالحهم قال الله تعالى :

⁽¹⁾ ﴿ سَنَسْتَدِرُ جُهَّهُمْ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ ٤٤ ﴿ وَأَتَلَى لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ ﴾ ٤٥ ﴿ وَقَالَ جَلَّ

⁽²⁾ شأنه : ﴿ وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخْذَ الْقُرَى وَهِيَ ظَلَمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ ﴾ ١٠٣

(مدّ) الميم والدال أصل واحد يدل على جرّ شيء في طول ، واتصال شيء بشيء في استطاله ، تقول : مددت الشيء أمدده مدّا ، ومد النهر ومدّه نهر آخر أي زاد فيه وواصله فأطال

⁽³⁾ مدتـه) .

فالفعل مدّ يتضمن معنيين : الجرّ والاتصال في استطاله .

(أصل المد) : الجر ومنه المدة للوقت المستند ، ومدة الجرح ، ومدة النهر ومدّه نهر آخر ،

⁽⁴⁾ ومددت عيني إلى كذا ، قال تعالى : ﴿ وَلَا تَمْدَنَ عَيْنَيَكَ ﴾ ، ومددته في غيه ، ومددت

الإبل : سقيتها المديد وهو بزر ودقيق يخلطان بماء ، وأمددت الجيش بمدد والإنسان بطعام ، قال

⁽⁵⁾ تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى رَبِّكَ كَيْفَ مَدَ الظِّلَّ ﴾ وأكثر ما جاء الإمداد في الحبوب ، والمدّ في

⁽⁶⁾ المكرور نحو : ﴿ وَأَمْدَدْنَاهُمْ بِفَكِهٍ وَلَحْمٍ مِمَّا يَشْهُونَ ﴾ ٢٢ ﴿ وَيُمَدِّدُكُمْ بِأَمْوَالٍ وَنِينَ ﴾

وَنَمْدُلُهُمْ مِنَ

⁽⁷⁾ ⁽⁸⁾ ﴿ الْعَذَابُ مَدَّا ﴾ ٧٩

(1) من سورة القلم 68 : (الآيات 44-45) .

(2) من سورة هود 11 : (الآية / 102) .

(3) معجم مقاييس اللغة لابن فارس : ج 3 / 269 .

(4) من سورة طه 20 : (الآية / 131) .

(5) من سورة الفرقان 25 : (الآية / 45) .

(6) من سورة الطور 52 : (الآية / 22) .

(7) من سورة نوح 71 : (الآية / 12) .

(8) من سورة مريم 19 : (الآية / 79) .

(9) مفردات ألفاظ القرآن للراغب الأصفهاني / 763 .

فيتمده أي يتركم ويطيل لهم في أعمارهم وأصله : الزيادة ، فهم فعلاً في جرٌّ واتصال حيث أن الله يغدق عليهم النعم فيظنون أنهم على صواب فيجرون إلى الكفر والمعاصي حيث يزين لهم

الشيطان أعم **لَهُمْ أَشَيْطَلُنُ أَعْمَلَهُمْ**

فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَكَانُوا مُسْتَبْصِرِينَ (٢٨) ^(١) ويكونون في اتصال دائم في معاصيهم من معصية إلى أخرى وفوق ذلك يحسبون أن توالي النعم عليهم دليل محبة الله لهم ، قال الله تعالى :

أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا تُمَدُّهُمْ بِهِ مِنْ تَمَالٍ وَبَيْنَنَ (٥٥) **سَارِعُهُمْ فِي الْخَيْرَاتِ** بَلْ لَا يَشْعُرُونَ (٢) وقال جل شأنه :

فَإِنَّمَا إِلَّا إِنْسَنٌ إِذَا مَا أَبْنَلَهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَمَهُ فَيَقُولُ رَبِّنِ أَكْرَمَنِ (٣) بل يصل به الطمع إلى أن يكون يوم القيمة مرضيا ، قال جل شأنه :

وَلَئِنْ رُدِدتُّ إِلَى رَبِّي لَأَجِدَنَ خَيْرًا (٤)

فالله عز وجل يملي للكافر والمنافقين والعصاة الجرميين ويعهلهم بأن يزيد لهم النعم والمنع الدنيوية ويمكن لهم فيحسبون أنهم يحسنون صنعا ، قال الله تعالى :

قُلْ هَلْ نُنَيِّكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَلَأَلَّا (١٠٣) **الَّذِينَ ضَلَّ سَعِيهِمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ** (١٠٤) **صُنْعًا**

(يمدهم : يعني يزيدتهم على وجه الإملاء والترك لهم في عتواهم وتمردتهم كما وصف ربنا أنه فعل بنظرائهم في قوله :

وَنَقْلِبُ أَفَعَدَهُمْ وَأَبْصَرَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَذَرُهُمْ فِي (٦)

طَغَيْنِهِمْ يَعْمَهُونَ (١١٠)

يعني نذرهم ونتركهم فيه وغلي لهم ليزدادوا إثما إلى إثمهم)

(١) من سورة العنكبوت 29 : (الآية / 38) .

(٢) من سورة المؤمنون 23 : (الآيات 55 - 56) .

(٣) من سورة الفجر 89 : (الآية / 15) .

(٤) من سورة الكهف 18 : (الآية / 36) .

(٥) من سورة الكهف 18 : (الآيات 103 - 104) .

(٦) من سورة الأنعام 6 : (الآية / 110) .

(٧) تفسير الطبرى : ج 1 / 169 .

فالمدُّ هو الزيادة والإملاء والترك لهم فلا يصابون بعذاب أو عقوبات تکفر عنهم الذنوب أو تخفف عنهم عقوبة الآخرة .

(والمدُّ من مدَّ الجيش وأمده بمعنى : أي الحق به ما يقويه ويکثره ، وقيل : مدَّ زاد ، وللكلمة معنى آخر هو : الإمهال ، وفي الصاحح : مد الله في عمره ومده في غيه : أمده وطول له ، وروي عن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه : أن مدَّ الله تعالى في طغيانهم : التمكين من العصيان)⁽¹⁾ .

وهكذا نجد أن لكلمة المد أكثر من معنى : الزيادة والإملاء ، والمعنى الثاني : الترك والإمهال .

ولذلك قال الله : (ويمدهم) والمدد أصله الزيادة ، أي يزيدهم نعما حتى يغرقوا في النعيم ويأمنوا مكر الله ، ولا يأمن مكر الله إلا القوم الخاسرون ، والمعنى الثاني : الإمهال والترك والإملاء حتى يزيدهم ضلالا إلى ضلالهم .

الكلمة الرابعة : يعمهون من قوله تعالى :

⁽²⁾ ﴿ وَيَمْدُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴾

العمه : التردد في الأمر من التحير لا يدرى أين يتوجه . والمقصود به عمى البصيرة وهو القلب .

(ومعنى التحير في الطغيان أنهم ليسوا على بصيرة مما هم عليه ، وإن كانوا متوجلين فيه)⁽³⁾ محسنين له (

(1) روح المعاني للألوسي : ج 1 / 159 .

(2) من سورة البقرة 2 : (الآية / 15)

(3) عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ للسمين الحلبي / 383 .

يعمهون : يتددون يتحيرون ولا يصرون طريقهم من العمى . والعمى في العين والعمه في

اللة **﴿فَإِنَّهَا لَا لِبٌ﴾** ، وفي التنزيل :

(¹) **تَعْمَى الْأَبْصَرُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ**

(يعمهون بمعنى : يتحirون يقال : رجل عمه وعامه أي متثير ، وقال ابن قتيبة : يعمهون :

(²) **يَرْكَبُونَ رُؤُوسَهُمْ فَلَا يَصْرُوْنَ**

من هذا النص يتبيّن معنيان لكلمة : يعمهون : يركبون رؤوسهم فلا يصرون بسبب العناد

والجهل والضلال المسيطر على قلوبهم ، كما قال تعالى : **﴿أَفَمَنْ يَمْشِي مُكَبَّاً عَلَى وَجْهِهِ أَهْدَى**

(³) **أَمَّنْ يَمْشِي سَوِيًّا عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ** والمعنى الثاني : يتحيرون ويتددون.

(يعمهون : يعمهون عن رشدتهم فلا يصرونـه ، لأنـ من عـمه عن الشـيء كـمن كـمه عـنه

(⁴) ، والكمـه هو العمـى .

(والعمـه فيها ضـلال وطـغيـان وغـفلـة وسـكـر وعمـى بصـيرـة كـأنـه قـرـيب من العمـى ، وـمعـنى

﴿فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ في ضـلامـهم وكـفرـهم الذـي غـمـرـهم دـنسـه وـعلاـهم رـجـسـه ،

(⁵) يتـددـون حـيـارـى ضـلاـلا لا يـجدـون إـلـى المـخـرـج مـنـه سـبـيلاـ)

إـذـن بـسـبـب الضـلال وـالـطـغيـان يـكونـ العمـه . وـهـو عمـى البـصـيرـة .

(كلمة العمـه فقد وردـت مـنـها صـيـغـة الفـعـل المـضـارـع : يـعمـهـون ، وـقـد وـرـدـت يـعمـهـون سـبعـ

مرـاتـ، وـمـعـظـم المرـاتـ مـسـبـوـقة بالـطـغيـان **﴿فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ** وـمعـنى العمـه : هو التـرـدد في الأمرـ منـ التـحـيرـ .

(1) من سورة الحج 22 : (الآية / 46) .

(2) زاد المسير في علم التفسير لابن الجوزي : ج 1 / 36 - 37 .

(3) من سورة الملك 67 : (الآية / 22) .

(4) النكت والعيون للماوردي : ج 1 / 78 .

(5) الإعجاز البياني للقرآن د . عائشة عبد الرحمن / 581 .

والتردد والتحير يصيب القلب والعقل والفكر والتصور ، وهذا لا ينطوي إذا قلنا : إن العمه هو عمي القلب وتكمم فيه الخطورة البالغة على صاحبه ، لأن الإنسان يمكنه أن يعيش مع العمى وفقدان البصر ، وقد يكون الأعمى صالحًا فيفوز بالجنة في الآخرة .

أما إذا أصيب الإنسان بالعمى وعمي قلبه فقد بصيرته ، ووقع في التردد والخيرة والضلال، فهذا

(١) هو الضلال والخسران المبين)

لأن عمي البصر ابتلاء واختبار من الله فمن نجح في هذا الابلاء رفعه الله درجات وكفر عنه سيئات ، أما عمي البصيرة فهي عقوبة من الله على شدة الضلال وكثرة الطغيان ، فلا يرى الحق حقا ، ولا يرى الباطل باطلًا نعوذ بالله من الضلال .

الكلمة الخامسة : نقدس من قوله تعالى :

﴿ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ﴾^(٢)

التقديس لغة : التطهير . (نقدس لك : أي نصفك بالقدس وهو التطهير والتنزيه ما يليق . فحالاته وصفاته عكس ما فعله بعض جهله ببني آدم حسبما وصفوه به من اتخاذ الولد والزوجة والحلول والاتحاد والجسم والتحيز تعالى عما يقول الظالمون علواً كبيراً . وقيل : المعنى نصفك بالقدس حيث يقولون سبواً قدوس رب الملائكة والروح وقيل : نظهر لك الأشياء)^(٣) فكلمة نقدس لها معنيان : نظهر لك الأشياء ، والمعنى الثاني : نصفك بالقدس أي بالتطهير . والتقديس إما بالفعل وإما بالاعتقاد ، وفعل قدس يتعدى بنفسه فالإتيان باللام مع مفعوله في الآية لإفادة تأكيد حصول الفعل نحو شكرت لك ونصحت لك .

(١) لطائف قرآنية د . صلاح عبد الفتاح الخالدي دار القلم دمشق ط 1412 هـ / 95 - 96 .

(٢) من سورة البقرة 2 : (الآية / 30) .

(٣) عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ للسمين الحلبي / 445 .

والتقديس هو التطهير والتعظيم ومنه قوله : سبوح قدوس أي طهارة له وتعظيم ، فمعنى :
 ﴿ وَنَقْدِسُ لَكَ ﴾ ننسبك إلى ما هو من صفاتك من الطهارة من الأذناس وما أضاف إليك أهل الكفر بك . وقد قيل : إن تقدير الملائكة لربها صلاتها له . والصلاحة تعظيم وتقدير وتطهير مما ينسبة إليه أهل الكفر به سبحانه .

(ونقدس لك) : أصل التقديس التطهير أي نظرك عن النعائص وكل سوء ونصفك بما

⁽¹⁾ يليق بعزك وجلالك من العلو والعظمة ، وقيل معناه : نظرك أنفسنا لطاعتك وعبادتك)
 نخلص من هذا النص إلى معاني الكلمة : (نقدس) نظرك عما لا يليق بك من النعائص ،
 ونصفك بالتقديس أي التطهير والتعظيم . وكلا المعنين مرادان من الله عز وجل فسبحان الحكيم
 العليم ما أعظم بيان القرآن ! وما أروع ألفاظه !

الكلمة السادسة : اهبطوا من قوله تعالى :

﴿ قُلْنَا أَهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا ﴾⁽²⁾

(الهبوط) الانحدار على سبيل القدرة كهبوط الحجر ، وإذا استعمل في الإنسان الهبوط فعلى سبيل الاستخفاف بخلاف الإنزال ، فإن الإنزال ذكره تعالى في الأشياء التي نبه على شرفها ، كإنزال الملائكة والقرآن والمطر وغير ذلك ، والهبوط حيث ذكر نبه على الغضّ نحو ﴿ وَقُلْنَا أَهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِيَعْصِي عَدُوٌّ ﴾⁽³⁾ ﴿ فَأَهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَنْ تَتَكَبَّرَ فِيهَا ﴾⁽⁴⁾ ﴿ أَهْبِطُوا مِصْرًا فَإِنَّ لَكُمْ سَأْلَمْ ﴾⁽⁵⁾ وليس في قوله : ﴿ فَإِنَّ لَكُمْ سَأْلَمْ ﴾ تعظيم وتشريف
 إلا أن _____ روى أن _____ه تعالى

(1) تفسير الخازن : ج 1 / 40 .

(2) من سورة البقرة 2 : (الآية / 38) .

(3) من سورة البقرة 2 : (الآية / 36) .

(4) من سورة الأعراف 7 : (الآية / 13) .

(5) من سورة البقرة 2 : (الآية / 61) .

⁽¹⁾ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الْذِلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ وَبَاءُو بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ)⁽²⁾

أما الذي حصل لسيدنا آدم عليه السلام من الهبوط فكان لحكمة عظيمة أرادها الله وهي استخلافه في الأرض وابتلاء ذريته من بعده بهذا العدو المبين .
فالمهبوط له معنيان : الانحدار مع قهر واستخفاف وغضٌ وتنقيص .

(المهبوط : السقوط على سبيل القهر كهبوط الحجر في قوله تعالى : ﴿ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ

⁽³⁾ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ)⁽⁴⁾ وقيل : الهبوط الانتحال مطلقا ، وقيل : الخروج من البلد ، وقيل :

الدخول فيها فهو من الأضداد)

وإذا كان الهبوط في الأصل هو النزول كان الدخول إلى البلدة لسكنائها نزولا بها فصار هبوطاً .

فالمهبوط هو الانحدار والنزول ودخول البلدة مع استخفاف وغض وتنقيص .

(المهبوط : النزول ، وقيل : الخروج من البلد والدخول فيها من الأضداد ، ويقال في انحطاط المنزلة) .

والهبوط هو النزول من علو إلى سفل مع الاستخفاف وهنا جمال ألفاظ اللغة العربية حيث يكون للفظة الواحدة أكثر من معنى وكلها مراده في السياق القرآني .

الكلمة السابعة : فرقنا من قوله تعالى :

⁽⁶⁾) وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ الْبَحْرَ فَأَنْجَيْنَاكُمْ)

(1) من سورة البقرة 2 : (الآية / 61) .

(2) مفردات ألفاظ القرآن للراغب الأصفهاني / 832 .

(3) من سورة البقرة 2 : (الآية / 74) .

(4) عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ للسمين الحلبي / 600 – 601 .

(5) روح المعاني للألوسي : (ج 1 / 236) .

(6) من سورة البقرة 2 : (الآية / 50) .

فرقنا : فصلنا ، والفرق : الفصل بين الشيئين .

(﴿ وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ الْبَحْرَ ﴾) معناه : شققناه ، والفرق : القسم والجمع أفراد ، وقراءة من قرأ : فرقنا بكم البحر بتشدد الراء أي جعلناه فرقا وأقساما . والفرق : الفلق من الشيء إذا انفلق منه ، وجاء تفسير (﴿ فَرَقْنَا بِكُمُ الْبَحْرَ ﴾) في آية أخرى وهي قوله تعالى : (﴿ فَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنِ اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالْطَّوْدِ الْعَظِيمِ ﴾) ^(٦٣) أراد فانفلق البحر فصار كالجبال العظام وصاروا في قراره ، وفي التنزيل : (﴿ فَأَفْرَقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقَوْمِ الْفَنَسِيقِينَ ﴾) ^(٢٥) معنى فرقنا: شققنا ، وقسمنا وفرقنا حتى صار البحر كالجبال العظام ومشوا في قراره .

(﴿ وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ الْبَحْرَ ﴾) فيه تأويلان :

أحد هما : وإذا فصلنا بكم البحر ، لأن الفرق / الفصل بين الشيئين ففرق البحر اثنى عشر طريقا ، والثاني : أن معناه : ((وإذ فرقنا بينكم وبين البحر أي ميزنا ، فأصل الفرق : التمييز بين الشيئين ، والفرقة من الناس : الطائفة المتميزة من غيرهم ، والبحر سمي بحرا لسعته وانبساطه ، ومنه قولهم : تبحّر في العلم إذا اتسع فيه) ^(٤) من هنا يتبيّن لنا أن لكلمة فرقنا معنيين : الأول : فصلنا وفرقنا بحيث تمثّلون في الطريق داخل البحر .

أما المعنى الثاني : ميّزنا أي جعلناكم متميزيين مختلفين عن البحر بحيث تستطيعون العبور بدون أن تغرقوا مثل الفرقة من الناس : الطائفة المتميزة من غيرهم ، وهكذا جعل الله بين إسرائيل متميزيين عن البحر يعبرونه بقدرتهم جل جلاله لا يصيّبهم الغرق والله أعلم بطريق التمييز .

(١) من سورة الشعراء 26 : (الآية / 63) .

(٢) من سورة المائدة 5 : (الآية / 25) .

(٣) لسان العرب لابن منظور : ج 1 / 300 مادة فرق .

(٤) النكت والعيون للماوردي : ج 1 / 119 .

(ومعنى قوله : ﴿فَرَقْنَا بِكُم﴾ فصلنا بكم البحر لأنهم كانوا اثني عشر سبطا ، ففرق البحر اثني عشر طريقا ، فسلك كل سبط منهم طريقا منها ، فذلك فرق الله بهم عز وجل البحر وفصله بهم بتفریقهم في طرقه الاثني عشر .

عن السدي : لما أتى موسى البحر كناه أبا خالد وضربه فانفلق ، فكان كل فرق كالطود العظيم ، فدخلت بنو إسرائيل وكان في البحر اثنا عشر طريقا في كل طريق سبط .

وقال بعض نحوبي البصرة : معنى قوله : ﴿وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُم الْبَحْر﴾
⁽¹⁾ فرقنا بينكم وبين الماء ، يريد بذلك : فصلنا بينكم وبينه وحزناه حيث مررت به) فرق وفرق بالتحفيف والتشديد بمعنى واحد ، غير أن فرق يدل على شدة التفرقة وذلك إذا كانت الأجزاء المفرقة أشد اتصالا . وقد اتفقت القراءات المتواترة على قراءة (فرقنا) بالتحفيف ، والتحفيف منظور فيه إلى عظيم قدرة الله تعالى فكان ذلك الفرق الشديد خفيها . فأجزاء البحر من الماء شديدة الاتصال وتحتاج إلى (فرقنا) لكن الله قال (فرقنا) ليدل على عظيم قدرة الله تعالى .

(والباء في بكم إما للملابسة ، أي كان فرق البحر ملابسا لكم والمراد من الملابسة أنه يفرق وهم يدخلونه فكان الفرق حاصلا بجانبهم ، وجوز صاحب الكشاف كون الباء للسببية أي بسببكم يعني لأجلكم)
⁽²⁾

(﴿وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُم الْبَحْر﴾) . والفرق : الفصل بين الشيئين وتعديته إلى البحر بتضمين معنى الشق أي فلقناه وفصلنا بين بعضه وبعض لأجلكم وبسبب إنحائهم من أجل أسلاف المخاطبين ، ويحتمل أن تكون للاستعانة على معنى (بسلوككم) بأن يشبه سلوكهم بالآلة في كونه واسطة في حصول الفرق من الله تعالى ، يقول الإمام الرازي : إنهم كانوا يسلكون ويتفرق الماء عند سلوكهم فكانه فرق بهم)
⁽³⁾

(1) تفسير الطبرى : ح 1 / 314 .

(2) التحرير والتنوير لابن عاشور : ج 1 / 478 .

(3) روح المعانى للأوسي : ج 1 / 255 .

وهكذا يتبيّن لنا السر الإلهي في اختيار لفظة (فرقنا) لتعطي المعنيين الرائعين : فصلنا وميّزنا وكذلك السر في استخدام لفظة (بكم) بدل (لكم) والله الحمد والمنة .

الكلمة الثامنة : ينظرون من قوله تعالى : ﴿خَلِدِينَ فِيهَا لَا يُخَفَّ عَنْهُمْ عَذَابٌ وَلَا هُمْ

⁽¹⁾ يُنْظَرُونَ ﴿١٦٢﴾

ولا هم ينظرون : من الإنذار وهو التأخير والإمهال . أي لا يؤخرن ولا يمهلون كما قال تعالى

: ﴿إِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ فَلَا يَسْتَخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾⁽²⁾ ، والمعنى الثاني :

من النظر أي لا ينظر الله إليهم نظر رحمة أبدا كما قال تعالى : ﴿أُولَئِكَ لَا خَلَقَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَلَا يُزَكِّيْهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾⁽³⁾

(ولا هم ينظرون : من الإنذار أي لا يمهلون ولا يؤجلون ، أو لا ينتظرون ليغتذروا ، أو لا ينظر إليهم نظر رحمة)

لا يمهلون ولا ينتظرون ليغتذروا هذان معنى واحد والمعنى الثاني لا ينظر إليهم نظر رحمة من النظر والإبصار وكلاهما مقصود من اللفظة فسبحان الله العلي العظيم .

(ولا هم ينظرون : يحتمل وجهين :

أحدهما : لا يؤخرن عنه ولا يهملون .

والثاني : لا ينظر الله عز وجل إليهم فيرحمهم)⁽⁵⁾

¹) من سورة البقرة 2 : (الآية / 162) .

²) من سورة يوئس 10 : (الآية / 49) .

³) من سورة آل عمران 3 : (الآية 77) .

⁴) الكشاف للزمخشري : ج 1 / 105 .

(5) النكت والعيون للماوردي : ج 1 / 216 .

(ولا هم ينظرون : وإيثار الجملة الاسمية لافادة دوام النفي واستمراره ، والفعل إما من الإنضار بمعنى التأخير أي لا يمهلون عن العذاب ولا يؤخرن عنه ساعة ، وإما من النظر بمعنى الانتظار أي لا ينتظرون ليعتذروا ، وإما من النظر بمعنى الرؤية أي لا ينظر الله تعالى إليهم نظر ⁽¹⁾ رحمة)

فللكلمة معنيان : الأول الإمهال والتأخير والانتظار ، والمعنى الثاني من النظر والرؤية .

الكلمة التاسعة : وتزودوا من قوله تعالى :

⁽²⁾ ﴿ وَتَرْزُّوْدُوا فَإِنَّكَ خَيْرَ الْزَادِ الْنَّقْوَى ﴾ تأويلان :

تزودوا من الزاد والزاد إما أن يكون زادا حسيا من الطعام والشراب وإما زادا معنويا من الإيمان والعمل الصالح وكلاهما مطلوبان في الحج .

(وفي قوله تعالى : ﴿ وَتَرْزُّوْدُوا فَإِنَّكَ خَيْرَ الْزَادِ الْنَّقْوَى ﴾ تأويلان : أحدهما : تزودوا بالأعمال الصالحة فإن خير الزاد التقوى .

والثاني : أنها نزلت في قوم من أهل اليمن كانوا يحجون ولا يتزودون ويقولون : نحن المتكلمون ⁽³⁾ فنزلت فيهم : (وتزودوا) يعني من الطعام

(روى البخاري وغيره عن ابن عباس قال : كان أهل اليمن يحجون ولا يتزودون ، ويقولون

نحن متكلمون ، فأنزل الله : ﴿ وَتَرْزُّوْدُوا فَإِنَّكَ خَيْرَ الْزَادِ الْنَّقْوَى ﴾ ⁽⁴⁾

والزاد : المدخل الزائد على ما يحتاج إليه في الوقت ، والتزود : أحذ الزاد قال تعالى :

⁽¹⁾ ﴿ وَتَرْزُّوْدُوا فَإِنَّكَ خَيْرَ الْزَادِ الْنَّقْوَى ﴾

(1) روح المعاني للألوسي : ج 1 / 29 .

(2) من سورة البقرة 2 : (الآية / 197) .

(3) النكت والعيون للماوردي : ج 1 / 260 .

(4) أسباب التزول للإمام الحافظ جلال الدين أبي عبد الرحمن السيوطي / 38 .

(قوله تعالى : ﴿وَتَرَوَدُوا فَإِنَّهُ خَيْرُ الْزَادِ الْتَّقْوَى﴾ الزاد هو القوت المدخر الزائد على كفاية الوقت، والتزود أخذ الزاد وقوله تعالى : ﴿فَإِنَّهُ خَيْرُ الْزَادِ الْتَّقْوَى﴾ من باب المقابلة نحو قالوا : اقترح شيئاً نجده لك طبخه قلت اطبخوا لي جبةً وقميصاً ⁽²⁾ ومو شله : ﴿وَمَكَرُوا وَمَكَرَ اللَّهُ﴾ ⁽²⁾ ، والمزود ما يجعل فيه الزاد ⁽³⁾ ، والمزادة ما يجعل فيه الماء ⁽³⁾ ، والتزود إعداد الزاد وهو الطعام الذي يحمله المسافر ، وهو زاد حسي وهناك زاد معنوي وهو التزود بالأعمال الصالحة .

(فالتزود مستعار للاستكثار من فعل الخير استعداداً ليوم الجزاء ، شبه بإعداد المسافر الزاد لسفره بناء على إطلاق اسم السفر والرحيل على الموت . فقوله ﴿فَإِنَّهُ خَيْرُ الْزَادِ الْتَّقْوَى﴾ أي التقوى أفضل من التزود للسفر فكونوا عليها أحرص . ويجوز أن يستعمل التزود مع ذلك في معناه الحقيقي على وجه استعمال اللفظ في حقيقته ومحازه فيكون أمراً بإعداد الزاد لسفر الحج تعرضاً بقوم من أهل اليمن كانوا يجئون إلى الحج دون أي زاد ويقولون نحن متوكلون على الله فيكونون كلاماً على الناس بالإلحاف فقوله : ⁽⁴⁾ **فَإِنَّهُ خَيْرُ الْزَادِ إِشَارَةً إِلَى تَأكيدِ الْأَمْرِ بِالتَّزُودِ** تبيها بالتفريع على أنه من التقوى لأن فيه صيانة ماء الوجه والعرض) وهكذا يتضح من خلال كتب التفسير أن لفظة (تزودوا) يراد منها المعنian وهم التزود الحسي والمعنوي ولا غنى لأي إنسان عنهما . فسبحان الله ما أبدع ألفاظ القرآن الكريم وما أدق تعبيراته ! .

(1) من سورة البقرة 2 : (الآية / 197) .

(2) من سورة آل عمران 3 : (الآية / 54) .

(3) عمدة المخاطب في تفسير أشرف الألفاظ للسمين الحلبي / 224 .

(4) التحرير والتنوير لابن عاشور : ج 2 / 231 - 232 .

الكلمة العاشرة : زلتم من قوله تعالى :

(^١) **أَبْيَنْتُ فَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ** ﴿٢٩﴾

(والزلة في الأصل استرسال الرجل وزلقها من غير قصد ، والمزلة : المكان الزلق ثم قيل

للذنب زلة تشبهها لزلة الآراء والعقول بزلة الأقدام وعليه قوله تعالى :

(^٢) **رَأَلْتُم مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْكُمُ الْبَيِّنَاتُ فَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ** ﴿٣٩﴾ أي

تحيتم عن الحق يقال : زل في الدين يزل زلا ومزلة ، وزل في الطين ونحوه زلاً

فلفظة (زل) لها معنيان : الزلل الحسي وهي زلة الرجل بسبب شيء زلق ، والزلل

المعنوي وهو ما كان بسبب الكفر والذنوب والمعاصي وهي طريق للزلل الحسي وسبب له .

إذن المعنيان مقصودان في الآية الكريمة .

(وقيل للذنب من غير قصد : زلة تشبهها بزلة الرجل قال تعالى : (فإن زلتم) (^٤)

(^٣) **فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ** ﴿٦﴾ واسترزله : إذا تحرى زلته .

وقوله : (^٤) **إِنَّمَا أَسْتَرْزَلُهُمُ الشَّيْطَانُ** ﴿٦﴾ أي استحررهم الشيطان حتى زلوا ، فإن الخطيبة

(^٥) الصغيرة إذا ترخص الإنسان فيها تصير مسهلة لسبيل الشيطان على نفسه)

إذا كان الذنب من غير قصد زلة فكيف بالذنب مع القصد ، وهذا هو أصل الفعل لأن زلة الرجل أيضاً من غير قصد فلا يوجد عاقل يزلق رجله قصداً .

(وأصل الزلل : الزلق أي اضطراب القدم وتحرركها في الموضع المقصود إثباتها به ، واستعمل الزلل هنا مجازاً في الضر الناشئ عن اتباع الشيطان من بناء التمثيل ، لأنه لما شبهت هيئة من يعمل بوسوسة الشيطان ب الهيئة الماشي على أثر غيره ، شبه ما يعتريه من الضر في ذلك

(١) من سورة البقرة 2 : (الآية / 209) .

(٢) عمدة المخاطب في تفسير أشرف الألفاظ للسمين الحلبي / 222 .

(٣) من سورة البقرة 2 : (الآية / 36) .

(٤) من سورة آل عمران 3 : (الآية / 155) .

(٥) مفردات ألفاظ القرآن للراغب الأصفهاني / 381 – 382 .

المشي بزلل الرجل في المشي في الطريق المزلقة ، وقد استفيد من ذلك أنا ما يأمر به الشيطان هو
⁽¹⁾
أيضاً منزلة الطريق المزلقة)

فمن أوجه الشبه بين الزلل الحسي والزلل المعنوي أنهما من غير قصد ، وأن هناك ضرر يلحق
بإنسان في الحالتين وفي الدنيا والآخرة .

الكلمة الحادية عشرة : حبطت من قوله تعالى : ﴿ وَمَنْ يَرْتَدِدْ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ ۚ

فَيَمْتُ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَئِكَ حَطَّتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ
⁽²⁾
هُمْ فِيهَا خَلِيلُونَ ﴾ ٢١٧ ﴿

حيطت أعمالهم أي بطلت ، وأصل الحبوط : الفساد ، فقيل في الأعمال إذا بطلت حبطت
لفسادها .

(حبط : الحاء والباء والباء أصل واحد يدل على بطلان أو ألم ، يقال : أحبط الله عمل
الكافر أي أبطله . وأما الألم فالحيط أن تأكل الدابة حتى تنفع لذلك بطنها)
⁽³⁾

فالكافر لا يقبل له عمل لأن شرط الأعمال الصالحة الإسلام والإخلاص فإذا لم يوجد في
عمل بطل العمل وفسد ، فالكافر يعمل أحياناً عملاً صالحة لكنها لا تقبل لكرهه ، والسلم إن
عملها لغير الله لا تقبل فيكون الألم والحسران يوم القيمة ولكن الله لا يظلم أحداً مثقال ذرة ،
فالكافر يكون ثوابه في الدنيا بزيادة أموال وبنين ونعم ، والمسلم الذي عمل لغير وجه الله يكون
أخذ جزاءه بالمدح في الدنيا على قدر نيته ، كما روى أنه يؤتى بقارئ القرآن فيسأل : بم كان
اشغالك ؟ فيقول : بقراءة القرآن . فيقال : إنما كنت تقرأ ليقال وقد قيل فيؤمر به إلى النار عيادة
بالله من ذلك .

(1) التحرير والتنوير لابن عاشور : ج 2 / 263 .

(2) من سورة البقرة 2 : (الآية / 217) .

(3) معجم مقاييس اللغة لابن فارس : ج 2 / 130 مادة حبط .

(و فعل حبط : قال اللغويون أصله من الحبط بفتح الباء ، وهو انتفاخ في بطون الإبل من كثرة الأكل فتموت من ذلك ، فإذا طلاقه على إبطال الأعمال تمثيل ، لأن الإبل تأكل الخضر شهوة للشعب فيئول عليها بالموت ، فشبه حال من عمل الأعمال الصالحة لنفعها في الآخرة فلم يجد لها أثراً بالماشية

⁽¹⁾ الأعمال بالصالحات لظهور ذلك التمثيل)

فكلمة حبط لها معانٍ ألم والبطلان حيث لا يقبل الله عمل الإنسان الصالح إذا عمله رباء وشهوة للمدح ، فالله لا يقبل العمل إلا إذا كان خالصاً له لكنه لن يظلمه حيث سيمدحه الناس في الدنيا وينال جزاءه عاجلاً مثل الماشية التي تأكل الخضر شهوة للشعب ، وأيضاً معنى الألم ، فلا ألم أكثر من الألم الذي يشعر به المرائي حين لا يقبل الله عمله فهو ألم نفسي وينقلب إلى ألم حسدي حين دخول النار ، وكذلك الماشية ألم بطنها شديد حين تنتفخ ثم تموت . وهذا فعلاً هو الألم والبطلان معاني الكلمة (حبط) .

(وأصل الحبط فساد يلحق الماشية لأكل الحباط وهو ضرب من الكلاّ مضر ، وفي النهاية : أحبط الله تعالى عمله : أبطله ، يقال : حبط عمله وأحبطه غيره ، وهو من قوله :

⁽²⁾ حبطت الدابة حبطاً بالتحريك إذا أصابت مرعى طيباً فأفرطت في الأكل حتى تنتفخ فتموت)

فما أجمل ألفاظ القرآن الكريم ! وما أبدع معانيها !

الكلمة الثانية عشرة : لأنعتكم من قوله تعالى :

⁽³⁾ ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَاَعْنَتَكُم﴾

(قوله تعالى : ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَاَعْنَتَكُم﴾ أي لشق عليكم ، قوله تعالى : ﴿ذَلِكَ لِمَنْ﴾ ⁽⁴⁾ أي المشقة في ترك الوطء والوقوع في الزنا وأصله من عنت الدابة

(1) التحرير والتنوير لابن عاشور : ج 2 / 315 .

(2) روح المعاني للألوسي : ج 2 / 110 .

(3) من سورة البقرة 2 : (الآية / 220) .

(4) من سورة النساء 4 : (الآية / 25) .

تعنت عنونا وعنتا إذا حدث في قوائمهما كسر بعد جبر لا يمكنها معه الجري ، وأصل العنت : التشديد فإذا قالت العرب : فلان يتعنت فلانا ويعنته فأصله يشدد عليه ويلزمها بما يصعب عليه ⁽¹⁾ أداوه ثم نقلت إلى معنى الملائكة ، وقوله : (من خشي العنت منكم) يريد الملائكة في الزنا من معاني كلمة العنت : المشقة والملائكة والضرر .

(المعانة كالمعاندة لكن المعانة أبلغ لأنها معاندة فيها خوف وهلاك ولهذا يقال : عنت فلان ⁽²⁾ : إذا وقع في أمر يُخاف منه التلف)

إذن ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَعْنَتُكُم﴾ معناها : لشدة عليكم وأهلكم . لأن التشديد والإعنات يؤديان إلى المشقة والملائكة والضرر .

(﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَعْنَتُكُم﴾ فيه تأويلان : أحدهما : لشدة عليكم ، وهو قول السدي .

والثاني : بجعل ما أصبتهم من أموال اليتامي موبقا وهو قول ابن عباس ⁽³⁾ موبقا يعني : هلاكا .

[﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَعْنَتُكُم﴾] لحملكم على العنت وهو المشقة وأحرجكم فلم يطلق لكم مداخلتهم ⁽⁵⁾ ﴿وَإِنْ تُخَالِطُهُمْ فَإِلَّا حَوَّنُكُم﴾ ⁽⁴⁾ (اليتامي) والمشقة والحرج لا يأتيان إلا من التشديد ، فكان رفع التشديد رفع للمشقة والملائكة .

(﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَعْنَتُكُم﴾) أي لضيق عليكم ولم يجوز لكم مخالفتهم ، أو بجعل ما أصبتهم من أموال اليتامي موبقا ، قاله ابن عباس رضي الله عنهما ، وأصل الإعنات الحمل على مشقة لا تطاق ثقلا ، ويقال : عنت العظم عنتا إذا أصابه وهن أو كسر بعد جبر ، وحذف

(1) عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ للسمين الحلبي / 384 .

(2) مفردات ألفاظ القرآن للراغب الأصفهاني / 589 .

(3) النكت والعيون للماوردي : ج 1 / 280 .

(4) من سورة البقرة 2 : (الآية / 220) .

(5) الكشاف للزمخشري : ج 1 / 133 .

مفعول المشيئة لدلالة الجواب عليه ، وفي ذلك إشعار بكمال لطفه سبحانه ورحمته حيث لم يعلق

(1) مشيئته بما يشق علينا في اللفظ أيضا)

قال الله تعالى : ﴿ وَمَا جَعَلْتُ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ﴾ ⁽²⁾ فالدين يسر والله يريد

التحفيض : ﴿ يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ وَخُلِقَ الْإِنْسَنُ ضَعِيفًا ﴾ ⁽³⁾ والله لا يحب العنت ولا يريد لنا لرأفته ورحمته سبحانه .

فالعن特 هو التضييق والتشديد والمعنى الثاني : المشقة والهلاك . (والعن特 : المشقة والصعوبة الشديدة أي ولو شاء الله لكفلكم ما فيه العن特 وهو أن يحرم عليكم مخالطة اليتامي فتجدوا ذلك شاقا عليكم وعنتا ، لأن تجنب المرء مخالطة أقاربه من إخوة وأبناء عم ورؤيته إياهم مضيعة أمورهم لا يحفل بهم أحد يشق على الناس في الجبلة ، وهم إن فعلوا ذلك حذرا وتزها فليس كل ما يتبدئ المرء فعله يستطيع الدوام عليه) ⁽⁴⁾ .

ومعنى الآية : أي ولو شاء الله لضيق عليكم وأخرجكم ولكنه وسع عليكم وخفف عنكم وأباح لكم مخالطتهم بالتي هي أحسن ، قال تعالى : ﴿ وَلَا نَقْرِبُوا مَالَ الْيَتَامَةِ إِلَّا يَأْتِيَ هُنَّ أَحْسَنُ ⁽⁵⁾ .

وقال تعالى : ﴿ وَابْنُوا الْيَتَامَةَ حَتَّىٰ إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ فَإِنْ أَنْسَمْتُمْ مِنْهُمْ رُشْدًا فَادْفُعُوهُ إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ ⁽⁶⁾ وَلَا تَأْكُلُوهَا إِسْرَافًا وَبِدَارًا أَنْ يَكْبُرُوا وَمَنْ كَانَ غَنِيًّا فَلَيَسْتَعِفْ ⁽⁷⁾ وَمَنْ كَانَ فَقِيرًا فَلَيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ ⁽⁸⁾ فَإِذَا دَفَعْتُمُ إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ فَأَشْهِدُوا عَلَيْهِمْ وَكَفَ إِلَّا هُوَ حَسِيبًا ⁽⁹⁾ .

(1) روح المعاني للألوسي : ج 1 / 117 .

(2) من سورة الحج 22 : (الآية / 78) .

(3) من سورة الحج 22 : (الآية / 28) .

(4) التحرير والتنوير لابن عاشور : ج 2 / 340 .

(5) من سورة الإسراء 17 : (الآية / 34) .

(6) من سورة النساء 4 : (الآية / 6) .

ولا توجد لفظة في اللغة العربية تؤدي هذين المعنين غير لفظة (لأعنتكم) حيث نفي الله عن نفسه الشدة والتضييق والهلاك لأن الله

⁽¹⁾ رحيم بالمؤمنين . ﴿لَا يَكْلُفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾

الكلمة الثالثة عشرة : فلا تعذلوهن من قوله تعالى : ﴿وَإِذَا طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ فَلَعْنَ

⁽²⁾ أَجَلَهُنَّ فَلَا تَعْذِلُوهُنَّ أَن يَنكِحُنَّ أَزْوَاجَهُنَّ إِذَا تَرَضُوا بِهِمْ بِالْمَعْرُوفِ﴾ .

قال الله : ﴿فَلَا تَعْذِلُوهُنَّ﴾ ولم يقل : (فلا تمنعوهن) لأن المنع يتحمل أن يكون بحق وبغير حق . أما العضل فهو مع شديد لكن بدون وجه حق وبدون إصلاح ، فجاء الأمر من الله بمنع الولي من عودة الزوجة إلى زوجها بدون وجه حق أو مصلحة .

(عضلته) : شدته بالعقل المتناول من الحيوان نحو عصبه ويحيط به في كل منع شديد . قال

⁽³⁾ تعالى : ﴿فَلَا تَعْذِلُوهُنَّ أَن يَنكِحُنَّ أَزْوَاجَهُنَّ﴾ قيل : خطاب للأزواج وقيل : للأولياء .

(فلا تعذلوهن) أي لا تمنعوهن من نكاح أزواجهن ، وأصله التضييق ، يقال : عضل في الأمر أي ضاق ، ومنه قول عمر رضي الله عنه : أعدل بي أهل الكوفة ، قال الأزهري : أصل العضل من قوله لهم : المرأة إذا نشب ولدها فلم يسهل خروجه ، واعدل الدجاجة نشب بيضتها ، ومسألة معضلة إذا كانت صعبة لا يهتدى لوجه الصواب فيها لضيقها . وأعدل الأمر : اشتد ،

⁽⁴⁾ وداء عضل إذا عسرت مداواته) .

فلا تعذلوهن أي فلا تمنعوهن ولا تضيقوا عليهم .

إذن العضل هو منع مع تضييق ومضاراة ولذلك كان العضل منعا بدون وجه حق .

والعدل : الحبس والتضييق والحبس هو المنع .

(1) من سورة البقرة 2 : (الآية / 286) .

(2) من سورة البقرة 2 : (الآية / 232) .

(3) مفردات ألفاظ القرآن للراغب الأصفهاني / 571 .

(4) عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ للسمين الحلبي / 368 - 369 .

ولذلك قال الله : (لا تعضلوهن) أي لا تحبسوهن وتنعوهن والمعنى الثاني : لا تضيقوا عليهم.

وهذه اللفظة جمعت المعنيين وقد أرادهما الله ويوضح هذا سبب نزول الآية وهو : عضل معقل بن يسار أخته أن ترجع إلى الزوج الأول وقيل : في حابر بن عبد الله حين عضل بنت عم له .

(فلا تعضلوهن) (إما أن يخاطب به الأزواج الذين يعطلون نسائهم بعد انقضاء العدة ظلماً وقساً ، ولحمية الجاهلية لا يتزوجن من شئ من الأزواج ، والمعنى : أن ينكحن أزواجهن الذين يرغبون فيهم ويصلحون لهن ، وإما أن يخاطب به الأولياء في عطلهن أن يرجعن إلى أزواجهن) .⁽¹⁾

(والعضل قيل : المنع ، ومنه : عضل أمته من التزوج ، ومنه : دجاجة مُعْضَلٌ : أي احتبس بيضها ، وقيل أصله الضيق ، وعطلت المرأة أي نشب ولدها في بطنهما ، وداء عضال أي ضيق العلاج ، والمعطلات : المشكلات لضيق فهمها)⁽²⁾

من تلك النصوص كلها يتبيّن لنا أن لفظة (لا تعضلوهن) أعطت المعنيين كليهما المنع والتضييق وفعلاً منع الزوجة من زوجها يسبب ضيقاً لكليهما ولذلك اختار الله هذه اللفظة لؤدي المعنيين كاملين والله الحمد والمنة .

الكلمة الرابعة عشرة : أفرغ من قوله تعالى :

وَثَبَّتَ أَقْدَامَنَا وَأَنْصَرَنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ⁽³⁾

(فرغ : الفاء والراء والغين أصل صحيح يدل على خلوٌ وسعة ذرع ، من ذلك الفراغ :

خلاف الشغل)⁽⁴⁾

(1) الكشاف للزمخشري : ج 1 / 140 .

(2) الدر المصنون للسمين الحلبي : ج 2 / 460 .

(3) من سورة البقرة 2 : (الآية / 250) .

(4) معجم مقاييس اللغة لابن فارس : ج 2 / 493 .

فلفظة أفرغ تدل على الفراغ وعلى السعة ، فكأن هناك شيئا فارغا وواسعا ليملا ويصب فيه .

في الآية تصوير لمنتهى الح Wolff . قال الله تعالى : ﴿ قَالُوا لَا طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَاهُولَتِهِ وَجُنُودِهِ قَالَ الَّذِينَ يَنْظُونَ أَنَّهُمْ مُلَقُوا اللَّهَ كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً يَإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ ٢٤٩ وَلَمَّا بَرَزُوا لِجَاهُولَتِهِ وَجُنُودِهِ قَالُوا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبَرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَأَنْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ٢٥٠ ﴾⁽¹⁾ قال الله : أفرغ ولم يقل : أنزل لأنه أبلغ حيث يتحول المؤمنون إلى أوعية ليفرغ فيها الصبر حتى يملأها . كأنهم يقولون : يا ربنا حولنا إلى صبر فقط لحاجتنا إليه في هذه الشدائـد .

(والفراغ في اللغة على وجهين : الفراغ من شغل ، والثاني : القصد لشيء والإفراـغ :

الصـبـ وـمـنـهـ : ﴿ إِنَّا نُؤْنِي أَفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا ٦٦ ﴾⁽²⁾ واستعير ذلك في المعـانـيـ فـقـيلـ : أـفـرـغـ اللهـ عـلـيـنـاـ الصـبـرـ . قال تعالى : ﴿ رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبَرًا ٦٧ ﴾⁽³⁾ وأفرغـتـ الإنـاءـ صـبـيتـ ماـ فـيهـ ﴿ قَالُوا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبَرًا ٦٨ ﴾⁽⁴⁾ عبرـ المـسـلمـونـ عنـ إـهـامـهـمـ إـلـىـ الصـبـرـ بـالـإـفـرـاغـ استـعـارـةـ لـقـوـةـ الصـبـرـ ، فـإـنـ القـوـةـ وـالـكـثـرـةـ يـتـعـاوـرـانـ الـأـلـفـاظـ الدـالـةـ عـلـيـهـمـاـ . فـاستـعـيرـ إـلـيـفـرـاغـ هـنـاـ لـلـكـثـرـةـ مـعـ التـعـمـيمـ وـالـإـحـاطـةـ . فالـفـرـاغـ معـناـهـ : الـخـلـوـ وـالـسـعـةـ وـالـكـثـرـةـ وـالـتـعـمـيمـ وـالـإـحـاطـةـ .

(﴿ رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبَرًا ٦٩ ﴾⁽⁵⁾ وفيـ هـذـاـ الدـعـاءـ مـنـ الـلـطـافـةـ وـحـسـنـ الـأـسـلـوبـ وـالـنـكـاتـ ماـ لـاـ تـخـفـىـ . الإـفـرـاغـ وـهـوـ يـؤـذـنـ بـالـكـثـرـةـ ، وـفـيـهـ جـعـلـ الصـبـرـ بـمـنـزـلـةـ المـاءـ المنـصـبـ عـلـيـهـمـ لـثـلـجـ صـدـورـهـمـ وـإـغـنـائـهـمـ عـنـ المـاءـ الـذـيـ مـنـعـواـ عـنـهـ)⁽⁶⁾ فـإـلـيـفـرـاغـ يـدـلـ عـلـىـ الـكـثـرـةـ وـالـسـعـةـ وـالـخـلـوـ .

(1) من سورة البقرة 2 : (الآياتان / 249 - 250) .

(2) من سورة الكهف 18 : (الآية / 96) .

(3) عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ للسمين الحلبي / 421 .

(4) روح المعانـي للألوسي : ج 2 / 172 .

وهكذا كانت لفظة أفرغ تدل على معنيين لم تؤدها لفظة أخرى فما أفصح ألفاظ القرآن
ال الكريم ! وما أروعها !

الكلمة الخامسة عشرة : لم يتسعه من قوله تعالى :

خَوِيْهٌ عَلَى عُرْوَشِهَا قَالَ أَنِّي يُحِبُّ هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةً عَامِ شُمَّ بَعْثَهُ قَالَ كَمْ لِيَتَ قَالَ لِيَتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالَ بَلْ لِيَتَ مِائَةً عَامٍ فَانْظُرْ إِلَى طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ
(¹ لَمْ يَتَسَنَّهُ)

(^ص لَمْ يَتَسَنَّهُ) لم تغيره السنون التي أنت عليه ، قال ابن زيد : (^ص لَمْ يَتَسَنَّهُ) لم يتغير في
(² مئة سنة)

قال الله : يتسعه ولم يقل : يتغير ، حيث أفادت اللفظة معنى التغيير إضافة إلى الزمن الطويل
عبر السنين .

إذن لفظة : يتسعه فيها معنى السنون وهي مشتقة من نفس اللفظة إضافة إلى معنى التغيير .
(³ لَمْ يَتَسَنَّهُ) لم يتغير واشتقاقه من السنة على الوجهين لأن الشيء يتغير بمرور الزمان وقيل أصله
يتسع من الحما المسنون ، ويحوز أن يكون معنى لم يتسعه : لم تمر عليه السنون التي مرت عليه
يعني هو حاله كما كان كأنه لم يلبث مئة سنة)

ومعنى لم يتسعه : أي لم يتغير بمر السنين عليه ، بل بقي على حاله .
(⁴ لَمْ يَتَسَنَّ : فيه تأويلاً :

أحدهما : معناه لم يتغير من الماء الآسن وهو المتغير .

والثاني : معناه لم تأت عليه السنون فيصير متغيرا)

(1) من سورة البقرة 2 : (الآية / 259) .

(2) تفسير الطبرى : ج 3 / 39 - 40 .

(3) الكشاف للزمخشري : ج 1 / 157 .

(4) النكت والعيون للماوردي : ج 1 / 332 .

(قال ابن قتيبة : لم يتغير بمر السنين عليه ، واللفظ مأخوذ من السنة ، يقال : ساخت النخلة إذا حملت عاماً وحالت عاماً)⁽¹⁾

(قال مجاهد : لم يتسن : لم يتنـن ، قال النحاس : أصل ما قيل فيه أنه من السنة أي لم تغـيره السنـين ، ويـحتمـلـ أنـ يـكـونـ منـ السـنـةـ وـهـيـ الـجـدـبـ وـمـنـهـ قـوـلـهـ تـعـالـيـ : ﴿ وَلَقَدْ أَخَذْنَا إِلَّا ﴾⁽²⁾

﴿ فِرْعَوْنَ بِالسَّنِينَ ﴾⁽³⁾ وـقـوـلـهـ صـلـىـ اللـهـ عـلـيـهـ وـسـلـمـ : ((وـأـجـعـلـهـ عـلـيـهـ سـنـينـ كـسـيـ يـوـسـفـ)) يـقـالـ مـنـهـ : أـسـنـتـ الـقـوـمـ أـيـ أـجـدـبـواـ ، فـيـكـونـ الـمعـنـيـ : لـمـ يـغـيـرـ طـعـامـكـ الـقـحـوـطـ وـالـجـدـبـ ، أـوـ لـمـ تـغـيـرـ السـنـونـ وـالـأـعـوـامـ ، أـيـ هـوـ بـاـقـ عـلـىـ طـرـاوـتـهـ وـغـضـارـتـهـ)⁽⁴⁾
فلـفـظـةـ : لـمـ يـتـسـنـ لـهـ مـعـنـيـانـ : لـمـ يـتـغـيـرـ ، وـأـصـلـهـ مـشـتـقـةـ مـنـ السـنـةـ لـأـنـهـ مـرـ السـنـينـ يـوـجـبـ التـغـيـرـ وـلـلـهـ الـحـمـدـ وـالـمـلـةـ .

(لم يتـسـنـهـ : وـحـيـدةـ فـيـ الـقـرـآنـ صـيـغـةـ وـمـادـةـ وـهـيـ صـيـغـةـ يـتـفـعـلـ مـنـ (ـسـ نـ هــ) قال أبو عـبيـدةـ فـيـ الـآـيـةـ : لـمـ تـأـتـ عـلـيـهـ السـنـونـ فـيـتـغـيـرـ وـلـيـسـ مـنـ الـأـسـنـ ، وـلـوـ كـانـتـ مـنـهـاـ لـكـانـتـ لـمـ يـتـأـسـنـ .
فيـ تـفـسـيرـ الـبـخـارـيـ : لـمـ يـتـغـيـرـ ، وـمـعـهـ فـيـ فـتـحـ الـبـارـيـ قـالـ : لـمـ يـحـمـضـ الـتـينـ وـالـعـنـبـ وـلـمـ يـخـتـمـ الـعـصـيرـ بـلـ هـمـاـ حـلـوـانـ كـمـاـ كـانـاـ ، وـفـيـ تـأـوـيـلـ الـطـبـرـيـ : يـعـنـيـ لـمـ يـتـغـيـرـ السـنـونـ الـيـ أـتـتـ عـلـيـهـ وـلـمـ يـتـنـنـ ، وـقـالـ الرـاغـبـ : لـمـ يـتـغـيـرـ بـمـرـ السـنـينـ وـلـمـ تـذـهـبـ طـرـاوـتـهـ .

وـتـفـسـيرـ التـسـنـهـ بـالـتـغـيـرـ بـمـرـ السـنـينـ مـنـ شـرـحـ الـكـلـمـةـ فـيـ سـيـاقـتـهاـ بـعـدـ (ـمـائـةـ عـامــ) . وـلـعـلـ التـعـفـنـ أـقـرـبـ إـلـىـ التـسـنـهـ بـمـرـ السـنـينـ ، مـنـ التـغـيـرـ وـجـفـافـ الـطـراـوةـ مـنـ حـيـثـ يـحـتـمـلـ حدـوـثـهـمـاـ لـلـطـعـامـ وـالـشـرـابـ دـوـنـ عـفـنـ وـفـسـادـ . وـبـالـتـعـفـنـ يـفـتـرـقـ التـسـنـهـ عـنـ التـغـيـرـ بـدـلـالـتـهـ عـلـىـ مـطـلـقـ التـغـيـرـ مـنـ حـالـ إـلـىـ حـالـ وـهـ وـمـعـهـ

(1) زـادـ المـسـيرـ فـيـ عـلـمـ التـفـسـيرـ لـابـنـ الـجـوـزـيـ : جـ 1 / 311 .

(2) مـنـ سـورـةـ الـأـعـرـافـ 7 : (ـالـآـيـةـ / 130ـ) .

(3) الـحـدـيـثـ : رـوـاهـ الـبـخـارـيـ كـتـابـ الـأـذـانـ بـابـ 128ـ ، جـ 2 / 290ـ ، رـقـمـ الـحـدـيـثـ : 804ـ .

(4) الـجـامـعـ لـأـحـكـامـ الـقـرـآنـ لـلـقـرـطـيـ : جـ 2 / 191ـ .

المفهوم من التغير في آيات : **إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ**

حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ

قد يضاف من هذا النص معنى جديداً إلى لفظة (لم يتتسن) : وهو : لم يتعرف وهو داخل في معنى التغير لكنه أعمق منه حيث يصل التغير إلى التعفن والله أعلم .

الكلمة السادسة عشرة : فصرهن من قوله تعالى :

فَصُرْهُنَ إِلَيْكَ

(فصرهن بكسر الصاد وضمها ، لغتان بمعنى قطعهن أو أملهن ، وقال الفراء : الضم مشترك بين المعنين والكسر بمعنى القطع فقط) .
إذن الكلمة صرhn لها معنيان وكلاهما مقصود في الآية : المعنى الأول : أملهم ، المعنى الثاني : قطعهن .

(فصرهن : ضمهم إليك وأملهم ، والأصور : المائل العنق ، وقال بعضهم : قطعهن ، وقد قرئت بكسر الصاد والمعنى واحد ، قال ابن قتيبة : الكسر والضم لغتان ، وقال الفراء : أكثر العرب على ضم الصاد ، وعن ابن عباس في قوله تعالى : (فصرهن) قال : فشققهن)
(فصرهن إليك : قرئ بضم الصاد وكسرها فقيل لغتان بمعنى : أملهم ، وقيل بمعنى قطعهن ، وقيل من ضم أراد قطعهن صورة ولا شك أن المادة تدل على القطع والانفصال)
ما أجمل ألفاظ اللغة العربية كلمة واحدة لها معنيان : فالمراحل الأولى سيدنا إبراهيم عليه السلام سيضم الطيور ويميلها ثم المرحلة الثانية يقطعها صورة صورة .

(1) من سورة الرعد 13 : (الآية / 11).

(2) الإعجاز البياني للقرآن للدكتور عائشة عبد الرحمن : 540 – 541 .

(3) من سورة البقرة 2 : (الآية / 260).

(4) روح المعاني للألوسي : ج 2 / 29 .

(5) غريب القرآن وتفسيره لأبي عبد الرحمن عبد الله اليزيدي / 98 .

(6) عمدة الحفاظ للسمين الحلبي : 303 .

وفائدة الأمر بميلها إليه وضمها وإدناها وتقريبها منه : أن يتأمل أحواها حتى يعلم بعد إحياءها أنها لم ينتقل جزء منها عن موضعه .

(صُرُّهنْ : معناه قطعهن ، والصُّورُ : القطع ، وقيل المعنى : أملئن إليك أي اضممهن
⁽¹⁾
 واجمعهن إليك ، وفي الكلام متروك : فأملئن إليك ثم قطعهن) .

(فصُرُّهنْ إليك :قرأ الجمهور بضم الصاد والمعنى : أملئن إليك يقال : صرت الشيء

فانصار أي أملته فمال فمعنى الكلام : اجمعهن إليك ﴿ ثُمَّ أَجْعَلْ عَلَى كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزَءًا ﴾ فيه إضمار قطعهن . قال ابن قتيبة : أضمر قطعهن واكتفى بقوله : ﴿ ثُمَّ أَجْعَلْ عَلَى كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزَءًا ﴾ عن قوله (قطعهن) لأنه يدل عليه)
⁽²⁾

الكلمة السابعة عشرة : تنزع من قوله تعالى :

⁽³⁾ ﴿ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ ﴾

(نزع الشيء : جذبه من مقره كنزع القوس عن كبده ويستعمل ذلك في الأعراض ،

ومنه : نزع العداوة والمحبة من القلب ، قال تعالى : ﴿ وَنَزَّعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِّنْ غِلٍ ﴾
 وانتزعت آية من القرآن في كذا ، ونزع فلان
⁽⁴⁾

⁽⁵⁾ ﴿ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ ﴾

فالنزع : هو الجذب من المقر بقوه وشده . قال الله تعالى : ﴿ وَالنَّرِزِعُتِ غَرَقًا ﴾
⁽⁶⁾ وهي الملائكة التي تنزع أرواح الكفار بصعوبة وشدة حيث لا تريد الخروج من أجسادها لأنها علمت مصيرها .

(1) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي : ج 2 / 196 .

(2) زاد المسير في علم التفسير لابن الجوزي : ج 1 / 314 .

(3) من سورة آل عمران 3 : (الآية / 26) .

(4) من سورة الأعراف 7 : (الآية / 43) .

(5) مفردات ألفاظ القرآن للراغب الأصفهاني / 798 .

(6) من سورة النازعات 79 : (الآية / 1) .

(نزع : النون والزاي والعين أصل صحيح يدل على قلع شيء ، ونزع الشيء من مكانه
نرعا ، والمنزع : الشديد النزع)⁽¹⁾

(والنزع حقيقة إزالة المحرم من مكانه : كنزع الثوب ونزع الباء من البئر ويستعار لإزالة
الصفات والمعانى كما قال تعالى : ﴿ وَنَزَّعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غِلٍ ﴾⁽²⁾)

وهكذا يتبيّن لنا أن لكلمة (تنزع) معانٰي : الجذب والقلع من المكان ، والمعنى الثاني :
بقوّة وشدة ، وهذا يؤكّد معنى الجذب والقلع مثل قلع الضرس من مكانه ، والنزع في الآية
ليس لشيء حسي وإنما لشيء معنوي وهو الملك ، ونزعه ليس بالمر السهل لشدة تعلق الإنسان
بالدنيا وحبه لها لكن الله قادر على كل شيء يقول للأمر كن فيكون سبحانه .

الكلمة الثامنة عشرة : وسارعوا من قوله تعالى :

﴿ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٌ عَرَضْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴾⁽³⁾

المسارعة إلى الشيء : المبادرة إليه .

(والسرعة المشتق منها : سارعوا مجاز في الحرث والمنافسة والفور إلى عمل الطاعات التي
هي سبب المغفرة والجنة ، ويجوز أن تكون السرعة حقيقة ، وهي سرعة الخروج إلى الجهاد عند
النفير : ((وإذا استنفرتم فانفروا))⁽⁴⁾

والمسارعة على التقادير كلها تتعلق بأسباب المغفرة وأسباب دخول الجنة ، وجيء بصيغة
المفاعة ، مجرد عن معنى حصول الفعل من جانبيـن ، قصد المبالغة في طلب الإسراع ، والعرب
تأتي بما يدل في الوضع على تكرر الفعل وهم يريدون التأكيد والمبالغة دون التكرير)⁽⁵⁾

(1) معجم مقاييس اللغة لابن فارس : ج 3 / 415 .

(2) التحرير والتنوير لابن عاشور : ج 3 / 68 .

(3) من سورة آل عمران 3 : (الآية / 133) .

(4) الحديث : رواه البخاري : كتاب الصيد باب 10 ، ج 4/ ص 46 ، رقم الحديث : 1834 .

(5) التحرير والتنوير لابن عاشور : ج 3 / 220 .

فلفظة سارعوا : تدل على السرعة إضافة إلى المبادرة والبالغة في السرعة . فهي ليست سرعة عادية وإنما سرعة مضاعفة .

معنى سارعوا : بادروا وسابقوا . وهكذا لفظة واحدة في القرآن تدل على أكثر من معنٍ .

الكلمة التاسعة عشرة : زُحْرَجَ مِنْ زُحْرَجَ عَنِ الْتَّارِ وَأَدْخَلَ

⁽¹⁾ الْجَحَّةَ فَقَدْ فَازَ

حقيقة فعل زُحْرَجَ أنها جذب بسرعة ، وهو مضاعف زُحْرَجَ عن المكان : إذا جذبه بعجلة . لم يقل الله : فمن أُبعَدَ عن النار ، وإنما قال : زُحْرَجَ لتدل على معنيين : الجذب والإبعاد ، والمعنى الثاني : العجلة والسرعة ، وهذا يدل على خطورة الشيء المبعد عنه وشدة إحراقه وهو النار .

⁽²⁾ (فَمَنْ زُحْرَجَ عَنِ الْتَّارِ) أي أُزيل عن مقره ونحي ، قوله تعالى : (وَمَا هُوَ بِمُرْحَزِهِ مَنْ أَعْذَابِ) أي بمبعثه ومنحيه ، وقيل هو من حـ زـ يجزه أي دفعه ، وقيل: من زاح يزبح أو من الزوح وهو السوق الشديد ، يقال : زُحْرَجَتْه فترزح وانزاح أي تباعد لأنَّه يبعد عن الحق

⁽³⁾ ()

فلفظة زُحْرَجَ تدل على الإزالة والجذب والسوق بشدة وسرعة وعجلة وهذا يدل على أن كلَّ إنسان مكان في النار ومكان في الجنة ، فإنَّ كان من أهل السعادة فإنه يُرَاهُ عن مكانه ومقره في النار وينحى عنه ويدخل الجنة . جعلنا الله وإياكم من أهلها .

⁽⁴⁾ (فَمَنْ زُحْرَجَ عَنِ الْتَّارِ) أي أُبعد عنها يومئذ ونحي ، والزُحْرَجَةُ في الأصل : تكرير الزحّ وهو الجذب بعجلة)

(1) من سورة آل عمران 3 : (الآية / 185) .

(2) من سورة البقرة 2 : (الآية / 96) .

(3) عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ للسمين الحلبي / 218 .

(4) تنوير الأذهان من تفسير روح البيان للشيخ إسماعيل حقي البروسوي : ج 1 / 300 .

الرَّحْمَةُ هُوَ الْإِبَادَةُ وَالتَّنْحِيَةُ عَنِ الْمَكَانِ ، وَعِنْدَمَا يَكُونُ الْفَعْلُ مُكَرَّرًا زَحْرَةً مُثْلِهِ زَلْزَلٌ يَكُونُ
الْمَعْنَى مُضَاعِفًا أَيْ إِبَادَةً وَتَنْحِيَةً مُضَاعِفَةً أَيْ بَعْجَلَةً وَسُرْعَةً . فَسُبْحَانَ اللَّهِ الْلَّطِيفِ الْخَبِيرِ مَا
أَبْلَغَ أَلْفَاظَ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ !

الكلمة العشرون : وعاشروهن من قوله تعالى : ﴿ وَعَاشُرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ ﴾⁽¹⁾

لم يقل الله : وعاملوهن وإنما قال وعاشروهن ، فالعشرة تعطي معنى أعظم وأكبر من المعاملة حيث أخذت العشرة من العشيرة وهم أهل الرجل وقرابته الذين يتكثر بهم ، فكأن الزوجة من العشيرة الذين يفتخر الرجل بهم حيث تناصره وتدافع عنه .

(وعاشروهن : أي صاحبوهن ، يقال : عاشرته أي صحبته وأصله من العشيرة ، وذلك أن العشيرة هم أهل الرجل الذين يتكثر بهم أي يصيرون له . بمنزلة العدد الكامل ، وذلك أن العشيرة هي العدد الكامل فصارت العشيرة اسمًا لكل جماعة من أقارب الرجل يتكثر بهم)⁽²⁾
عاشرته : صرت له كعشرة في المصاهرة .

فالله عز وجل يأمر الأزواج أن يصاحبوا زوجاتهم بالمعروف ، بالإضافة إلى معنى آخر في الصحبة وهو أن يصيروا لهم كعشرة في الصحبة بالمعروف ، والعشرة هو العدد الكامل أي فكونوا لهم كالعدد الكامل خلقاً وأدباً وصحبة وعشراً .

عاشروهن : خالقوهن وصاحبوهن ، والمعاشرة هي المخالطة والممازجة لا التعامل بفوقية وسلطية .

(وعاشروهن بالمعروف : أي طيبوا أقوالكم لهم وحسنوا أفعالكم وهباتكم بحسب قدرتكم كما تحب ذلك منها فافعل أنت بها مثله كما قال تعالى : ﴿ وَلَئَنَّ مِثْلَ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ ﴾⁽³⁾
وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ((

(1) من سورة النساء 4 : (الآية / 19) .

(2) عمدة المخاطب في تفسير أشرف الألفاظ للسمين الحلي / 363 .

(3) من سورة البقرة 2 : (الآية / 228) .

خيركم خيركم لأهله ، وأنا خيركم لأهلي ⁽¹⁾) وكان من أخلاقه صلى الله عليه وسلم أنه جميل العشرة دائم البشر يداعب أهله ويتلطف بهم ويتوسعهم نعم ،
ويضـ ساحـك نـسـاءـه حـتـى إـنـه كـانـ يـسـابـقـ عـائـشـةـ أـمـ الـمـؤـمـنـيـنـ رـضـيـ اللـهـ عـنـها
يتودد إليها بذلك ⁽²⁾)

وهكذا كان الفعل عاشر وهن مقصودا في الآية ليعطي دلالات واسعة من المخالطة والصاحبة
والممازجة لتصل إلى درجة العشرة .

المبحث الثاني

ما يحتمل ثلاثة معانٍ

الكلمة الأولى : نسبح من قوله تعالى : ﴿ قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ﴾ ⁽³⁾
(ونحن نسبح بحمدك) فيها تأويلات :

أحدها : معناه نصلي لك ، وفي التنزيل : ﴿ فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ ﴾ ⁽¹⁾ أي من المصليين ، وهذا قول ابن عباس وابن مسعود .

(1) الحديث : رواه ابن ماجه كتاب النكاح باب 55 ، ج 1/ 636 ، رقم الحديث : 1977 . قال الألباني صحيح ، ورواه الترمذى : 3895 (5 / 709) وقال هذا حديث حسن غريب صحيح ، وقال الألباني صحيح ، ورواه ابن حبان : 4177 (9 / 484) قال شعيب : إسناده صحيح .

(2) تفسير القرآن العظيم لابن كثير : ج 1 / 466 .

(3) من سورة البقرة 2 : (الآية / 30) .

والثاني : معناه نعظمك وهذا قول مجاهد .

(2) والثالث : أنه التسبيح المعروف)

لتسبيح في الآية ثلاثة معانٍ : الصلاة ، والتعظيم ، والتسبيح المعروف .

(السبح : المرُّ السريع في الماء وفي الهواء يقال : سبح سبحا وسباحة ، واستعير لمر النجوم في

الفالك نحو : ﴿كُلٌّ فِي فَلَّكٍ يَسْبَحُونَ﴾⁽³⁾ ولجري الفرس نحو :

﴿وَالسَّبِحَاتِ سَبَحَا﴾⁽⁴⁾ ولسرعة الذهاب في العمل نحو : ﴿إِنَّ لَكَ فِي الْأَنَارِ سَبَحًا طَوِيلًا﴾

(5) والتسبيح : تنزيه الله تعالى وأصله المرُّ السريع في عبادة الله تعالى ، وجعل ذلك في

فعل الخير كما جعل الإبعاد في الشر ، فقليل : أبعده الله ، وجعل التسبيح عاماً في

العبادات قوله كان أو فعلاً أو نية ، قال : ﴿فَوَلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَيْحِينَ﴾⁽⁶⁾ قيل من

المصلين والأولى أن يُحمل على ثلاثتها قال : (وَلَهُنْ سُبِّحُ)

فالتسبيح تنزيه الله وأصله : المرُّ السريع في عبادة الله سواء كانت نية أو قوله أو فعله .

فالتسبيح نية يكون بالتعظيم ، وبالقول يكون بقولنا : سبحان الله ، وبالفعل بالصلاحة حيث يكون

فيها التسبيح والتعظيم أي بالنية والقول والفعل .

(6) والتسبيح قول أو مجموع قول مع عمل يدل على تعظيم الله تعالى وتنزيهه ولذلك سمى ذكر الله تسبحا ، والصلاة سبحة ويطلق التسبيح على قول سبحان الله لأن ذلك القول من التنزيه ، وقد ذكروا أن التسبيح مشتق من السبح وهو الذهاب السريع في الماء ، إذ قد توسع في معناه إذ أطلق مجازاً على مر النجوم في السماء قال تعالى : ﴿وَكُلٌّ فِي فَلَّكٍ يَسْبَحُونَ﴾

(1) من سورة الصافات 37 : (الآية / 143) .

(2) النكت والعيون للماوردي : ج 1 / 97 .

(3) من سورة الأنبياء 21 : (الآية / 33) .

(4) من سورة النازعات 79 : (الآية / 3) .

(5) من سورة المزمل 73 : (الآية / 7) .

(6) مفردات ألفاظ القرآن للراغب الأصفهاني / 392 .

⁽¹⁾ كـ وعلى جري الفرس ، قالوا: فعل التسبيح لوحظ فيه معنى سرعة المرور في عبادة الله تعالى ، وأظهر منه أن يكون سبـحـ معنى نسب للسبـحـ أي البـعـد وأريد البـعـد الاعتـبارـي وـهـ الرـفـعـةـ أي

⁽²⁾ التنـزـيهـ عن أحـوالـ النـقـائـصـ)

من هنا نستفيد أن التسبـحـ بـمعـانـيـهـ الثـلـاثـ يتـضـمـنـ معـانـيـنـ :

الأول : سـرـعـةـ المـرـوـرـ فيـ عـبـادـةـ اللهـ ، والـثـانـيـ الـبـعـدـ وـهـ الرـفـعـةـ أيـ تـنـزـيهـ اللهـ عنـ النـقـائـصـ .
وـقـدـ وـرـدـ كـلـمـةـ التـسـبـحـ باـشـتـقـاقـاتـ مـتـعـدـدـةـ بـالـفـعـلـ الـماـضـيـ وـالـمـضـارـعـ
وـالـأـمـرـ وـالـمـصـدـرـ (ـ سـبـحـانـ)ـ .

الكلمة الثانية : يـسـوـمـونـكـمـ منـ قـوـلـهـ تعـالـىـ :

⁽³⁾ ﴿ وَإِذْ نَجَّنَاكُم مِّنْ أَلٰلٍ فِرْعَوْنَ يَسُومُنَّكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ ﴾

(وفي قوله تعالى : ﴿ يَسُومُنَّكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ ﴾ ثـلـاثـةـ تـأـوـيـلـاتـ :
أـحـدـهـاـ : معـناـهـ يـوـلـونـكـمـ منـ قـوـلـهـ : سـامـهـ خـطـةـ خـسـفـ إـذـ أـوـلـاهـ .
وـالـثـانـيـ : يـجـشـمـونـكـمـ الـأـعـمـالـ الشـاـقةـ .
وـالـثـالـثـ : يـزـيدـونـكـمـ عـلـىـ سـوـءـ العـذـابـ وـمـنـهـ مـساـوـمـةـ الـبـيـعـ إـنـاـ هـوـ أـنـ يـزـيدـ الـبـائـعـ المشـتـريـ
عـلـىـ الثـمـنـ ، وـيـزـيدـ المشـتـريـ عـلـىـ ثـمـنـ)ـ .

والـسـيـمـاءـ العـلـامـةـ فـكـأـنـهـ يـعـذـبـوـهـمـ وـيـوـلـوـهـمـ وـيـجـشـمـوـهـمـ الـأـعـمـالـ الشـاـقةـ وـيـكـلـفـوـهـمـ حـتـىـ تـظـهـرـ
عـلـيـهـمـ عـلـامـاتـ التـعـذـيبـ .

(1) من سورة يـسـ 36 : (الآية / 40) .

(2) التـحرـيرـ وـالـتـنـوـيرـ لـابـنـ عـاشـورـ : جـ 1 / 391 .

(3) من سورة الـبـقـرةـ 2 : (الآية / 49) .

(4) النـكـ وـالـعـيـونـ لـلـمـاـورـديـ : جـ 1 / 118 .

(السوم : أصله الذهاب في ابتغاء الشيء ، فهو لفظ لمعنى مركب من الذهاب والابتغاء ، وأجري مجرى الذهاب في قولهم : سامت الإبل ، فهي سائمة ، وجرى الابتغاء في قولهم : سمت

كذا ، قال : ^(١) ﴿يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ﴾ .

فالسوم أصله الطلب والابتغاء ، ويسمونكم معناها : يطلبون منكم الأعمال الشاقة بل ويحملونكم عليها غصباً ويجشمونكم التعذيب ويزيدون عليه تذبح الأبناء واستحياء النساء

وإبقاءهم للخدمة كما قال الله تعالى : ^(٢) ﴿يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ وَيَدْجُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحِيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَلِكُمْ بَلَاءٌ مِّنْ رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ﴾ ^٦ الواو في : (ويذبحون) تدل على معنى الريادة على (يسونكم) أي إضافة إلى سومكم العذاب : يذبحون أبناءكم ويستحيون نساءكم .

(^(٣) ﴿يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ﴾) : أي يكلفونكم ذلك ويحملونكم عليه ومنه سامه خسفاً أي حمله على مكرره ، وأصله الأرض التي لا يثبت عليها الماشي ، وأصل السوم الذهاب في ابتغاء الشيء)

وكلمة يسونكم توحى بالذل والاستعباد فكان الأقباط كانوا يعاملون الإسرائيelin معاملة العبيد بل أكثر .

(معنى يسونكم : يعاملونكم معاملة المحقوق بما عومل به ، يقال : سامه خسفاً إذا أذله واحتقره ، فاستعمل سام في معنى أنال وأعطي ، وحقيقة سام : عرض السوم أي الثمن ، وسوء العذاب أشد وافظعه وهو عذاب التسخير والإلهاق وتسلیط العقاب الشديد بتذبح الأبناء وسي ^(٤) النساء)

إذن معانى الكلمة يسونكم :

1 - يولونكم ويدلونكم ويحتقرنكم ويدعون تعذيبكم .

(١) مفردات ألفاظ القرآن للراغب الأصفهاني / 438 .

(٢) من سورة إبراهيم 14 : (الآية / 6) .

(٣) عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ للسمين الحلبي / 256 .

(٤) التحرير والتنوير لابن عاشور : ج 1 / 475 - 476 .

2 يطلبون منكم ويحملونكم ويجسدونكم الأعمال الشاقة .

3 يزيدونكم سوء العذاب من تذبح الأبناء وسبى النساء استعباداً لهن .

(يسومونكم : قيل معناه يذيقونكم ويلزمونكم إياه ، وقال أبو عبيدة : يولونكم ،

وقيل : يديرون تعذيبكم ، والسوم : الدوام ومنه سائمة الغنم لداومتها الرعي)⁽¹⁾ .

وهكذا نجد أن كلمة يسومونكم أعطت دلالات كثيرة وكلها مراده ويحتملها النص القرآني . فسبحان الله ما أبدع ألفاظ القرآن الكريم وأفصح دلالاتها .

الكلمة الثالثة : باؤوا من قوله تعالى :

⁽²⁾ ﴿ وَبَاءُو بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ ﴾

أي رجعوا به ولزموه واتخذوا الغضب منزلاً (والمبوء المنزل الذي يلزمهم

نازله وأصله من البواء وهو اللزوم)⁽³⁾

(﴿ بَكَاءٌ بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ ﴾)⁽⁴⁾ أي حلّ مبوأً ومعه غضب الله ، أي عقوبته ،

وقوله : (بغ ضب) في موضع حال كخرج بسيفه أي رجع لا مفعول نحو : مرّ بزيد ، واستعمال (باء) تنبئها على أن مكانه الموافق يلزم فيه غضب الله فكيف غيره

من الأمكنته ؟)⁽⁵⁾ .

كلمة باؤوا تعني : رجعوا بالغضب ولزموه واتخذوه منزلاً وكان الغضب مساوياً و كفؤاً لهم يستحقونه جراء وفاقاً لأفعالهم .

(باؤ : الباء والواو والهمزة أصلان : أحدهما : الرجوع إلى الشيء ، والآخر :

تساوي الشيئين ، فال الأول : الباءة والباءة منزلة القوم ، ومن هذا الباب قولهم : باء

(1) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي : ج 1 / 261 .

(2) من سورة البقرة 2 : (الآية / 61) .

(3) عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ للسمين الحلبي / 66 .

(4) من سورة الأنفال 8 : (الآية / 16) .

(5) مفردات ألفاظ القرآن للراغب الأصفهاني / 159 .

فلان بذنبه كأنه عاد إلى مبأته محتملاً لذنبه ، وقد بُؤت بالذنب ، وباءت اليهود
بغضب الله تعالى .

(¹) والأصل الآخر قول العرب : إن فلانا لبواه بفلان ، أي إن قتل به كان كفراً

فالبواه هو اللزوم والرجوع إلى الشيء والتساوي .

(²) **فَبَاءُو بِغَضَبٍ عَلَى غَضَبٍ** أي فرّجعوا من تلك الصفة وهي اشتراك
أنفسهم بالخسران المبين ، وهو تمثيل لحالم بحال الخارج بسلعته لتجارة فأصابته خسارة
فرجع إلى مترنه خاسراً ، شبيه مصيرهم إلى الخسران برجوع التاجر الخاسر)⁽³⁾ .

من هذا النص يتبيّن لنا معنيان من معاني كلمة باؤوا : الرجوع إلى المنزل المستحق
بخسارة وغضب .

(باؤوا : أي انقلبوا ورجعوا أي لزمهم ذلك ، ومنه قوله عليه الصلاة والسلام في
دعائه ومناجاته : ((أبوء بنعمتك ، وأبوء بذنبي))⁽⁴⁾ أي أقرّ بها وألزمها نفسي .
وأصله في اللغة : الرجوع ، يقال : باء بكندا أي رجع به ، وباء إلى المباءة وهي المنزل
أي رجع . والبواه : الرجوع بالقود . وهم في هذا الأمر بواه أي سواء يرجعون فيه إلى
معنى واحد)⁽⁵⁾ .

والبواه الرجوع وأكثر ما يستعمل في الشر .

(1) معجم مقاييس اللغة لابن فارس : 312 - 313 .

(2) من سورة البقرة 2 : (الآية / 90) .

(3) التحرير والتنوير لابن عاشور : ج 1 / 588 .

(4) الحديث : رواه ابن ماجه كتاب الدعاء باب 14 ، ج 2 / 1274 رقم الحديث : 3872 ، قال الألباني صحيح، ورواه
أحمد : 23063 (356/5) قال شعيب إسناده صحيح رجاله ثقات ، ورواه أبو داود : 5072 (478 / 4) قال الألباني
صحيح .

(5) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي : ج 1 / 292 .

نخلص من هذا إلى معانٍ كلمة باؤوا رجعوا ولموا **المُنْزَل** (منزل الغضب) .
وكان يسألهوا في العقوبة فالله جل جلاله لا يظلم مثقال ذرة .

(١) ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ ﴾

(٢) ﴿ وَبَاءُو بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ ﴾ من قولك باء فلان بفلان إذا كان حقيقاً بأن يقتل به
لمساواته له ومكافأته أي صاروا أحقاء بغضبه وذلك بسبب كفرهم وقتلهم الأنبياء
تلك هي المساومة المقصودة في الكلمة (باؤوا) حيث استحقوا ذلك الغضب وكانوا
أحقاء بذلك .

(وفي قوله تعالى : ﴿ وَبَاءُو بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ ﴾ ثلاثة تأويلاً :
أحدها : **المنزلة** ومعناه : أنهم نزلوا بمنزلة غضب الله .
والثاني : **التسوية** ومعناه : أنهم تساووا بغضب من الله .

(٣) والثالث : أن معناه أنهم رجعوا بغضب من الله . قال البواء : الرجوع)
فما أبدع ألفاظ القرآن الكريم حيث أعطت الكلمة واحدة ثلاثة معانٍ .

الكلمة الرابعة : انظرنا من قوله تعالى :

(٤) ﴿ يَتَأَيَّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقُولُوا رَاعِنَا وَقُولُوا أَنْظَرْنَا وَاسْمَعُوا ﴾
(٥) ﴿ وَقُولُوا أَنْظَرْنَا ﴾ أي انظر إلينا ، وقيل معناه : انتظروا وتأنّ بنا وفهمنا) .
(٦) (والنظر : الانتظار ، يقال : نظرته وانتظرته وأنظرته أي آخرته)

(١) من سورة النساء 4 : (الآية / 40) .

(٢) الكشاف للزمخشري : ج 1 / 72 .

(٣) النكت والعيون للماوردي : ج 1 / 130 .

(٤) من سورة البقرة 2 : (الآية / 104) .

(٥) تفسير الخازن : ج 1 / 72 .

(٦) مفردات ألفاظ القرآن الكريم للراغب الأصفهاني / 813 .

من معاني الكلمة انظرنا : انتظرنَا وآخرنا وأيضا انظر إلينا ، والمعنى الثالث : أقبل إلينا وفهمنا .

(﴿وَقُولُواْ أَنْظِرْنَا﴾) أمرُوا أن يخاطبُوه صلٰى الله عليه وسلم بالإجلال ، والمعنى : أقبل علينا وانظر إلينا ، وقال مجاهد : المعنى فهمنا وبين لنا ، وقيل : المعنى: انتظرنَا وتأنّ بنا، والظاهر استدعاء نظر العين المترن بتدبر الحال⁽¹⁾ معنى أنه ليس فقط النظر المجرد ، وإنما المراد : فهمنا وبين لنا وأقبل علينا وانتظرنَا وتأنّ بنا .

(﴿وَقُولُواْ أَنْظِرْنَا﴾) أبدلُهم بقولهم : (راعنا) الكلمة تساويها في الحقيقة والمحاز وعدد الحروف والمقصود ، من غير أن يتذرع بها الكفار لأذى النبي صلٰى الله عليه وسلم ، وهذا من أبدع البلاغة ، فإن نظر في الحقيقة يعني حرس وصار مجازا على تدبير المصالح ، ومنه قول الفقهاء : هذا من النظر ، والمقصود منه الرفق والمراقبة في التيسير⁽²⁾

وهكذا كلمات القرآن تعطي معاني كثيرة ، وكلها مراده من النص القرآني .

الكلمة الخامسة : أفضتم من قوله تعالى :

(﴿فَإِذَا أَفَضْتُم مِنْ عَرَفَتِ فَأَذْكُرُوا اللَّهَ عِنْدَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ﴾)⁽³⁾

(﴿فَإِذَا أَفَضْتُم﴾) فيه ثلاثة أقاويل :

أحدُها : معناه فإذا رجعتم من حيث بدأتم .

والثاني : أن الإفاضة : الدفع عن اجتماع كفيض الإناء عن امتلاء .

والثالث : أن الإفاضة الإسراع من مكان إلى مكان⁽⁴⁾

(1) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي : ج 1/ 42 .

(2) التحرير والتنوير لابن عاشور : ج 1/ 633 .

(3) من سورة البقرة 2 : (الآية / 198) .

(4) النكت والعيون للماوردي : ج 1/ 260 .

كلمة أفضض احتملت في اللغة وفي الآية الكريمة ثلاثة معان : 1) رجع من حيث بدأ ، أي سيرجع الحاج إلى مكة حيث بدأ منها . 2) ودفع عن اجتماع كبير وهو اجتماع الحجاج في عرفة ومزدلفة . 3) وأسرع .

(والإفاضة هنا : الخروج بسرعة ، وأصلها من فاض الماء إذا كثر على ما يحويه فبرز منه وسال ، ولذلك سموا الخروج من عرفة إفاضة لأنهم يخرجون في وقت واحد وهم عدد كثير فتكون لخروجهم شدة ، والإفاضة أطلقت في هاته الآية على الخروج من عرفة والخروج من مزدلفة .

والعرب كانوا يسمون الخروج من عرفة الدفع ، ويسمون الخروج من مزدلفة إفاضة ، وكلما الإطلاقين مجاز ، لأن الدفع هو إبعاد الجسم بقوة ، ومن بلاغة القرآن إطلاق الإفاضة على الخروجين ، لما في أفضض من قرب المشابهة من حيث معنى الكثرة دون الشدة . ولأن في تحبب (دفعتم) تحبباً لتوهم السامعين أن السير مشتمل على دفع بعض الناس ببعض ، لأنهم كانوا يجعلون في دفعهم ضوضاء وجبلة وسرعة سير فنهاهم النبي صلى الله عليه وسلم عن ذلك في حجة الوداع)⁽¹⁾

يتبيّن لنا معاني الكلمة : أفضض خرجتم بسرعة ودفعتم عن كثرة . أي دفعتم منها بكثرة تشبيهاً بفيض الماء ، وبسرعة .

إذن جمعت الكلمة أفضض بين ثلاثة معان : الخروج ، والسرعة ، والكثرة . كلها دلالات توحى بها الكلمة : أفضض ، مما أبدع ألفاظ القرآن الكريم !!

الكلمة السادسة : يؤلون من قوله تعالى :

﴿لِلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِنْ يَسَائِهِمْ تَرْبُصُ أَرْبَعَةُ أَشْهُرٍ﴾⁽²⁾

. 234 / ج 2 (التحرير والتنوير لابن عاشور)

. 226 / الآية 2 : (من سورة البقرة)

قال الله يؤلون ولم يقل : يحلفون ، لأن الإيلاء يقتضي التقصير في حق المخلوف عليه ، وهو مشتق من الألو وهو التقصير ، ومنه لا يألو جهداً أبداً لا يقصر ، والإيلاء فيه إجحاف وقصیر في حق المرأة التي حلف زوجها أن لا يقربها ، وعدى الفعل بمن وحده أن يُعدّى بعلى لأن الإيلاء ضمن معنى الابتعاد فكأنه الذي ابتعد من زوجته .

(ألو : الألو التقصير ، قال تعالى : ﴿لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا﴾⁽¹⁾ أي لا يقتصرن في إفساد أمركم ، ولا يتقون غاية في إيقاعكم في الفساد ، يقال : أصابه داء فخجل به ، ولا آله نصحاً أبداً لا أقصر في نصحه ، قال الأزهري : الألو يكون جهداً ، ويكون تقصيرًا ، ويكون استطاعة ، يقال : ما آله أبداً ما أستطيعه .

وقوله : ﴿لِلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِن نِسَائِهِم﴾⁽²⁾ أي يحلفون ، والألية : اليمين ، وضمن معناها الامتناع ، فتعدى بمن يقال : آلى من أمراته يولي إيلاء فهو مؤول ، قال الراغب : والألية الحلف المقضي التقصير في الأمر الذي يحلف عليه ، والإيلاء في الشرع : الحلف المانع من جماع المرأة⁽³⁾

إذن معاني كلمة يؤلون : يحلفون ويقتصرن في حق نسائهم ، ويتبعون ويتعدون ويجهدون ويستطيعون البعد عن نسائهم المدة المذكورة في الآية وهي أربعة أشهر . فالإيلاء حلف على الامتناع والترك ، لأن التقصير لا يتحقق بغير معنى الترك ، وهو الذي يشهد به أصل الاشتقاد من الألو .

والامتناع والترك يعطي معنى البعد فكأن الله قال : للذين يؤلون متبعدين من نسائهم .

فمعنى كلمة يؤلون : يحلفون ويتبعون ويقتصرن . وكلها تنطبق على اللفظة القرآنية وعلى المعنى المراد من الآية فسبحان الله .

(1) من سورة آل عمران 3 : (الآية / 118) .

(2) من سورة البقرة 2 : (الآية / 226) .

(3) عمدة المخاطب في تفسير أشرف الألفاظ للسمين الحلبي : 22 .

الكلمة السابعة : واعتصموا من قوله تعالى :

﴿ وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا ﴾⁽¹⁾

(واعتصم فلان بالله إذا امتنع من الشر به ، وأعتصم فلانا : هيأت له ما يعتصم به، وكل متمسك بالشيء : معصيم ، وأعصم فلان إذا لزمك)⁽²⁾

(عصم : العين والصاد والميم أصل واحد صحيح يدل على إمساك ومنع وملازمة ، والمعنى في ذلك كله معنى واحد . من ذلك العصمة : أن يعصم الله تعالى عبده من سوء يقع فيه . واعتصم العبد بالله تعالى : إذا امتنع ، واستعصم : التجأ ، وتقول العرب : أعصمت فلانا أي هيأت له شيئاً يعتصم بما نالته يده أي يلتجيء ويتمسك به .

والعصمة كل شيء اعتصم به ، وعصمه الطعام : منعه من الجوع ، ومن الباب : العصمة : القلادة سميت بذلك للزومها العنق)⁽³⁾

نخلص من هذا على أن الكلمة : اعتصموا لها ثلاثة معانٍ : تمسكوا بأوامر الله ، والتزموا بها ، وامتنعوا بالله مثل قوله تعالى : ﴿ وَاللَّهُ يَعِصِمُكَ مِنَ النَّاسِ ﴾⁽⁴⁾ أي ينبعك من الناس .

(والاعتصام : التمسك بالشيء قال تعالى :

﴿ ﴾⁽⁵⁾

﴿ وَمَنْ يَعْتَصِمْ بِاللَّهِ ﴾⁽⁶⁾)⁽⁷⁾

(1) من سورة آل عمران 3 : (الآية / 103) .

(2) بجمل اللغة لابن فارس / 671 مادة عصم .

(3) معجم مقاييس اللغة لابن فارس : ج 2 / 331 ————— 333 .

(4) من سورة المائدة 5 : (الآية / 67) .

(5) من سورة آل عمران 3 : (الآية / 103) .

(6) من سورة آل عمران 3 : (الآية / 101) .

(7) مفردات ألفاظ القرآن للراغب الأصفهاني : 570 .

(﴿ وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا ﴾) أي امتنعوا بالقرآن ، والاعتصام الامتساك بالشيء، والاستعصام الاستمساك ، قوله : (﴿ وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ ﴾) أي استمسكوا به ، قوله تعالى : (﴿ وَمَن يَعْصِمْ بِاللَّهِ ﴾) أي يتمسك ويتمكن⁽¹⁾

(﴿ وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا ﴾) أمر الله المسلمين بالاجتماع على الدين وعدم التفرق ليكتسبوا باتحادهم قوة ونماء . لكن لفظة (اعتصموا) أعطت معانٍ كثيرة منها : استمسكوا بمعنى التزموا بشدة ولا تترکوا الدين وامتنعوا بهذا الدين والقرآن ، أي احموا أنفسكم واحفظوها من المعاصي والذنوب بسبب تمسككم بالدين والقرآن .

والجملة القرآنية (﴿ وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا ﴾) فيها تمثيل لهيئة اجتماع والتلاف المسلمين على دين الله ووصاياته وعهوده ب الهيئة استمساك جماعة بحبل ألقى إليهم من منقد لهم من غرق أو سقوط .

وهكذا كان حبل الله هو دين الله المتن المنقد من اعتصم به من أوحال الشرك والمعاصي والذنوب ، قال الله تعالى : (﴿ وَمَن يُسْلِمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى ﴾)⁽²⁾ ، فمن اعتصم بالقرآن العظيم وبقوانين الشرع القويم فقد هدي على صراط مستقيم ، وأمن من الغواية المؤدية إلى نار الجحيم .

الكلمة الثامنة : تفأ من قوله تعالى : (﴿ قَالُوا تَالَّهُ تَفْتَأِ تَذَكَّرْ يُوسُفَ حَتَّى تَكُونَ حَرَضًا أَوْ تَكُونَ مِنَ الْهَلَكِينَ ﴾)⁽³⁾

(1) عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ للسمين الحلبي : 366.

(2) من سورة لقمان 31 : (آلية / 22).

(3) من سورة يوسف 12 : (آلية / 85).

تفتاً بمعنى (لا تزال) وهي من أخوات كان ، وفتى في اللغة لها ثلاثة معانٍ : الأول : سكن لأنه عندما لا يسكن فهو مستمر ، والثاني : نسي ، يقال : فتئت الأمر أي نسيته ، والثالث : أطفأ ، يقال : فتئ النار أي أطفأها .

والأصل أن يقال : لا تفتا ، ولم تمحف لا إلا في هذا القسم ، ومن الناحية النحوية يجوز إثبات لا ومحفتها ، وفتى تفيد الاستمرار مستغنٍّ عن حرف النفي ، لكن إحواة يوسف أقسموا على أمر لا يعلمونه حق العلم ، بل تصوروه فقط وهو غير مؤكد .

وقاد العزيز من البشر يسكن بعد فترة وينسى إلا أن يعقوب عليه السلام لم يسكن ولم ينس

⁽¹⁾ بدليل قوله تعالى : ﴿ وَابْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنْ الْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ ﴾ ٨٤

(﴿ قَالُوا تَالَّهُ تَفْتَأِ تَذَكَّرُ يُوسُف﴾ قال ابن الأنباري : معناه والله وجواب هذا القسم : لا المضمرة التي تأوي لها : تالله لا تفتا ، فلما كان موضعها معلوماً خفف الكلام بسقوطها من ظاهره كما تقول العرب : والله أقصدك أبداً ، يعنون : لا أقصد وأما قوله تفتا : فقال المفسرون وأهل اللغة معنى تفتا تزال ، فمعنى الكلام لا تزال تذكر يوسف) .

وجواب القسم هو جملة (تَفْتَأِ تَذَكَّرُ يُوسُف) والمقصود من هذا اليمين (تالله) الإشفاق عليه بأنه صائر إلى الهالك بسبب عدم تناصيه مصيبة يوسف عليه السلام ، وليس المقصود تحقيق أنه لا ينقطع عن تذكر يوسف .

(ومعنى تفتا : تفتر ، يقال : فتى إذا فتر عن الشيء ، والمعنى : لا تفتر في حال كونك تذكر يوسف ، ولللازمية النفي لهذا الفعل ولزوم حال يعقب فاعله صار شبيها بالفعال الناقصة)⁽³⁾

(وتفتاً : هنا ناقصة بمعنى لا تزال فترفع الاسم وهو الضمير ، وتنصب الخبر وهو الجملة من قوله (تذكر) أي لا تزال ذاكراً له ، ويقال : ما فتئ زيد ذاهباً .

(1) من سورة يوسف 12 : (الآية / 84) .

(2) زاد المسير في علم التفسير لابن الجوزي : ج 4 / 271 - 272 .

(3) التحرير والتنوير لابن عاشور : ج 12 / 109 .

وفيها لغتان : فتأً على وزن ضرب ، وأفتأ على وزن أكرم ، وتكون تامة بمعنى سكن
⁽¹⁾
 وأطفأ .

ومن هنا نصل إلى أن الكلمة تفتأ لها ثلاثة معانٍ في هذه الآية الكريمة :

- 1 - لا تفتر تذكر يوسف .
- 2 - لا تنسى تذكر يوسف .
- 3 - لا تسكن تذكر يوسف .

الكلمة التاسعة : فسينغضون من قوله تعالى : ﴿فَسَيُنْغَضُونَ إِلَيَّكَ رُؤُوسُهُمْ وَيَقُولُونَ

⁽²⁾ مَتَّ هُوَ قُلْ عَسَى أَنْ يَكُونَ قَرِيبًا ⑤١

(نغض : النون والغين والضاد أصل صحيح يدل على هز وتحريك ، من ذلك : الغضان : تحرك الأسس _____نان ، والإلغاض : تحريك الإنسان رأسه نحو صاحبه كالمتعجب منه قال الله سبحانه : ﴿فَسَيُنْغَضُونَ إِلَيَّكَ رُؤُوسُهُمْ﴾ والبغض : الظليم (ذكر العامة) لاضطراب رأسه عند مشيه ، والناغض والنغض : غرضوف الكتف سمي لاضطرابه) المعنى الأول للكلمة : يغضون يحركون رؤوسهم .

⁽³⁾ ﴿فَسَيُنْغَضُونَ إِلَيَّكَ رُؤُوسُهُمْ﴾ قال ابن عباس وقتادة : أي يحركون رؤوسهم استهزاءاً
⁽⁴⁾ وتكذيباً

المعنى الثاني للكلمة : تحريك الرؤوس استهزاء .

(1) الدر المصنون في علوم الكتاب المكتوب للسميين الخليبي : ج 6 / 546 .

(2) من سورة الإسراء 17 : (الآية / 51) .

(3) معجم مقاييس اللغة لابن فارس : ج 3 / 454 .

(4) النكت والعيون للمماوردي : ج 3 / 248 .

(قال قنادة : يحر كونها تكذيا واستهرا ، قال الفراء : يقال : أنغض رأسه : إذا حر كه إلى فوق وإلى أسفل ، وقال ابن قتيبة : المعنى يحر كونها كما يحرك الآيس من الشيء المستبعد له رأسه . يقال : نغضت سنه : إذا تحركت) ⁽¹⁾ .

⁽²⁾ (فسينعمضون إليك رؤوسهم : أي يحر كونها كما يحرك اليائس من المستبعد له رأسه) فتحريك رؤوس الكفار تحريك يائس ومتعجب ومستهزئ ومستبعد . فاليأس والتعجب والاستبعاد سببه الجهل بقدرة الله والكفر به ، والاستهزاء سببه الكبر والعناد .

(عن ابن عباس وقناة : فسيهزون لك رؤوسهم برفع وخفض ، وكذلك المنغض في كلام العرب إنما هو حركة ارتفاع ثم انخفاض أو انخفاض ثم ارتفاع ، ولذلك سمى الظليم نغضا لأنه إذا عجل المشي ارتفع وانخفض وحرك رأسه . فالإنغاض بمعنى التحريك مع الاهتزاز والاضطراب فليس كل تحريك إنغاضا .

ويقوى المعنى إذا فهمنا الآية . بهذا الملاحظ من الارتجاف والاضطراب حين يصبك سمعهم

البرهان المفحى : ﴿ قُلْ كُوْنُوا حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا ﴾ ^{٥٠} أَوْ خَلَقَ مِمَّا يَكْنِي فِي صُدُورِكُمْ
فَسَيَقُولُونَ مَنْ يُعِيدُنَا قُلِ الَّذِي فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةً ⁽³⁾

فالإنغاض ليس فقط تحريك الرؤوس وإنما هو اهتزاز واضطراب وارتفاع وانخفاض يناسب حالة الكفار التي هم عليها من الاستهزاء واليأس والاستبعاد والغباء .

(والإإنغاض : التحريك من أعلى إلى أسفل والعكس ، فالانخفاض الرأس تحريكه كذلك وهو تحريك الاستهزاء) ⁽⁴⁾

(إذا أخبر بشيء فحرّك رأسه إنكارا له فقد أنغض) ⁽⁵⁾ .

(1) زاد المسير في علم التفسير لابن الجوزي : ج 5 / 45 .

(2) تفسير غريب القرآن لابن قتيبة : 257 .

(3) من سورة الإسراء 17 : (الآياتان / 50 - 51) .

(4) التحرير والتنوير لابن عاشور : ج 14 / 103 .

(5) الدر المصنون في علوم الكتاب المكتوب للسميين الحلبي : ج 7 / 368 .

فإِنَّكَارَ قَرِيبٌ مِّنِ الْأَسْتِبْعَادِ وَالْأَيْسِ وَالتَّعَجُّبِ وَكُلُّهَا تَنْطِقُ عَلَى الْكُفَّارِ الَّذِينَ يَنْكِرُونَ
البعث. المعنى الثالث : الغباء .

وَهَكُذا يَكُونُ مِنْ مَعَانِي كَلْمَةِ يَنْغُضُونَ : تَحْرِيكُ الرَّؤُوسِ مَعَ الْاَهْتِزَازِ وَالاضْطِرَابِ
وَالْاسْتِهْزَاءِ إِضَافَةً إِلَى الغباء ، حِيثُ يُسَمِّي الظَّلِيمُ (ذِكْرُ النَّعَامَةِ) بِالنَّغْضِ لِأَنَّهُ غَيِّرَ بِلٍ يَضْرِبُ بِهِ
الْمُثَلَّ فِي الغباء حِيثُ إِذَا طَارَدَهُ الْعُدُوُّ وَأَرَادَ أَنْ يَخْتَبِئَ مِنْهُ فَإِنَّهُ يَدْسُ رَأْسَهُ الصَّغِيرَ فِي التَّرَابِ وَيَقْنِي
بِأَقْيَ جَسْمَهُ الْكَبِيرَ خَارِجَهُ وَهُوَ يَظْنُ أَنَّهُ قَدْ اخْتَفَى عَنْ أَعْيُنِ الْعُدُوِّ .

وَكَذَلِكَ لِفَظَةِ (فَسِينَغُضُونَ) تَنَاسُبُ سِيَاقِ الْغَبَاءِ ، وَهِيَ تُشَيرُ فِينَا إِضَافَةً إِلَى التَّحْرِيكِ
اسْتِهْزَاءَ قَضِيَّةِ الْغَبَاءِ الشَّدِيدِ لِهُؤُلَاءِ الَّذِينَ جَاءَ السِّيَاقُ لِيَعْبُرَ عَنْ أَسْوَأِ درَجَاتِ غَبَائِهِمْ ، وَذَلِكَ أَنَّهُ
لَمَّا كَانَ إِلَيْهِمُ الْإِخْبَارُ عَنْهُمْ قَبْلَ هَذَا يَقْتَضِيُ أَنَّهُمْ لَا يَفْقَهُونَ مَعَانِي الْقُرْآنِ أَتَبَعَ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ يَعْرَضُونَ عَنْ
فَهُمْ مَا فِيهِ خَيْرٌ لَهُمْ إِذَا سَمِعُوا مَا يَبْطِلُ إِلَهِيَّةَ أَصْنَامِهِمْ فَهَمُوا ذَلِكَ فَوَلَّوْا عَلَى أَدْبَارِهِمْ فَوْرًا ،

وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكْنَةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي أَذْانِهِمْ وَقْرًا وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِي الْقُرْءَانِ وَحْدَهُ وَلَوْا عَلَى
⁽¹⁾ أَدْبَرِهِمْ نَفُورًا 

الكلمة العاشرة : وَقَرْنَ مِنْ قَوْلِهِ تَعَالَى :

⁽²⁾ الْجَهِيلِيَّةُ الْأُولَى 

وَقَرْنَ لَهَا ثَلَاثَةُ معانٍ :

المعنى الأول : من القرار في المكان وهي من قولهم قررت في المكان أقر .

المعنى الثاني : بمعنى قرة العين من الفعل قررت . والمعنى : واقررن به عيونا في بيوتكن ، أي
لكن في بيوتكن قرة عين ، فلا تتطلعن إلى ما حاوز ذلك ، فيكون ذلك كناية عن ملازمة بيوتكن

المعنى الثالث : قررن فعل أمر من : قار يقار إذا اجتمع ، ومنه القارة لاجتماعها .

(1) من سورة الإسراء 17 : (الآية / 46).

(2) من سورة الأحزاب 33 : (الآية / 33).

(قرّ في مكانه يقرّ قرارا ، إذا ثبت ثبّوتا جامدا ، وأصله من القرّ وهو البرد ، وهو يقتضي السكون ، والحر يقتضي الحركة)⁽¹⁾

إذن هنا يتضح معنى من معانٍ القرار وهو السكون والاستقرار في البيت .

(قرّ بالمكان يقرّ به بالفتح في المضارع ، أو من قارّ يقارأ أي اجتماع فيكون مثل خفى من الخوف ، ويوم القر يوم من أيام النحر لاستقرار الناس فيه بمعنى)⁽²⁾ .

نستنتج المعنى الثاني لكلمة (وقرن) وهو الاجتماع حيث تجتمع المرأة بأهل بيتها وأسرتها بل هي بقرارها في بيتها مصدر الاجتماع والأنس والقرب وبدونها لا يحصل اجتماع .

(وقرن : أي الزَّمِن بيوتكن فلا يخرجن لغير حاجة)⁽³⁾

(وَقَرْنَ فِي بِيُوتِكُنْ) من القرار ، وقرة العين)⁽⁴⁾

فالقرار هو الاستقرار في البيت وعدم الخروج إلا حاجة ، وفي هذا قرة العين والسعادة الكاملة للمرأة وللمجتمع كله فإن المرأة إذا خرجت من بيتها زينها الشيطان في عيون الرجال وأول فتنة بني إسرائيل كانت في النساء .

(وَقَرْنَ فِي بِيُوتِكُنْ) هذا أمر خُصّصْن به وهو وجوب ملازمتهن ببيوتكن توقيرا لهن ، وقوية في حرمتهن ، فقرارهن في بيوتكن عبادة . وقرأ نافع وعاصم بفتح القاف وهي لغة أهل الحجاز من قرّ بمعنى أقام واستقرّ يقولون : قررت في المكان ، وزعم بعضهم أن قررت بكسر الراء في الماضي لا يرد إلا في معنى قرة العين ، وزعم النحاس أن تفسير الآية على هذه القراءة أنها من قرة العين ، وأن المعنى : واقررن عيونا في بيوتكن ، أي كلن في بيوتكن قرة عين فلا تتطلعن إلى ما جاوز ذلك ، أي فيكون كنایة عن ملازمة ببيوتكن . وقرأ بقية العشرة (وقرن) بكسر القاف

(1) مفردات ألفاظ القرآن للراغب الأصفهاني / 662 .

(2) عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ للسمين الحلبي / 451 .

(3) تفسير القرآن العظيم لابن كثير : ج 3 / 482 .

(4) تفسير غريب القرآن لابن قتيبة / 350 .

من القرار ، ومن الوقار ، فيكون كنایة عن ملازمة بيوقن مع الإيماء إلى علة ذلك بأنه وقار هن

(1)
()

من هنا نصل إلى معانٍ كلمة : (وقرن) أي استقرار في بيتكن والزموها ، واجتمعوا بأفراد أسرتكم وقرروا عينا بذلك ولا تندموا فبقاؤكم في البيت عبادة لأنّه استجابة لأمر الله سبحانه .

(وقرن : قرأ نافع وعاصم بفتح القاف والباقيون بكسرها ، فأما الفتح فمن وجهين : أنه أمر من قررتُ في المكان أقرّ به بالفتح ، والوجه الثاني : أنها أمر من قار يُقار كخاف يخاف إذا اجتمع (2) منه القارة لاجتماعها) .

(وأما قراءة أهل المدينة وعاصم فعلى لغة العرب : قررت في المكان إذا أقمت فيه ، وقال المازني : قررت به عينا بالكسر من قرة العين)
وهكذا كان لكل قراءة معانٍ متعددة مما يدل على سعة معانٍ ألفاظ اللغة العربية وكلها مراده من النص القرآني فسبحان الله العليم الحكيم ! .

الكلمة الحادية عشرة : أوي من قوله تعالى :

(4)  **المَدِيد**

(أوي معه : سبحي معه إذا سبح ، والتأويب عند العرب : الرجوع ومبيت الرجل في منزله وأهله)
(5)

من هنا نستنتج معنيين لكلمة أوي : سبحي معه ليس مرة واحدة فقط وإنما رددي معه كلما ردّد لأن التأويب معناه الترجيع والتردّي .

1) التحرير والتنوير لابن عاشور : ج 21 / 242 .

2) الدر المصنون في علوم الكتاب المكتوب للسمين الحلبي : ج 9 / 121 .

3) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي : ج 7 / 116 .

4) من سورة سباء 34 : الآية / 10 .

5) تفسير الطبرى : ج 10 / 349 .

(^١) التأويب : سير النهار و معناه هنا رجعي بالتسبيح كلها .
هنا أضيف معنى آخر للتأويب وهو سير النهار . فيكون معنى أوي : سبحي معه مرددة
مراجعة نهارا .

(والتأويب : الترجيع أي ترجيع الصوت ، وقيل : التأويب بمعنى التسبيح لغة حبسية فهو
^٢ من المعرب في اللغة العربية)
لذلك كان لكل كلمة (أوي) ثلاثة معانٍ : سبحي معه ، ورجعي معه ، وسيري معه
حيث شاء .

(^٣) يَجِبَالُ أَوْيَ مَعَهُ أَي وقلنا يا جبال أوي معه ، أي سبحي معه ، لأنه قال تبارك
وتعالى : (^٤) إِنَّا سَخَرْنَا الْجَبَالَ مَعَهُ، يُسَبِّحُ بِالْعَشِيِّ وَالإِشْرَاقِ ١٨ ومعنى تسبيح الجبال : هو
أن الله تعالى خلق فيها تسبيحا كما خلق الكلام في الشجرة ، فيسمع منها ما يسمع من المسبح
معجزة لداود عليه الصلاة والسلام وقيل : المعنى : سيри معه حيث شاء من التأويب الذي هو
سير النهار أجمع وينزل الليل .

(^٤) وقيل : رجعي معه من آب يؤوب إذا رجع أوبا وأوبه وإيابا)
فكأن الله أمر الجبال والطير بترديد التسبيح مع سيدنا داود عليه السلام النهار كله إلى الليل .

(قال الزجاج : المعنى : وقلنا : يا جبال أوي معه أي رجعي معه والمعنى : سبحي معه
ورجعي التسبيح ، ومن قرأ : أوي معناه : عودي في التسبيح معه كلما عاد ، وقال ابن قتيبة:
أوي أي سبحي وأصل التأويب في السير وهو أن يسير النهار كله وينزل ليلا فكأنه أراد : ادأي
^٥ النهار كله بالتسبيح إلى الليل)

والتأويب الترجيع وهو الترديد وفيه معنى الرجوع أي ارجعني معه إذا رجع في آخر النهار .

(١) عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ للسمين الحلبي / 32 .

(٢) التحرير والتنوير لابن عاشور : ج 22 / 25 .

(٣) من سورة ص 38 : (الآية / 18) .

(٤) الجامع لحكام القرآن للقرطبي : ج 7 / 170 .

(٥) زاد المسير في علم التفسير لابن الجوزي : ج 6 / 435 .

(أوبي معناه : ارجعني معه لأنه مضاعف آب يؤوب ، فقال ابن عباس وقناة معناه : سبحي معه أي يسبح هو وترجع هي معه التسبيح ، أي ترده بالذكر ثم ضوعف الفعل للمبالغة ، وقيل معناه : سيري معه لأن التأويب سير النهار ، كان الإنسان يسير بالليل ثم يرجع السير بالنهار أي يردد فكأنه يؤوبه فقيل له التأويب)⁽¹⁾

وهكذا كان لكلمة أوبي ثلاثة معانٍ وكلها مراده ويحملها النص القرآني وتحتملها اللغة العربية . مما أعظم القرآن الكريم حين نزل باللغة العربية الرائعة من رب الأرض والسماءات .

(1) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز لابن عطية : ج 4 / 407 .

المبحث الثالث

ما يحتمل أكثر من ثلاثة معانٍ

الكلمة الأولى : يقيمون من قوله تعالى : ﴿الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيَعْمَلُونَ الصَّلَاةَ وَمَا رَأَقُنُمْ يُنفِقُونَ﴾

(1)

(يقال قام يقوم قياما فهو قائم ، وجمعه قيام وأقامه غيره ، وأقام بالمكان إقامة ، والقيام على أضرب : قيام بالشخص إما بتسخير أو اختيار ، وقيام للشيء هو المراعة للشيء والحفظ له ، وقيام هو على العزم على الشيء ، وقوله : ﴿وَيَعْمَلُونَ الصَّلَاةَ﴾ أي يديرون فعلها ويحافظون عليها ، والقيام والقوم اسم لما يقوم به الشيء أي يثبت)⁽²⁾
لم يقل الله : يؤدون الصلاة أو أدوا الصلاة ، وإنما قال : أقيموا الصلاة ويقيمون الصلاة ، والتأدية غير الإقامة ، فالتأدية تأديتها بأي شكل كان ، أما الإقامة فإقامتها بأركانها وشروطها وخشوعها حتى تكون فعلا مستقيمة كاملة .

(وفي قوله تعالى : ﴿وَيَعْمَلُونَ الصَّلَاةَ﴾ تأويلان :
أحدهما : يؤدونها بفروضها .

والثاني : أنه إمام الركوع والسجود والتلاوة والخشوع فيها وهذا قول ابن عباس ، وانختلف لم سمي فعل الصلاة على هذا الوجه إقامة لها على قولين :
أحدهما : من تقويم الشيء من قوله : قام بالأمر إذا أحكمه وحافظ عليه .

(1) من سورة البقرة 2 : (الآية / 3) .

(2) مفردات ألفاظ القرآن للراغب الأصفهاني / 690

والثاني : أنه فعل الصلاة سمي إقامة لها لما فيها من القيام ، فلذلك قيل : قد قامت الصلاة
(¹)

من معانٍ يقيّمون :

1 — يعذّلون : من تقويم الشيء أي تعديله ، أي كان معوجاً فعدّله وقوّمه ، أي يقيّمون الصلاة
معدلة كاملة مستقيمة .

2 — يؤدون : عبر عن الأداء بالإقامة ، لأن القيام بعض أركانها ، ولذلك قيل : قد قامت
الصلاه .

3 — يداومون ويحافظون عليها ، أي لا يتراكمون منها صلاة .
4 — يقيّمون الصلاة أي يؤدونها بنشاط وهمة وعزيمة ، ولا يفترون عنها .

(ومعنى إقامة الصلاة :

1) تعديل أركانها وحفظها من أن يقع زيف في فرائضها وسنتها وآدابها من أقام العود إذا قوّمه .

2) أو الدوام عليها والمحافظة عليها كما قال عز وعلا : ﴿الَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ﴾ (٢٣)

(²) ﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَواتِهِمْ يُحَافِظُونَ﴾ (٩) (³) من قامت السوق إذا نفقت وأقامها ، لأنها
إذا حفظ عليها كانت كالشيء النافق الذي تتوجه إليه الرغبات ، ويتنافس فيه المحصلون ، وإذا
عطلت وأضيعت كانت كالشيء الكاسد الذي لا يرغب فيه .

3) أو التحلّد والتشرّم لأدائها ، وأن لا يكون في مؤديها فتور عنها ولا توان ، من قوله : قام
بالأمر وقامت الحرب على ساقها ، وفي ضده : قعد عن الأمر وتقاعد عنه إذا تقاعس وتشبط .

4) أو أداؤها : فعبر عن الأداء بالإقامة لأن القيام بعض أركانها ، كما عبر عنه بالقنوت ،
والقنوت : القيام ، وبالركوع وبالسجود ، وقالوا سبّح إذا صلى لوجود التسبيح فيها ﴿فَلَوْلَا
أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ﴾ (١٤٣) (⁴)

(1) النكّ والعيون للماوردي : ج 1 / 69 .

(2) من سورة المعارج 70 : (الآية / 23) .

(3) من سورة المؤمنون 23 : (الآية / 9) .

(4) من سورة الصافات 37 : (الآية / 143) .

وإذا تعددت معانى الكلمة دل ذلك على أهمية الشيء المقربون بها وهو الصلاة لأنها عمود الدين ، ويجب الإتيان بها بنشاط كما قال تعالى : ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا نُودِي لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ﴾⁽²⁾ الكلمة (فاسعوا) تدل على النشاط إذ الكسل صفة تدل على النفاق ، قال الله تعالى : ﴿وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كُسَالَى﴾⁽³⁾ (وأصل القيام في اللغة هو الانتصار المضاد للجلوس والاضطجاع ، وإنما يقوم القائم لقصد عمل صعب لا يتأنى من قعود ، فيقوم الخطيب ويقوم العامل ويقوم الصانع ويقوم الماشي ، فكان للقيام لوازم عرفية مأ Hawkins من عوارضه الالزمة ، ولذلك أطلق مجازا على النشاط في قوله : قام بالأمر ، ومن أشهر استعمال هذا المجاز قوله قامت السوق وقامت الحرب ، وقالوا في ضده : ركدت ونامت ويفيد في كل ما يتعلق به معنى مناسبا لنشاطه المجازي)⁽⁴⁾ وامتدح الله المؤمنين بـ (يقيمون الصلاة) بالفعل المضارع ليدل على المواظبة والتكرر والمداومة . وإلى هذا المعنى أشار عمر بقوله : (من حفظها وحافظ عليها حفظ دينه ، ومن ضيعها فهو لما سواها أضيع) .

الكلمة الثانية : أركسهم من قوله تعالى :

﴿فَمَا لَكُمْ فِي الْمُكْفِرِينَ فَتَنَّىٰ وَاللَّهُ أَرْكَسَهُمْ بِمَا كَسَبُوا﴾⁽⁵⁾ (أركسهم : فيها خمسة تأويلات . أحدها : معناه : ردّهم ، وهذا قول ابن عباس . والثاني : أوقعهم ، وهذا مروي عن ابن عباس . والثالث : أهلكتهم ، وهذا قول قتادة .

(1) الكشاف للزمخشري : ج 1 / 22.

(2) من سورة الجمعة 62 : (الآية / 9) .

(3) من سورة النساء 4 : (الآية / 142) .

(4) التحرير والتنوير لابن عاشور : ج 1 / 228.

(5) من سورة النساء 4 : (الآية / 88) .

والرابع : أَضْلَلُهُمْ ، وهذا قول السدي .

والخامس : نَكْسُهُمْ ، وهذا قول الرجاج⁽¹⁾

أَرْكَسُهُمْ : أي ردهم إلى الكفر فصاروا مشركين ، وأوقعهم بسبب نفاقهم ومعاصيهم في الكفر وأهللوكهم وأضلّهم لأنه لا أضل من رأى النور ثم حاد عنه ، وتعمد الكذب والكفر ، ونكسهم لأن الركس في اللغة : النكس وقلب الشيء على رأسه أو رد أوله على آخره .

(أَرْكَسُهُمْ : أي ردهم في حكم المشركين كما كانوا ، (بما كسبوا) من ارتدادهم ولحوقهم بالمشركين واحتيافهم على رسول الله صلى الله عليه وسلم أو أَرْكَسُهُمْ في الكفر بأن خذلهم حتى أَرْكَسُوا فيه لما علم مرض قلوبهم⁽²⁾)

إذن أَرْكَسُهُمْ تحمل كل المعاني المذكورة لغة وتنطبق على المنافقين ، لأن معنى أَرْكَس ردًّا إلى الركس ، والركس قريب من الرجس ، وقيل : معنى أَرْكَس : نكس أي ردًّا شنيعا . (بما كسبوا) وقد جعل الله ردهم على الكفر جزاء لسوء اعتقادهم وقلة إخلاصهم في دينهم .

(والإِرْكَاسُ : الرد والرجس ، والرّكس والنكس : الرذل . وقيل : الإِرْكَاس الإضلال ، وقيل: هو التنكيس⁽³⁾)

وهكذا اتسعت معاني كلمة أَرْكَسُهُمْ ليشملها النص القرآني ويتسع لها ، وهي فعلا حالة المنافقين .

الكلمة الثالثة : تبسل من قوله تعالى :

وَذَرِ الَّذِينَ أَنْخَذُوا دِينَهُمْ لَعْبًا وَلَهُوا
وَغَرَّتْهُمْ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَذَكَرِيهِ أَنْ تُبْسَلَ نَفْسٌ بِمَا كَسَبَتْ لَيْسَ لَهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيٌ⁽⁴⁾

وَلَا شَفِيعٌ وَإِنْ تَعْدِلْ كُلَّ عَدْلٍ لَا يُؤْخَذُ مِنْهَا⁽⁴⁾

(1) النكت والعيون للماوردي : ج 1 / 515

(2) الكشاف للزمخشري : ج 1 / 287

(3) الدر المصنون في علوم الكتاب المكتون للسمين الحلي : ج 4 / 61

(4) من سورة الأنعام 6 : (الآية / 70) .

(البسيل : مع الشيء وانضمامه ، ولدلالة على المعنى ، قيل للمحرّم والمرهون بسل ، ومنه قوله تعالى : {أن تبسل نفس بما كسبت } أي تمنع الثواب أو هي مرهونة بكسبها ومنه قوله تعالى : ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ﴾⁽¹⁾ ، وقيل معنى تبسل نفس : أي تسلم للهلكة ، والمتبسل الذي يقع في مكروه لا مخلص له منه ، وأبسيل فلان بحريرته أي أسلم للهلكة ، والبسيل وإن كان معنى الحرام إلا أنه أخص من الحرام ، لأن الحرام يقال في المنوع بقهر وبغيره ، والبسيل لا يقال إلا في المنوع بقهر ، وأبسيل المكان جعلته بسلا أي محظى على غيري⁽²⁾

من معاني كلمة تبسل : تمنع الثواب ، وتقطب جبيتها لتحقيق معنى الانضمام لأنه ليس لها من دون الله ولي ولا شفيع ، وتسلم للهلكة بسبب ذنوبها ، ويحرم دخولها للجنة .

(والإبسال : الارهان ، ويقال : أبسلت ولدي وأهلي أي ارتهنتهم ، وقيل : الإبسال : أن يسلم الرجل نفسه للهلكة)⁽³⁾

يضاف إلى معاني كلمة تبسل : أي ترکن بعملها وكسبها فتحاسب عليه ولا ينفك عنها .

(معنى أن تبسل عند الفراء أي ترکن ، قال والعرب تقول : هذا عليك بسل أي حرام وهو في الأضداد ، يقال للحلال والحرام {أن تبسل } أي ترکن وتسلم ، والأقرب في البسل أن يكون من حبس ارهان حرموا به الشواب ، ومنه قوله للمحروم والمرهون بسل)⁽⁴⁾

تضيف معنى آخر لكلمة تبسل : تحبس .

(وفي قوله : {أن تبسل } ستة أوجه : أحدها : أن تُسلم ، قاله الحسن وعكرمة ومجاهد والسدي .

والثاني : أن تُحبس ، قاله قتادة .

والثالث : أن تُفضح ، قاله ابن عباس .

والرابع : أن تُؤخذ بما كسبت ، قاله ابن زيد .

والخامس : أن تُجزى ، قاله الكلبي .

(1) من سورة المدثر 74 : (الآية / 38) .

(2) عمدة المخاطب في تفسير أشرف الألفاظ للسمين الحلبي / 49 .

(3) الدر المصنون في علوم الكتاب المكتنون للسمين الحلبي : ج 4 / 681 .

(4) الإعجاز البياني للقرآن للدكتورة عائشة عبد الرحمن / 422 ————— 423 .

والسادس : أن ترکن ، قاله الفراء من قولهم أسد باسل ، لأن فريسته مرتکنة معه لا تفلت منه .

وأصل الإبسال : التحریم من قولهم : شراب بَسْلُ أَيْ حِرَام⁽¹⁾ وكل هذه المعانی تنطبق على کلمة تبسّل حيث تحتملها اللغة العربية ، ويحتملها النص القرآن ، فما أجمل هذه اللغة ! وما أبلغ هذا القرآن الكريم !

الكلمة الرابعة : لا تركنا من قوله تعالى : ﴿ وَلَا تَرَكُنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ الْأَنَارُ وَمَا لَكُم مِّنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلَيَاءَ ثُمَّ لَا نُنَصِّرُونَ ﴾ ^{١١٣}

(قوله تعالى : ﴿ إِلَى رُكْنٍ شَدِيدٍ ﴾ ^{٨٠}) ⁽³⁾ کنایة عنمن يستند إليه ، والرکن في الأصل : جانب الدار الذي يستند إليه ، فعبر به عنه عن من يقصده الإنسان ويلجأ إليه ، قوله تعالى : ﴿ فَتَوَلَّ بِرُكْنِهِ ﴾ ⁽⁴⁾ أي بما كان يركن إليه أي يميل ويتقوى به من جنده ، وقوله تعالى : ﴿ لَقَدْ كِدَّ تَرَكَنْ إِلَيْهِمْ ﴾ ⁽⁵⁾ لا تركنا أي لا تمیلوا إلى الظالمين ، ولا تلجهوا إليهم ولا تستندوا إليهم ولا تستقوا بهم .

((وَلَا تَرَكُنُوا)) فيها أربع تأویلات :
أحدها : لا تمیلوا ، قاله ابن عباس .
الثاني : لا تدنوا ، قاله سفيان .
الثالث : لا ترضوا أعمالهم ، قاله أبو العالية .

(1) النکت والعيون للماوردي : ج 2 / 130—131 .

(2) من سورة هود 11 : (الآية / 113) .

(3) من سورة هود 11 : (الآية / 80) .

(4) من سورة الذاريات 51 : (الآية / 39) .

(5) من سورة الإسراء 17 : (الآية / 47) .

(6) عمدة المخاظن في تفسير أشرف الألفاظ للسمین الحلبي / 210 .

الرابع : لا تذهبوا لهم في القول ، وهو أن يوافقهم في السر ولا ينكر عليهم في الجهر . ومنه قوله تعالى : ﴿ وَدُولَقْ تَدْهِنْ فِي دُهْنْهُونَ ﴾⁽¹⁾ أي لا تميلوا ولا تقربوا من الظالمين ولا ترضوا أعمالهم ولا تداهنوهم بل يجب عليكم تبیین الحق وإنكار المنکر .

(وَلَا تَرْكَنُوا) من أركنه إذا أماله ، والنهي متناول للانحطاط في هوامن والانقطاع إليهم ومصاحبتهم وبمحالستهم وزيارتهم ومداهنتهم والرضا بأعمالهم والتشبه بهم والتزبي بزيهم ومد العين إلى زهرتهم وذكرهم بما فيه تعظيم لهم ، وتأمل قوله (وَلَا تَرْكَنُوا) فإن الركون هو الميل اليسيير قوله (إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا) أي إلى الذين وجد منهم الظلم ولم يقل إلى الظالمين⁽²⁾ مما أبدع هذا اللفظ (وَلَا تَرْكَنُوا) أي لا تميلوا ميلا يسيرا فالظلم ظلمات يوم القيمة ، والظلم عاقبته وخيمة ، والميل إلى الظلم تأييد للظلم وإعانته له ، وأي فعل يدل على إعانته الظلم ، من ميل أو مداهنة أو قرب أو رضا بأعماله ، فهو أخطر من الظلم نفسه ، وخاصة إذا كان هذا الحال من العلماء فقد أخذ الله الميثاق على العلماء لبيان العلم للناس ولا يكتمنه .

الكلمة الخامسة : ولا تنيا من قوله تعالى :

(أَذْهَبْ أَنْتَ وَأَخْوَكَ إِيَّاَنِي وَلَا تَنِيَا فِي ذِكْرِي)⁽³⁾ ولا تنيا : أي لا تضعفوا ولا تفترا (يقال وني في الأمر يعني إذا ضعف فيه وقصر في تحصيله ونيا ، ولوني الفتور)⁽⁴⁾ ولا تنيا أي ولا تقصر ، إذن لوني فيه معنى الضعف والفتور والقصیر .

(وَلَا تَنِيَا فِي ذِكْرِي)⁽⁵⁾ فيه أربعة أقاويل :
أحدها : لا تفترا في ذكري .

(1) من سورة القلم 68 : (الآية / 9) .

(2) الكشاف للزمخشري : ج 2 / 237 .

(3) من سورة طه 20 : (الآية / 42) .

(4) عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ للسمين الحلبي / 645 .

الثاني : لا تضعفوا في رسالي . قاله قنادة .

الثالث : لا تبطئوا . قاله ابن عباس .

الرابع : لا تزالا .)

من معانٍ كلمة ولا تنيا : لا تبطئوا ولا تزالا على ذكري حتى أنصر كما وأدفعت عنكم .

((وَلَا تَنْبِئَا) أي لا تنساني ولا أزال منكم على ذكر حيثما تقلبتما واتخذا ذكري جناحا

تطيران به مستمددين بذلك العون والتأكيد مني معتقدين أن أمرا من الأمور لا يتمشى لأحد إلا
بذكرى ، ويجوز أن يريد بالذكر تبليغ الرسالة فإن الذكر يقع علىسائر العبادات وتبليغ الرسالة
من أجلها وأعظمها فكان جديرا بأن يطلق عليه اسم الذكر)⁽¹⁾

لا تنيا في ذكري : استمرا في ذكري ، أو لا تزالا في ذكري أو لحياة الأجساد (﴿ الَّذِينَ

ءَمَنُوا وَتَطَمِّنُ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا إِذْ كَرِيرُ اللَّهُ تَطْمَئِنُ الْقُلُوبُ ٢٨)⁽²⁾

(الوني : الفتور ، والواني : المقصري في أمره ، وزعم بعضهم أنه يكون من أخوات زال

وانفك فيعمل بشرط النفي أو شبهه عمل كان فقال : ما وني زيد قائماً أي ما زال قائما)⁽³⁾
إذن لا تنيا أي لا تزالا على ذكري ، فإن ذكر كما إياتي يقوى عزائمكم ويثبت أقدامكم .

وفي تفسير الطبرى (لا تنيا : لا تبطئا)⁽⁴⁾

(لا تنيا : عن مجاهد لا تضعفوا ، وعن ابن عباس : لا تبطئوا ، وعن ابن زيد : الولي الغافل ،
ولا يبني : لا يزال ، قال القرطبي : والوني الضعف والفتور والكلال والإعياء وكله مراد في الآية .
وفي الوني من دلالة الإبطاء والتقصير وفتور الهمة والعزم ما ليس في الضعف ، أكثر ما
يكون في العجز ضعف القوة والطاقة لا عن توان وتقدير بالضرورة ، والعربية فرق بين ما
يكون من التواني تراخيها وفتورها وإبطاء ، ومن الأنأة حلما وتمهلا .

(1) الكشاف للزمخشري : ج 2 / 434 .

(2) من سورة الرعد 13 : (الآية / 28) .

(3) الدر المصنون في علوم الكتاب المكتون للسميين الحلبي : ج 8 / 40 - 41 .

(4) تفسير الطبرى : ج 8 / 419 .

ومعنى التقصير والفتور أقرب إلى الون من تفسيره بطلاق الضعف الذي قد يكون عن

(¹) اضطرار وعجز)

وهكذا تظهر لنا معانٍ كثيرة ولا تنتهي : لا تضعف ، ولا تفترا ، ولا تبطئ ، ولا تني ، ولا تزال ، ولا تقصر وكلها مراده من النص القرآني وتحتملها اللغة العربية فما أجملها من لغة !!

الكلمة السادسة : عنت من قوله تعالى : ﴿ وَعَنَتِ الْوُجُوهُ لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ ﴾⁽²⁾

(﴿ وَعَنَتِ الْوُجُوهُ لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ ﴾ أي خضعت مستأسرة بعناء ، يقال : عنيته بكذا أي أنصبته ، وعني : نصب واستأسر ، ومنه العاني للأسير) .

فال فعل : عنا معناه : خضع واستأسر وتعب .

((وعنت) فيه خمسة أوجه :

أحداها : أي ذلت ، والثاني : خشعت قاله مجاهد ، والفرق بين الذل والخشوع وإن تقارب معناهما هو أن الذل أن يكون ذليل النفس والخشوع : أن يتذلل لذي طاعة ، والثالث : عملت ،

(³) والرابع : استسلمت . والخامس ، أنه وضع الجبهة والأنف على الأرض في السجود)

من معانٍ الفعل عنا : خشع وذل واستسلم وسجد لله . وهذه المعانٍ تدل على حالة الناس يوم القيمة فهم كالأسرى خاضعين خاشعين ذليلين مستسلمين .

(ومعنى عنت في اللغة : القهر والغلبة ، ومنه فتحت البلاد عنوة أي غلبة ، وقيل : هو من

(⁴) العناء بمعنى التعب وكثي عن الناس بالوجوه لأن آثار الذل إنما تتبيّن في الوجه) .

من معانٍ الفعل عنا أيضاً : قهر وغلب وتعب .

(1) الإعجاز البياني للقرآن للدكتورة عائشة عبد الرحمن / 335 .

(2) من سورة طه 20 : (الآية / 111) .

(3) النكت والعيون للماوردي : ج 3 / 427 – 428 .

(4) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي : ج 6 / 165 .

(﴿ وَعَنَتِ الْوُجُوهُ لِلْحَيِّ الْقَيُّوْطِ ﴾) والمراد بها وجوه العصاة كقوله تعالى : ﴿ سِيَّئَتْ وُجُوهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ﴾⁽¹⁾ والمعنى ذلت الوجوه يوم الحشر ، وخضعت للحي القيوم خضوع العناة أي الأسارى في يد ملك قهار)⁽²⁾

(قال الزجاج : عنت في اللغة خضعت يقال عنا يعني إذا خضع ، ومنه قيل : أخذت البلاد عنوة إذا أخذت غلة وأخذت بخضوع من أهلها والمفسرون على أن هذا في يوم القيمة)⁽³⁾
وهكذا نجد أن للفعل عنا معانٍ كثيرة أهمها الخضوع والذل والخشوع والتعب والاستسلام والقهر والغلبة وكلها مراده من السياق القرآني وتحتملها اللغة العربية .

الكلمة السابعة : يوزعون من قوله تعالى : ﴿ وَحُشِّرَ لِسْلَيْمَنَ جُنُودُهُ مِنَ الْجِنِّ وَالإِنْسِنِ ﴾⁽⁴⁾
وَالظَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ١٧

(يقال : وزعته عن كذا : كففته عنه قال تعالى : (فهم يوزعون) إشارة إلى أنهم مع كثريهم وتفاوتهم لم يكونوا مهملين وبعدين ، كما يكون الجيش الكبير المتأذى بمعرّتهم بل كانوا مسوسين ومقطوعين ، وقيل في قوله : (يوزعون) أي حبس أو لهم على آخرهم ، وقوله : (وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَاءُ اللَّهِ إِلَى النَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ)⁽⁵⁾ فهذا وزع على سبيل العقوبة ، كقوله : (وَلَهُمْ مَقَامٌ مِّنْ حَدِيدٍ)⁽⁶⁾ ٤١ وقيل : لا بد للسلطان من وزعة ، وقيل : الوزوع الولوع بالشيء . يقال : أوزع الله فلانا : إذا ألممه الشكر)⁽⁷⁾ .
يوزعون لها عدة معانٍ منها : يُكفون ، ويساسون ، ويُقمعون ، ويُحبسون .

(1) من سورة الملك 67 : الآية / 27 .

(2) تنوير الأذهان من تفسير روح البيان : ج 2 / 445 .

(3) زاد المسير في علم التفسير لابن الجوزي : ج 5 / 324 .

(4) من سورة النمل 27 : الآية / 17 .

(5) من سورة فصلت 41 : الآية / 19 .

(6) من سورة الحج 22 : الآية / 21 .

(7) مفردات الألفاظ القرآن للراغب الأصفهاني / 868 .

(يوزعون : أي يكفون عن بعضهم ، وفي التفسير : يحبس أو لهم على آخرهم ، وفي ذلك إشارة حسنة إلى أنهم مع كثرهم وخروجهم عن الجمع المعتاد في الجيوش وحواشي الملوك وخدمهم ليسوا مهملين متراكفين عند من يزعمهم أي يكفهم بل هم مقمعون مقهورون مسوسون تحت قهر سليمان عليه السلام مع انتشارهم وخروجهم عن حد الكثرة في تباهي أنجاسهم وأنواعهم ، قوله : (أوزعني) أي أهمني كذا جاء في التفسير ، قال بعضهم : وتحقيقه ، والمعنى بذلك : أجعلني بحيث أزع نفسي عن الكفران ، قوله تعالى : ﴿ وَيَوْمَ تَحْشُرُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ فَوَجَأَ مَمَّنْ يُكَذِّبُ بِإِيمَانِنَا فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴾⁽¹⁾ هذا على سبيل العقوبة أي يحبسون ⁽²⁾ للعقاب)

من معاني كلمة يوزعون : يُقمعون ويُقهرون ويُمنعون .

فالجنود من الجن والإنس والطير مع كثرهم وتعدد أنجاسهم وأنواعهم في قمة النظام حيث كان هناك منظمون قادة لهؤلاء الجنود ولذلك فهم يوزعون أي يمنعون من الفوضى والانتشار بدون ترتيب .

((يُوزَعُونَ) فيها ستة أوجه :

أحدها : يساقون ، وهو قول ابن زيد .

الثاني : يدفعون ، قاله الحسن .

الثالث : يحبسون قاله المبرد .

الرابع : يجمعون .

الخامس : يسجنون .

ال السادس : يمنعون مأخذ من وزعه عن الظلم وهو منعه عنه ، ومنه قول عثمان رضي الله عنه : ما وزع الله بالسلطان أكبر مما وزع بالقرآن ، والمراد بهذا المنع ما قاله قتادة : أن يُرد أو لهم على آخرهم ليجتمعوا ولا يتفرقوا ⁽³⁾

(1) من سورة النمل 27 : (الآية / 83) .

(2) عمدة المخاطب في تفسير أشرف الألفاظ للسمين الحلبي / 629 .

(3) النكت والعيون للماوردي : ج 4 / 199 .

يُضاف إلى معاني الكلمة يوزعون : يُساقون ، ويدفعون ويُجمعون ويُسجنون .

(الوزع عند أهل اللغة : الكف والمنع وأوزعه بالشيء أغراه به ، وقال بعض أهل اللغة :

أوزعت حرف من الأضداد ، يقال : أوزعت الرجل إذا أغريته بالشيء وإذا نهته وحبسته عنه :

(فهم يوزعون) ، والصحيح عندنا أن يكون أوزعت بمعنى أمرت وأغريت ، وزعت بمعنى حبست والدليل عليه قوله تعالى : ﴿رَبِّ أَوْزِعَنِي أَنَّ أَشْكُرَ نَعْمَتَكَ﴾⁽¹⁾ .

ولعل أصل المعنى في اللغة : الدفع والسوق قسراً ، فالموزع مساق بإرادة غيره ، ويأخذ الدفع صفة الإرغام فيما يوزعون إلى الحشر ، ويأخذ صفة الحمل والتوجيه في الدعاء ، ومن ملحوظ التشتت والحقيقة والبعثرة في سوق الجمع قسراً جاء معنى التفرق في الأوزاع⁽²⁾ .

توحي الكلمة يوزعون : بالقسر والإرغام ، وتوحي بالتشتت والحقيقة والبعثرة والتفرق .

(والوزع : الكف عما لا يراد ، فشمل الأمر والنهي ، أي فهم يؤمرون فيما يأمرون ، وينهون فيما ينهون ، فقد سخر الله له الرعية كلها)⁽³⁾ .

وهكذا تعددت معاني ودلائل الكلمة يوزعون لتعطي جمال اللغة العربية واتساع دلالتها وخاصة ألفاظ القرآن الكريم .

الكلمة الثامنة : يصدون من قوله تعالى :

﴿ وَلَمَّا ضَرَبَ أَبْنُ مَرِيمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمٌ كَمِنْهُ يَصِدُّونَ ﴾⁽⁴⁾

(الصدّ : المنع مأمور من صدّ الجبل وهو ما يحول بينك وبينه ، ومنه الصديد وهو ما حال بين اللحم والجلد من القبح ، وعليه قوله تعالى : ﴿ وَسُسْقَى مِنْ مَاءِ صَدِيدٍ ﴾⁽⁵⁾ والصد قد يكون انصرافاً عن الشيء وامتناعاً نحو قوله تعالى : ﴿ يَصُدُّونَ عَنْكَ صُدُودًا ﴾⁽⁶⁾

(1) من سورة الأحقاف 46 : الآية / 15 .

(2) الإعجاز البياني للقرآن للدكتورة عائشة عبد الرحمن / 507 – 509 .

(3) التحرير والتنوير لابن عاشور : ج 19 / 237 .

(4) من سورة الزخرف 43 : الآية / 57 .

(5) من سورة إبراهيم 14 : الآية / 16 .

من معاني كلمة يصدون : يمنعون غيرهم من الدخول في الإسلام ، ويعرضون هم عن الخير والدين والقرآن وينصرفون ويمتنعون ويضجرون ، ويصخبون .

(إِذَا قَوْمَكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ) أي يضجون كضجيج الإبل عند حمل الأثقال ، وقرأ بعض القراء (نافع وابن عامر والكسائي) يصدون بضم الصاد ومعناه : يعرضون ، وكسر الباقيون ، قال الكسائي هما لغتان مثل يعرشون ويعرثون ومعناه : يضجون ، ، قال الجوهري وصادٍ يصد صديداً أي ضج ، وقيل : إنه بالضم من الصدود وهو الإعراض وبالكسر من الضجيج . قال الضحاك : يعجّون ، ابن عباس : يضحكون . أبو عبيدة : من ضم فمعناه يعدلون فيكون

⁽⁴⁾ المعنى : من أجل الميل يعدلون)

من معان كلمة يصدون : يعجون ويضحكون ويعذلون وكلها تنطبق على حال الكفار .

(يَصِدُّونَ) فيه قراءتان :

إحداهما بكسر الصاد ، والثانية بضمها ، فاختلَفَ أهْلُ التفسير في اختلافهما على قولين :
أحدهما : معناه واحد وإن اختلف لفظهما في الصيغة مثل يشد ويشد . فعلى هذا في تأويل
ذلك أربعة أوجه :

أحدٌ : يضجّون . الثاني : يضحّكون .

الثالث : يحيى عون . الرابع : يعرضون .

والقول الثاني : معناهما مختلف وفيه ثلاثة أوجه :

(1) من سورة النساء 4 : (الآية / 61) .

. (2) من سورة النساء 4 : (الآية / 160)

. (3) عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ للسمين الحلي : 288 .

. (4) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي : ج 8 / 69 .

أحدها : أنها بالضم يعدلون ، وبالكسر يتفرقون .

الثاني : أنه بالضم يعتزلون ، وبالكسر يضجون .

الثالث : أنه بالضم من الصدود ، وبالكسر من الضجيج)⁽¹⁾

الكلمة التاسعة : تخبرون من قوله تعالى :

﴿ أَدْخُلُوا الْجَنَّةَ أَنْتُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ تُحَبُّونَ ﴾⁽²⁾

(حبر : الحاء والباء والراء أصل واحد من قاس مطرد ، وهو الأثر في حسن وباء ، فالحبار الأثر ، والخبر : الجمال والبهاء ، والمحبّر : الشيء المزيّن ، وقد يجيء في غير الحسن أيضاً قياساً ، فيقولون : حبر الرجل إذا كان بجلده قروح فبرئت وبقيت لها آثار ، والخبرة : الفرح قال الله تعالى :

﴿ فَهُمْ فِي رَوْضَةٍ يُحَبَّونَ ﴾⁽³⁾

الحبور هو الفرح والسرور الذي ينعكس أثره على الوجه فيضفي عليه حسناً وجمالاً ، قال

الله تعالى : ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُّسْفِرَةٌ ﴾⁽⁴⁾ صَاحِكَةٌ مُّسْتَبِشَرَةٌ⁽⁵⁾

(الخبر : الأثر المستحسن ، والخبر العالم وجمعه أخبار لما يبقى من أثر علومهم في قلوب الناس ومن آثار أفعالهم الحسنة المقتدى بهم . قوله عز وجل ﴿ فَهُمْ فِي رَوْضَةٍ يُحَبَّونَ ﴾⁽⁶⁾

أي يفرحون حتى يظهر عليهم حبار نعيمهم)

⁽¹⁾ النكت والعيون للماوردي : ج / 233 – 234 .

⁽²⁾ من سورة الزخرف 43 : (الآية / 70) .

⁽³⁾ من سورة الروم 30 : (الآية / 15) .

⁽⁴⁾ معجم مقاييس اللغة : ج 1 / 127 .

⁽⁵⁾ من سورة عبس 80 : (الآياتان / 38 – 39) .

⁽⁶⁾ مفردات ألفاظ القرآن للراغب الأصفهاني / 215 – 216 .

والتحبير التحسين ، والخبرة السرور ، والخبرة النعمة ، وحبرت الشيء : أي حسته وبيته، وتحبرون : تسرون وتفرحون وتنعمون حتى يظهر عليكم الفرح والسرور ، وتفرحون حتى يظهر
أثر ذلك الفرح على وجهكم من الحسن والجمال والبياض والبهاء قال الله تعالى: ﴿ وَمَا الَّذِينَ
أَبْيَضَتْ وُجُوهُهُمْ فَفِي رَحْمَةِ اللَّهِ هُمْ فِيهَا خَلِدُونَ ﴾⁽¹⁾

(تخبرون : تُسرُّون من الخبر و هو السرور الشديد . يقال : حبره إذا سره سروراً تهمل له وجهه و ظهر فيه أثره)⁽²⁾

فالخبر هو السرور الشديد الذي تهمل له أسارير الوجه وتبسط ، و تظهر على الوجه آثاره

(يخبرون : قال الضحاك وابن عباس : يُكرمون وقيل : ينعمون ، وقيل : يُسرُّون ، السدي : يفرحون . والخبرة عند العرب : السرور والفرح ، وقال الجوهرى : الخبر هو السرور ، (تخبرون)
(أي ينعمون ويكرمون ويسرون ، وقال يحيى بن أبي كثیر⁽³⁾ : ﴿ فِي رَوْضَةِ يُحَبُّونَ ﴾
قال : السماع في الجنة ، وقال الأوزاعي⁽⁴⁾ : إذا أخذ أهل الجنة في السماع لم تبق شجرة في
الجنة إلا ردت الغناء بالتسبيح والتقديس ، وقال الأوزاعي : ليس أحد من خلق الله أحسن صوتا
من إسرافيل ، فإذا أخذ في السماع قطع على أهل سبع سماوات صلاتهم وتسبيحهم⁽⁵⁾)
من معانى الخبر : التكريم والنعيم الإلهي والسماع الذي هو الغناء في الجنة . وفي الجنة ما لا
عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على بشر .
(وفي (تخبرون) ستة تأويلات :

(1) من سورة آل عمران 3 : (الآية / 107) .

(2) التحرير والتنوير لابن عاشور : ج 12 / 26 .

(3) يحيى بن أبي كثیر : كان ذا بصر وهدى واجتهاد وتقى ، وكان يعد من أصحاب الحديث ، أحد الأعلام الأنبياء ، من أهل البصرة ، سكن الإمامة ، توفي 129هـ . ميزان الاعتadal ج 4/402 .

(4) الأوزاعي : عبد الرحمن بن عمرو ، أبو عمرو ، إمام الدار الشامية في الفقه والزهد ، له كتاب السنن في الفقه والمسائل ، توفي 157هـ . ينظر الأعلام للزرکلي : ج 3/320 .

(5) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي : ج 7 / 10 .

أحدها : تكرمون ، قاله ابن عباس ، والكرامة في المنزلة .

الثاني : تفرحون ، قاله الحسن ، والفرح في القلب .

الثالث : تستعمون ، قاله قتادة ، والنعيم في البدن .

الرابع : تسرون ، قاله مجاهد ، والسرور في العين .

الخامس : تعجبون والعجب هاهنا درك ما يستطرف .

(¹) السادس : أنه التلذذ بالسماع ، قاله يحيى بن أبي كثير)

الكلمة العاشرة : هوى من قوله تعالى : ﴿وَالنَّجْمٌ إِذَا هَوَى﴾⁽²⁾

(﴿وَالنَّجْمٌ إِذَا هَوَى﴾ أي سقط ، قيل عن الشريا وقيل : أراد نجوم القرآن فيكون هوى معنى نزل ، وهذا من باب تحسين اللفظ ، وإلا فالسقوط والنزول متقاربان ويقال هوى يهوي سقط ، وهوى بالكسر يهوى بالفتح أي مال وأحب ، قال تعالى : ﴿بِمَا لَا يَهُوَى أَنفُسُكُم﴾⁽³⁾ أي ثليل وتحب)

من معانى الفعل هوى : سقط ونزل ، والهُويّ يكون من علو إلى أسفل .

(وفي قوله تعالى : (إِذَا هَوَى) ستة أقاويل :

أحدها : النجوم إذا رقي إليها الشياطين قاله الضحاك .

الثاني : إذا سقط .

الثالث : إذا غاب .

الرابع : إذا ارتفع .

الخامس : إذا نزل .

(1) النكت والعيون للماوردي : ج 5 / 238 .

(2) من سورة النجم 53 : (الآية / 1) .

(3) من سورة البقرة 2 : (الآية / 87) .

(4) عمدة المخاظن في تفسير أشرف الألفاظ للسمين الحلبي / 612 .

السادس : إذا جرى ومهواها حريها ، لأنها لا تفتر في حريها : في طلوعها وغروبها وهذا
⁽¹⁾
قول أكثر المفسرين)

يضاف إلى معانٍ هوى : غاب وارتفاع ورقى وجرى وكلها تنطبق على الآية الكريمة .
وإذا كان إحدى معانٍ هوى : سقط فإن السقوط إما حقيقي كما يحصل للشهب التي تسقط ، وإما مجازي والمقصود به غروب النجم وغيابه .

(وفي ذكر (إذا هوى) احتراس من أن يتوهם المشركون أن في القسم بالنجم إقرار لعبادة نجم الشعري وأن القسم به اعتراف بانه إله إذا كان بعض قبائل العرب يعبدونها ، فإن حالة الغروب المغير عنها بالهوي حالة الخفاض ويغيّب في تخيل الرائي لأنهم يعدون طلوع النجم أو جا لشرفه ويعدون غروب—————ه

حضرية ضا ولذلك قال الله تعالى : ﴿

قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَا أُحِبُّ الْأَفْلَئِنَ﴾⁽²⁾. فيكون قوله : (إذا هوى) إشعاراً بأن النجوم كلها مسخرة لقدرة الله مسيرة في نظام أوجدها عليه ولا اختيار لها فليست أهلاً لأن تعبد فحصل المقصود من القسم بما فيها من الدلالة على القدرة الإلهية مع الاحتراس عن اعتقاد عبادتها
⁽³⁾
(

وفي تفسير أبي السعود جعل للفعل هوى ثلا ثلاثة معانٍ فقال :

(﴿وَالنَّجْمٌ إِذَا هَوَى﴾) المراد بالنجم إما الثريا فإنه اسم غالب له أو جنس النجوم ، وبهويه غروب وقيل : طلوعه ، يقال : هوى هويّا بوزن قبول إذا غرب ، وهويّا بوزن دخول إذا عا
⁽⁴⁾
وصعد ، وأما النجم من نجوم القرآن فهو فيه نزوله)
إذن المعاني الثلاث هي : غرب ، وطلع ، ونزل .

(1) النكت والعيون للماوردي : ج 5 / 390 .

(2) من سورة الأنعام 6 : (الآية / 76) .

(3) التحرير والتنوير لابن عاشور : ج 27 / 98 – 99 .

(4) تفسير أبي السعود : ج 4 / 154 .

(قال ابن عباس : يعني الثريا إذا سقطت وغابت ، والعرب تسمى الثريا بحاما ، وقيل هي نجوم السماء كلها وهو يها غروها فعلى هذا لفظه واحد ومعناه الجمع ، وروى عن ابن عباس أنه الرجوم من النجوم وهي ما ترمي به الشياطين عند استراق السمع ، وقيل : هي النجوم إذا انتشرت يوم القيمة ، وقيل : أراد بالنجم القرآن سمى بحاما لأنه نزل نجوما متفرقة في عشرين سنة وهو قول ابن عباس أيضا ، وقيل : النجم هو النبي الذي لا ساق له وهو يه سقوطه إذا يبس على الأرض ⁽¹⁾ وقيل : النجم هو محمد صلى الله عليه وسلم وهو ينزله ليلة المعراج من السماء) من معاني الفعل هو : سقط وغاب ، وغرب ، ورمي به الشياطين ، ونزل وانتشر ، ويبس على الأرض . وهكذا تعددت معاني اللفظة القرآنية الواحدة لتعطي دلالات أوسع وأفق أرحب .

الكلمة الحادية عشرة : تبتل من قوله تعالى :

﴿ وَأَذْكُرِ أَسْمَ رَبِّكَ وَتَبَّتَّلْ إِلَيْهِ تَبَّتِيلًا ﴾ ⁽²⁾

(قال تعالى : ﴿ وَتَبَّتَّلْ إِلَيْهِ تَبَّتِيلًا ﴾ ⁽³⁾ أي انقطع في العبادة وإخلاص النية انقطاعا يختص به ، وإلى

هذا المعنى أشار بقوله عز وجل : ﴿ قُلِ اللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوَّضِهِمْ يَلْعَبُونَ ﴾ ⁽⁴⁾ ⁽⁵⁾

فالتبتل هو الانقطاع للعبادة مع إخلاص النية لله عز وجل .

(التبتيل : الانقطاع والانفراد أي انقطع لعبادته ، وانفرد بها عن الناس وأخلص نيتها انقطاعا يختص به)

(1) تفسير الخازن : ج 4 / 190 .

(2) من سورة المزمل 73 : (الآية / 8) .

(3) من سورة الأنعام 6 : (الآية / 91) .

(4) مفردات ألفاظ القرآن للراغب الأصفهاني / 107 .

(5) عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ للسمين الحلبي / 38 .

هنا معنى ثالث لكلمة التبتل وهو الانفراد فيكون معنى تبتل : انقطع لعبادته وانفرد بها عن الناس وأخلص نيتك انقطاعا يختص به .

(التبتل) : الانقطاع إلى عبادة الله عز وجل ، أي انقطع بعبداً إله ، ولا تشرك به غيره .
يقال : بتلت الشيء أي قطعه ، ومنه قوله تعالى : طلقها بنة بتلة أي بائنة منقطعة عن صاحبها ،
وهذه صدقة بتلة أي قطع ملكه عنها بالكلية ، ومنه مريم البتوول لانقطاعها إلى الله تعالى ،
ويقال للراهب : متبتل لانقطاعه عن الناس وانفراده بالعبادة ، وقيل : إن أصله عند العرب :
التفرد قاله ابن عرفة⁽¹⁾ ، ومعنى الآية : انقطع عن الأوثان والأصنام وعن عبادة غير الله ، وكذلك
قال مجاهد معناه : أخلص له العبادة والتبتل المأمور به : الانقطاع إلى الله بإخلاص العبادة كما قال
تعالى : ﴿وَمَا أُمِرْتُ إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الَّذِينَ﴾⁽²⁾ ، والتبتل المنهي عنه : هو سلوك مسلك
النصارى في ترك النكاح والترهب في الصوامع⁽³⁾
فالانقطاع عن الأوثان والأصنام وعن عبادة غير الله ، والانفراد لله بالعبادة وإخلاصها له
سبحانه من معاني التبتل .

(فإن قلت : كيف قيل : تبتلا مكان تبتلا قلت : لأن معنى تبتل : تبتل نفسك فجيء به
على معناه مراعاة لحق الفوائل)⁽⁴⁾

فالأصل أن يقال وتبتلا إليه تبتلا ، أما الفعل تبتل فإ يأتي المصدر تبتلا .

(﴿وَتَبَتَّلَ إِلَيْهِ تَبَتِّلًا﴾) فيه أربعة تأويلات :
أحدها : أخلص إليه إخلاصا قاله مجاهد .

الثاني : تبعد له تعبدًا قاله ابن زيد .

الثالث : انقطع إليه انقطاعا قاله أبو جعفر الطبرى ومنه مريم البتوول لانقطاعها إلى الله تعالى .
وجاء في الحديث النبوي عن التبتل الذي هو الانقطاع عن الناس والجماعات .

(1) ابن عرفة : علي بن المظفر بن إبراهيم الكندي الوداعي علاء الدين ، ويقال له ابن عرفة ، أديب متفنن شاعر عارف بالحديث والقراءات ، له التذكرة الكندية خمسون جزءاً توفي 716هـ . ينظر الأعلام ج 5 / 23 .

(2) من سورة البينة 98 : (الآية / 5) .

(3) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي : ج 10 / 30 .

(4) الكشاف للزمخشري : ج 4 / 153 .

⁽¹⁾ الرابع : وتضرع إليه تضرعا)

من معاني الفعل تبتل : أخلص ، وتعبد ، وانقطع وانفرد وتضرع وكلها مراده من النص القرآني وتحتملها اللغة العربية .

(والتبتل : شدة البتل يقصد من صيغته المبالغة في حصول الفعل (تبتل) حتى كأنه فعله غيره به فطاواعه ، والتبتل : الانقطاع أي تفرغ البال والتفكير إلى ما يرضي الله ، فكأنه انقطع عن الناس وانحاز إلى جانب الله .

ولما كان التبتيل قائما بالتبتل تعين أن تبتليه قطعه نفسه عن غير من تبتل هو إليه فالمقطوع عنه هنا هو من عدا الله تعالى فالجلمع بين (تبتلا وتبتيلا) مشير إلى إراضاة النفس على ذلك التبتل .

والمراد بالانقطاع المأمور به انقطاع خاص وهو الانقطاع عن الأعمال التي تمنعه من قيام الليل ومهام النهار في نشر الدعوة ومحاجة المشركين ولذلك قيل : (وتبتل إليه) أي إلى الله ، فكل عمل يقوم به النبي صلى الله عليه وسلم من أعمال الحياة فهو لدين الله ، فإن طعامه وشرابه ونومه وشؤونه للاستعانة على نشر دين الله . وكذلك منعشتات الروح البريئة من الإثم مثل الطيب وتزوج النساء والأنس إلى أهله وأبنائه وذويه .

وليس هو التبتل المفضي إلى الرهبانية وهو الإعراض عن النساء وعن تدبير أمور الحياة لأن ذلك لا يلقي صفة الرسالة .

ومن أكبر التبتل إلى الله الانقطاع عن الإشراك وهو معنى

العنقية ولذلك عقب

قوله : (﴿ وَتَبَتَّلَ إِلَيْهِ تَبَتِّلًا ﴾) بقوله (رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ)⁽²⁾ .

وخلاصة المعنى : أن النبي صلى الله عليه وسلم مأمور ألا تخلو أوقاته عن إقبال على عبادة الله ومراقبته والانقطاع للدعوة ل الدين الحق⁽³⁾ .

(1) النكت والعيون للماوردي : ج 6 / 128 .

(2) من سورة المزمل 73 : (الآية / 9) .

(3) التحرير والتنوير لابن عاشور : ج 29 / 248 .

فالتبيل أيضاً تفرغ البال والفكير إلى ما يرضي الله ، وترويض النفس وتربيتها على التبيل .
ومن معانٍ للتبيل : كل عمل يوصل إلى رضا الله وإلى الدعوة إلى دينه القويم ، فليس التبيل هو الجلوس في المنازل وترك الدعوة إلى الدين . فما أوسع دلالات كلمة (تبيل) .

الكلمة الثانية عشرة : اتسق من قوله تعالى : ﴿وَالْقَمَرِ إِذَا أَتَّسَقَ﴾⁽¹⁾

(الوسرق : جمع الأشياء المتفروقة ، وقيل : الوسرق ضمك الشيء إلى شيء بعضه إلى بعض ، قوله تعالى : ﴿وَالْقَمَرِ إِذَا أَتَّسَقَ﴾ هو افتعال من ذلك ، والمعنى : اجتمع ضوءه في الليل البيض ، وقال مجاهد : استوى ، وقال ابن عرفة : تتبع لياليه حتى انتهى منتهاه ، وقيل : امتلاء وهي تفاسير⁽²⁾ (واتسق : انتظم)⁽³⁾ تعددت معانٍ الكلمة (اتسق) : اجتمع ضوء القمر ، واستوى وانتظم وتكامل ضوءه وامتنأ فأصبح بدرًا .

﴿وَالْقَمَرِ إِذَا أَتَّسَقَ﴾ فيه ثلاثة تأويلات :
أحدها : إذا استوى ، قاله ابن عباس ، وقولهم : اتسق الأمر إذا انتظم واستوى .
الثاني : والقمر إذا استدار . قاله عكرمة .
الثالث : إذا اجتمع ، قاله مجاهد .
ويحتمل رابعاً : إذا طلع مضينا⁽⁴⁾ كأن القمر ليالي البدر يتنظم ضوءه ويجتمع ويستدير ويطلع مضينا .

﴿إِذَا أَتَّسَقَ﴾ أي امتنأ ، قال الفراء : وهو امتناؤه واستواوه ليالي البدر ، وهو افتعال من الوسرق وهو الضم والجمع ، وأمر فلان متتسق⁽¹⁾ أي مجتمع على ما يستر

(1) من سورة الانشقاق 84 : الآية / 18).

(2) عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ للسمين الحلبي / 631 .

(3) القاموس المحيط للفيروز أبادي : ج 299/2.

(4) النكت والعيون للماوردي : ج 6 / 238 .

فالاتساق : امتلاء للقمر واستواء ليالي البدر ، وهو ضم وجمع وانتظام واستدارة وإضاءة.

(﴿وَالْقَمَرِ إِذَا أَنْسَقَ﴾ أي تم واجتمع واستوى ، قال الحسن : اتسق أي امتلاء واجتمع .

ابن عباس : استوى ، قتادة : استدار ، الفراء : اتساقه : امتلاؤه واستواؤه ليالي البدر ، وهو افتعال من الوسق الذي هو الجموع ، يقال : وسقته فاتسق ، كما يقال : وصلته فاتصل ، ويقال : أمر فلان متسق أي مجتمع على الصلاح منتظم ، ويقال : اتسق الشيء : إذا تتابع⁽²⁾ اتسق معناه : تم واجتمع واستوى واستدار وامتلاؤه وتتابع ، واتساق القمر اجتماع ضيائه وذلك في ليلة البدر ، وأقسم الله بذلك الحالة لأنها مظهر نعمة الله على الناس بضيائه .
وتحاله اتساق القمر توحى بالإحكام والنظام وبديع صنع الله ، ولذلك يضاف إلى معاني اتسق: معنى آخر هو تناسق وأحكام .

(وفي الاتساق من اطراد النسق والإحكام والنظام ما يفوت لفظ الاجتماع ، ولعل الاجتماع منظور فيه إلى الوسق ، فكل شيء وسقته فقد جمعته ، ثم جاء الاتساق للإحكام وانتظام النسق واطراده⁽³⁾)

وهكذا تعددت معانٍ الفعل اتسق ليدل على جمال ألفاظ القرآن الكريم حيث اللفظة الواحدة لها دلالات كثيرة لتزيد المعنى سعة ولللفظ بهاء .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

(1) الدر المصنون في علوم الكتاب المكتوب للسميين الخليبي : ج 10 / 737 .

(2) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي : ج 10 / 183 .

(3) الإعجاز البياني للقرآن للدكتورة عائشة عبد الرحمن / 352 .

خاتمة

الحمد لله رب العالمين والصلوة والسلام على سيدنا وحبيبنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين :
بفضل الله ومنته تم الاتهاء من رسالة الدكتوراه الموسومة بـ (الألفاظ القرآنية وأثر
تقلباتها ودلائلها اللغوية في التفسير) التي أبحرت فيها بين كتب اللغة وكتب التفاسير ، وكان
الهدف منها : إبراز جانب من جوانب إعجاز القرآن الكريم ألا وهو الإعجاز البياني الذي يوضح
فصاحة القرآن الكريم وبلاعنته ، وأن اللفظة الواحدة منه لها دلالات واسعة في تعدد المعانى الذي
يعطى عمقاً أكبر في فهم القرآن الكريم الذي أنزله الله لتدبر آياته :

﴿كَتَبَ اللَّهُ أَنْزَلَنَا إِلَيْكُمْ مُّبَرَّكُ لِيَدْبِرُوا أَيَّتِيهِ وَلِيَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابُ﴾⁽¹⁾

ولعله بعد تلك الدراسة يمكن التوصل إلى أهم النتائج التالية :

1— تم تقسيم الرسالة إلى فصلين : (الأسماء ، الأفعال) كل فصل إلى ثلاثة مباحث : (ما
يحتمل معنيين ، ما يحتمل ثلاثة معانٍ ، ما يحتمل أكثر من معنى) ، وكان ترتيب الألفاظ في كل
مبحث مرتب حسب ترتيب السور في القرآن الكريم ، ليكون البحث مرتبًا ومنظمًا .

(1) من سورة ص 38 : الآية / 29 .

٢— إن دراسة الألفاظ القرآنية هي نقطة الانطلاق لفهم كتاب الله الكريم وتطبيقه في واقع الحياة .

٣— إن تعدد المعاني للفظة الواحدة يزيد من إيماننا بأن القرآن الكريم بلغ المترلة العليا في الفصاحة والبلاغة ، ويدخل في الإسلام من أراد الله هدایته ، لأن مثل هذه الدراسة تسليط الضوء على أهم أنواع الإعجاز ، ألا وهو الإعجاز البیانی .

٤— إن اختلاف المعاني للفظة الواحدة أعطى الفقهاء مجالاً رحباً لاستنباط الأحكام من تلك المعاني التي تحتملها تلك الألفاظ العربية ، فينشأ من ذلك مذاهب فقهية متعددة ، وهي مصدر رحمة للأمة الإسلامية ، فاختلاف العلماء رحمة .

٥— أن القرآن الكريم يحتاج إلى دراسات كثيرة وطويلة ومتعمقة لألفاظ القرآن الكريم لاستخراج الإعجاز البیانی بشكل واضح .

٦— إن كتب اللغة والتفسير تسيران جنباً إلى جنب في خدمة الإعجاز البیانی للقرآن ، وملائكة بالدرر والجواهر والأصداف ، لكنها تحتاج إلى إخراج جديد وإظهار مشوقٍ جذابٍ كي يطلع عليها الجيل الجديد ويستفيد .

وإذا كان هناك من توصيات في ضوء هذا البحث فإني أحملها فيما يلي :

١— أن توافر الجهد لمزيد من الدراسات القرآنية التي تبرز الجانب المهم من إعجاز القرآن الكريم ليكون لها الأثر في تدبر القرآن الكريم وزيادة إيمان المسلمين ودعوة غير المسلمين إلى هذا الدين بإظهار جماله وإعجازه .

٢— أن تنشأ مراكز ومدارس خاصة للبحث في جانب الإعجاز البیانی وإظهاره بصورة مشوقة وجذابة، وبعد أغلب المسلمين عن القراءة بشكل عام ، وعن اللغة العربية بشكل خاص .

فالعودة إلى الدراسات القرآنية عودة إلى اللغة العربية لأنها لغة القرآن الكريم ، وكفى بذلك شرفًا لتلك اللغة العظيمة التي شرفها الله : ﴿ وَإِنَّهُ لَنَزَّلَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ١٩٥ ١٩٤ ١٩٥ ﴾^(١) ﴿ عَلَىٰ قَلِيلٍ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ ١٩٤ ١٩٥ ﴾^(١) بِلِسَانٍ عَرَقِيٍّ مُبِينٍ ١٩٥

(١) من سورة الشعرا ٢٦ : (الآيات / 192 — 195) .

٣— أن يتذكر المسلمون في كل مكان أن تدبر القرآن الكريم من أعظم العبادات التي يستجلب بها رضا الله ، وهو الخطوة الأولى لتطبيق القرآن كما أراد الله لنا . وأن هذا العمل يكون بالتدريب ومحالسة العلماء ودعاء الله بالفتح والفهم .

٤— أن تؤلف مناهج تعليمية خاصة بالمدارس لأجيالنا ، كل حسب مرحلته العمرية لتنشأ الأجيال على حب كتاب الله ، ولن يتم هذا الحب إلا بالفهم ، وبالفهم يسهل الحفظ والتطبيق ، ويزيد الحب والتعلق بهذا الكتاب العظيم الذي هو سبب سعادة الدارين .
تم الانتهاء من رسالة الدكتوراه (الألفاظ القرآنية وأثر تقلباتها ودلاليها اللغوية في التفسير) في يوم الجمعة 21/ من شهر جمادى الأولى من عام 1433هـ .

الفهرس

1 — فهرس الآيات الكريمة

2 — فهرس الأحاديث النبوية

3 — فهرس الأعلام

فهرس المراجع ————— 4

فهرس الموضوعات ————— 5

1) فهرس الآيات الكريمة

اسم السورة	رقم الآية	رقم الصفحة	طرف الآية
الكهف	96	208	(ءاتوني أفرغ عليه قطراء)
الصفات	53	21	(ءأنا لمدينون)
الصفات	125	152	(أندعون بعلا وتندرؤن)
البقرة	187	165	(أهل لكم ليلة الصيام)
الزخرف	70	248	(ادخلوا الجنة أنتم وأزواجكم)
غافر	18	157	(إذ القلوب لدى)
الأعراف	163	42	(إذ تأيهم حيتاهم يوم سبتم)
الملك	7	————— 7	(إذا ألقوا فيها سعوا لها)
		8	150
يونس	49	198	(إذا جاء أجلهم فلا)
الفرقان	12	149	(إذا رأئهم من مكان بعيد)
الزخرف	57	256	(إذا قومك منه يصدون)
طه	42	241	(اذهب أنت وأحوك)

125	87	هود	(أصلاتك تأمرك أن تترك)
121	20	الحديد	(اعلموا أنما الحياة الدنيا)
15	13	سباء	(اعملوا آل داود شكرًا)
64	63	الواقعة	(أفرأيتم ما تحرثون)
			171
20	83	آل عمران	(أَفَغَيْرُ دِينِ اللَّهِ يَعْغُونَ)
3	24	محمد	(أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ)
2	82	النساء	(أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ)
104	24	الزمر	(أَفَمَنْ يَتَقَىٰ بِوْجْهِهِ سُوءُ الْعَذَابِ)
193	22	الملك	(أَفَمَنْ يَمْشِي مَكْبَاهُ عَلَىٰ)
52	78	الإسراء	(أَقِمِ الصَّلَاةَ لِدَلِيلِ الشَّمْسِ)
68	25	النمل	(أَلَا يَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي هُوَ أَكْبَرُ)
34	14	الملك	(أَلَا يَعْلَمُ مِنْ خَلْقِنَا وَهُوَ الْلَّطِيفُ)
130	24	الحشر	(الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ)
14	1	الفاتحة	(الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ)
132	8	الانفطار	(الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّا كُلَّ شَيْءٍ)
32	156	البقرة	(الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ)
242	28	الرعد	(الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُ قُلُوبُهُمْ)
237	23	المعارج	(الَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ)
45	11	الذاريات	(الَّذِينَ هُمْ فِي غَمْرَةٍ سَاهُونَ)
236	3	البقرة	(الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيَقِيمُونَ الصَّلَاةَ)
3	1	هود	(الرَّكْنَاتُ أَحْكَمُ آيَاتِهِ ...)
152	34	النساء	(الرَّجُالُ قَوَامُونَ عَلَيْهِنَّ)
190	45	الفرقان	(أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ)
114، 113	25	المرسلات	(أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ كَفَاتًا)

118	12-8	البلد	(ألم يجعل له عينين)
120	1	التكاثر	(أهلاكم التكاثر)
240	80	هود	(إلى ركن شديد)
48	60	الزمر	(أليس في جهنم مثوى)
75	10	فاطر	(إليه يصعد الكلم الطيب)
20	28	الجاثية	(اليوم تجزون ما كنتم تعملون)
22 ، 21	17	غافر	(اليوم تجزى كل نفس بما كسبت)
155	4	العنكبوت	(ألم حسب الذين يعملون)
134	36	النجم	(ألم ينبدأ بما في صحف موسى)
8	14-13	هود	(ألم يقولون افتراء قل فأتوا بعشر سور)
8	34-33	الطور	(ألم يقولون تقوله بل لا يؤمنون)
146	9	الزمر	(أمن هو قانت)
172	55	يس	(إن أصحاب الجنة اليوم)
168	22	القلم	(أن أغدوا على حرثكم)
54	81	الإسراء	(إن الباطل كان زهوقا)
71	39	فصلت	(إن الذي أحياها لحيي الموتى)
135	62	البقرة	(إن الذين آمنوا والذين)
176	8	فصلت	(إن الذين آمنوا وعملوا)
90	36	الإسراء	(إن السمع والبصر والفؤاد)
124	103	النساء	(إن الصلاة كانت على)
222	40	النساء	(إن الله لا يظلم مثقال ذرة)
219	11	الرعد	(إن الله لا يغير ما بقوم حتى)
124	56	الأحزاب	(إن الله وملائكته يصلون على)
153	20	القصص	(إن الملائكة يأمرون بك)
33	50	التوبه	(إن تصبك حسنة تسؤهم)

	68	103	التوبة	(إن صلاتك سكن لهم)
66 ، 64	65	الفرقان		(إن عذابها كان غراما)
139	12	المزمول		(إن لدينا أنكالا)
217	7	المزمول	(إن لك في النهار سبحا طويلا)	
180	6	المزمول	(إن ناشئة الليل هي أشد)	
185	32	الجاثية		(إن نظن إلا ظنا وما)
2	9	الإسراء	(إن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم)	
149	19	القمر		(إنا أرسلنا عليهم ريحنا)
234	18	ص		(إنا سخرنا الجبال معه يسبحن)
133	34	العنكبوت		(إنا منزلون على أهل)
201	155	آل عمران		(إنما استزلهم الشيطان)
180	37	التوبة		(إنما النسيء زيادة في)
44	33	الأحزاب		(إنما يريد الله ليذهب عنكم)
66	66	الفرقان		(إنما ساءت مستقرها ومقاما)
195	61	البقرة		(اهبطوا مصرا فإن لكم)
209	259	البقرة		(أو كالذى مر على قرية)
114	19	الملك		(أو لم يروا إلى الطير فوقهم)
33	165	آل عمران		(أو لما أصابتكم مصيبة قد أصبتهم)
71	122	الأنعام		(أو من كان ميتا فأحييناه)
188	16	محمد		(أولئك الذين طبع الله)
124	157	البقرة		(أولئك عليهم صلوات من)
47	179	الأعراف		(أولئك كالأنعام بل هم أضل)
198	77	آل عمران		(أولئك لا خلاق لهم)
191	56	المؤمنون		(أليس بمن أنما نمدهم به من)
	220	الأنفال		(باء بغضب من الله)

176	10	الزمر	(بغير حساب)
119	9-8	سباء	(بل الذين لا يؤمنون بالآخرة)
250	87	البقرة	(بما لا تهوى أنفسكم)
110	25	القيامة	(تظن أن يفعل بها فاقرة)
28	23	الزمر	(تقشعر منه جلود الذين يخشوون)
92	22	النجم	(تلك إذا قسمة ضيزي)
211، 36	260	البقرة	(ثم اجعل على كل جبل منهن)
144	95	الأعراف	(ثم بدلنا مكان السيئة الحسنة)
42	18	الجاثية	(ثم جعلناك على شريعة من الأمر)
185	7	التكاثر	(ثم لترونها عين اليقين)
139	38	المائدة	(جزاء بما كسبا نكالا)
169	47	الفرقان	(جعل لكم الليل لباسا)
68	18	النمل	(حتى إذا أتوا على واد النمل)
50	85	يوسف	(حتى تكون حرضا أو تكون)
186	99	الحجر	(حتى يأتيك اليقين)
46	40	الأعراف	(حتى يلتج الجمل في سم الخياط)
185	95	الواقعة	(حق اليقين)
26	45	الشورى	(خاسعين من الذل)
198 ، 65	162	البقرة	(خالدين فيها لا يخفف)
187	7	البقرة	(ختم الله على قلوبهم)
130	67	غافر	(خلقكم من تراب)
82	9	الصفات	(دحورا ولهم عذاب واصب)
204	25	النساء	(ذلك من خشي العنت)
254	9	المزمل	(رب المشرق والمغرب)
246	15	الأحقاف	(رب أوزعني أنأشكر)

	167	201	البقرة	(ربنا آتنا في الدنيا حسنة)
	207	250	البقرة	(ربنا أفرغ علينا صبرا)
	94، 83	13	الزخرف	(سبحان الذي سخر لنا هذا)
190	45	44	القلم	(سنستدرجهم من حيث)
	243	27	الملك	(سيئت وجوه الذين كفروا)
	31	138	البقرة	(صبغة الله ومن أحسن صبغة)
	174	29	الزمر	(ضرب الله مثلاً رجلاً)
	127	65	الصفات	(طلعها كأنه رؤوس الشياطين)
	132	5	سباء	(عذاب من رجز أليم)
	60	108	هود	(عطاء غير محدود)
	185	5	التكاثر	(علم اليقين)
90	236	البقرة		(على الموسوع قدره)
	191	7	التكاثر	(عين اليقين)
	223	198	البقرة	(إذا أفضتم من عرفات)
	129	7	القيامة	(إذا برق البصر)
204	54	53	الشعراء	(فأرسل فرعون في المدائن)
	108	162	الأعراف	(فأرسلنا عليهم رحزا من)
	149	16	فصلت	(فأرسلنا عليهم ريحان)
	201	36	البقرة	(فأنزلنا الشيطان عنها)
	55	77	طه	(فاضرب لهم طريقاً في البحر)
	196	25	المائدة	(فافرق بيننا وبين القوم)
	148	29	الذاريات	(فأقبلت امرأته في صرة)
	191	15	الفجر	(فاما الإنسان إذا ما ابتلاه)
	201	209	البقرة	(فإن زللتكم من بعد ما جاءتكم)
	132	59	البقرة	(فأنزلنا على الذين ظلموا)

153	71	الكهف	(فانطلقا حتى إذا ركبا)
192	46	الحج	(فإنما لا تعمي الأبصار)
195	13	الأعراف	(فاھبط منها فما يكون)
196	63	الشعراء	(فأوحينا إلى موسى أن)
221	90	البقرة	(فبأوا بغضب على غضب)
132	14	المؤمنون	(فتبارك الله أحسن الخالقين)
113	14	المؤمنون	(فتبارك الله أحسن الخالقين)
37	37	آل عمران	(فقبلها ربهما بقبول حسن)
129	54	البقرة	(فتوبوا إلى بارئكم)
240	39	الذاريات	(فتولى بركته)
138	66	البقرة	(فجعلناها نكالا لما)
60	58	الأنباء	(فجعلهم جنذا)
17	86	النساء	(فحيوا بأحسن منها)
45	54	المؤمنون	(فذرهم في غمرتهم حتى حين)
109	51	المدثر	(فرت من قسورة)
178	89	الواقعة	(فروح وريحان وجنت)
229	51	الإسراء	(فسينغضون إليك رؤوسهم)
31	30	الروم	(فطرت الله التي فطر الناس عليها)
26	4	الشعراء	(فظلت أعناقهم لها)
17	25	الذاريات	(فقالوا سلاما قال سلام)
33	62	النساء	(فكيف إذا أصابتهم مصيبة)
26	32	الأحزاب	(فلا تخضعن بالقول فيطمع)
79	14	سبأ	(فلما قضينا عليه الموت)
19	86	الواقعة	(فلو لا إن كنتم غير ...)
237، 217	143	الصفات	(فلو لا أنه كان من المسبحين)

238	88	النساء	(فما لكم في المنافقين فتئن)
214	185	آل عمران	(فمن زحر عن النار وأدخل)
143	40	الشوري	(فمن عفا وأصلح)
76	23	الأحزاب	(فمنهم من قضى نحبه)
83	3	ص	(فنادوا ولات حين مناص)
248	15	الروم	(فهم في روضة يجبرون)
164	79	البقرة	(فويل للذين يكتبون)
127	19	البقرة	(فيه ظلمات ورعد وبرق)
82	18	الأعراف	(قال اخرج منها مذعوماً مدحوراً)
49	128	الأنعام	(قال النار مثواكم حالدين)
142	28	القلم	(قال أو سطهم ألم أقل)
219	60	البقرة	(قال فخذ أربعة من الطير)
51	92	يوسف	(قال لا تشريب عليكم اليوم)
251	76	الأنعام	(قال هذا ربي فلما أفل قال)
47	46	هود	(قال يا نوح إنه ليس من أهلك)
217	30	البقرة	(قالوا أتبعن فيها من يفسد فيها)
171	97	النساء	(قالوا ألم تكن أرض الله)
227	85	يوسف	(قالوا تالله تفتأ تذكر يوسف)
17	69	هود	(قالوا سلاماً قال سلام)
208	250	البقرة	(قالوا لا طاقة لنا اليوم)
	249	المؤمنون	(قد أفلح المؤمنون)
25	11-1		(قد أفلح من زكاها ، وقد خاب)
47	10-9	الشمس	(الشمس)
186	118	البقرة	(قد بينا الآيات لقوم)
252	91	الأنعام	(قل الله ثم ذرهم)
96 ، 85	81	الزخرف	(قل إن كان للرحمٰن ولد)

	94	51-50	الإسراء	(قل كونوا حجارة أو حديدا)
	230	51-50	الإسراء	(قل كونوا حجارة أو حديدا)
	33	51	التوبه	(قل لن يصيّبنا إلا ما كتب الله)
	5	88	الإسراء	(قل لئن اجتمع الإنْسَانُ والجَنُّ)
191	104	103	الكهف	(قل هل ننبئكم بالأخسرين)
	195	38	البقرة	(قلنا اهبطوا منها جمِيعا)
	32	136	البقرة	(قولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا)
	163	45	الدخان	(كالمهمل يغلي في البطون)
	100,111	4	الصف	(كأفهم ببيان مرسوم)
	257	29	ص	(كتاب إليك مبارك أنزلناه)
	183	29	ص	(كتاب أنزلناه إليك مبارك)
	217	33	الأنبياء	(كل في فلق يسبحون)
	145	26	الروم	(كل له قانتون)
	239	38	المدثر	(كل نفس بما كسبت رهينة)
	39	185	آل عمران	(كل نفس ذاتقة الموت)
	19	9	الانفطار	(كلام بل تكذبون بالدين)
	189	14	المطففين	(كلام بل ران على)
121	6	3	التكاثر	(كلام سوف تعلمون)
	142	110	آل عمران	(كنتم خير أمة أخرجت)
	225	118	آل عمران	(لا يألونكم خبلا)
	65	75	الزخرف	(لا يفتر عنهم وهم فيه)
	206	286	البقرة	(لا يكلف الله نفسا إلا)
	117	19	الإنشقاق	(لتركتن طبقا عن طبق)
68	73	القصص		(لتسكنوا فيه)
	117	4	البلد	(لقد خلقنا الإنْسَانَ في كبد)

	240	47	الإسراء	(لقد كدت ترکن إلیهم)
	191	118	البقرة	(لقوم يوقنون)
	41	48	(لکل جعلنا منکم شرعاً و منهاجاً) المائدة	
	225	226	البقرة	(للذين يؤلّون من نسائهم)
170	50	49	الشورى	(اللہ ملک السماوات والأرض)
	106	134	الأعراف	(لئن كشفت عنا الرجز)
	90	11	النجم	(ما كذب الفؤاد ما رأى)
	18	4	الفاتحة	(مالک يوم الدين)
	148	117	آل عمران	(مثل ما ينفقون في هذه)
	169	20	الشورى	(من كان يريد حرث الآخرة)
	97	8	القمر	(مهطعين إلى الداع)
	97	43	إبراهيم	(مهطعين مقنعي رؤوسهم)
	90	7-6	الهمزة	(نار الله الموددة)
	160	73	الواقعة	(نحن جعلناها تذكرة)
114، 103		16	المعارج	(زراعة للشوى)
	169	223	البقرة	(نساوكم حرث لكم)
	81	56	يس	(هم وأزواجهم في ظلال على)
	169	187	البقرة	(هن لباس لكم وأنتم)
	124	43	الأحزاب	(هو الذي يصلّي عليكم)
	132	6	آل عمران	(هو الذي يصوّركم في الأرحام)
	206	6	النساء	(وابتلوا اليتامي حتى إذا)
	228	84	يوسف	(وايضت عيناه من الحزم فهو)
	87	24	الدخان	(واترك البحر رهوا)
	107	35	إبراهيم	(واجنبي وبني أن نعبد الأصنام)
	196	50	البقرة	(وإذا فرقنا بكم البحر)

28,29,218	49	البقرة	(وإذا نجيناكم من آل فرعون)
40	21	يونس	(وإذا أذقنا الناس رحمة)
157	17	الزخرف	(وإذا بشر أحدهم بما)
126	14	البقرة	(وإذا خلوا إلى شياطينهم)
206	232	البقرة	(وإذا طلقت النساء)
238	142	النساء	(وإذا قاموا إلى الصلاة)
252	8	المزمول	(واذكر اسم ربك وتبلي)
186	14	النمل	(واستيقنها أنفسهم)
226	103	آل عمران	(واعتصموا بحبل الله جميعا)
177,178	12	الرحمن	(والحب ذو العصف)
144	67	الفرقان	(والذين إذا أنفقوا لم يسرفو)
154	5	سأ	(والذين سعوا في آياتنا)
237	9	المؤمنون	(والذين هم على صلواتهم يحافظون) المؤمنون
64	60	المؤمنون	(والذين يؤتون ما آتوا وقلوبهم)
185	4	البقرة	(والذين يؤمنون بما أنزل)
187	4	البقرة	(والذين يؤمنون بما أنزل)
105	5	المدثر	(والرجز فاهجر)
217	3	النازعات	(والساجدات سبحا)
88	47	الذاريات	(والسماء بنيناها بأيد)
56	1	الطارق	(والسماء والطارق)
254	18	الإنشقاق	(والقمر إذا اتسق)
156	134	آل عمران	(والكافرين الغيظ)
41	34	النساء	(واللاتي تحافون نشوزهن)
138	84	النساء	(والله أشد بأسا)
68	80	النحل	(والله جعل لكم من بيوتكم)

226	67	المائدة	(الله يعصمك من الناس)
34	228	البقرة	(والمطلقات يتربصن بأنفسهن)
212	1	التازعات	(والنمازعات غرقا)
250	1	النجم	(والنجم إذا هوى)
158	1	النجم	(والنجم إذا هوى)
248	107	آل عمران	(وأما الذين ايضت وجوههم)
148	6	الحاقة	(وأما عاد فأهلكوا بريح)
190	22	الطور	(وأمددناهم بفاكهة ولحم)
8	6	التوبية	(وإن أحد من المشركين استجارك) التوبة
71، 70	64	العنكبوت	(وإن الدار الآخرة هي الحيوان) العنكبوت
151، 40	128	النساء	(وإن امرأة خافت من بعلها)
204	220	البقرة	(وإن تغالطوهم فإن حوانكم)
40	48	الشورى	(وإن تصيّهم سيئة)
8	24-23	البقرة	(وإن كنتم في ريب مما نزلنا)
195	74	البقرة	(وإن منها لما يهبط من)
93	61	النجم	(وأنتم سامدون)
40	259	البقرة	(وانظر إلى العظام كيف)
258	195-192	الشعراء	(وإنه لتنزيل رب العالمين)
25	45	البقرة	(وإنما لكبيرة إلا على الخاشعين) البقرة
22	5	البقرة	(وأولئك هم المفلحون)
220	61	البقرة	(وباؤوا بغضب من الله)
247	160	النساء	(وبصددهم عن سبيل الله كثيرا) النساء
30	168	الأعراف	(وبلوغناهم بالحسنات والسيئات) الأعراف
79	198	الأعراف	(وتراهن ينظرون إليك وهم)
54	85	التوبية	(وتزهق أنفسهم)

199,200	197	البقرة	(وَتَزُودُوا إِنْ خَيْرُ الْزَادِ)
67	149	الشعراء	(وَتَحْتَوْنَ مِنَ الْجَبَالِ بَيْوَاتٍ)
212	26	آل عمران	(وَتَنْزَعُ الْمَلَكُ مِنْ تَشَاءُ)
107	4	المدثر	(وَثِيَابُكَ فَطَهْرٌ)
148	22	يونس	(وَحْرِينَ بَهْمَ بَرِيحَ طَيْبَةً)
79,78	16	نوح	(وَجْعَلَ الشَّمْسَ سَرَاجًا)
68,166	96	الأنعام	(وَجْعَلَ اللَّيلَ سَكَنًا)
166	189	الأعراف	(وَجْعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا)
166	10	النَّبَأُ	(وَجْعَلْنَا اللَّيلَ لِبَاسًا)
230,231	46	الإسراء	(وَجْعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكْنَةً أَنَّ)
71	30	الأبياء	(وَجْعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ)
136	9	البأيا	(وَجْعَلْنَا نُومَكُمْ سَبَاتًا)
248	39-38	عبس	(وَجْهُوْ يَوْمَئِذٍ مَسْفَرَةً ، ضَاحِكَةً)
244	17	النمل	(وَحْشَرَ لِسْلِيمَانَ جَنَودَهُ مِنَ الْجَنِّ)
25	108	طه	(وَخَشَعَتِ الْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَنِ)
127	15	الرحمن	(وَخَلَقَ الْجَانَ مِنْ مَارِجٍ)
77	46	الأحزاب	(وَدَاعِيَا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ)
240	9	القلم	(وَدَوَالُو تَدَهَنَ فِي دَهَنَوْنَ)
239	70	الأنعام	(وَذَرَ الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَعْبًا وَلَهُوَا)
134	57	مريم	(وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلَيْا)
141	27	الحديد	(وَرَهْبَانِيَةً ابْتَدَعُوهَا)
191	38	العنكبوت	(وَزَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ)
213	133	آل عمران	(وَسَارَعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ)
112	28	الإنسان	(وَشَدَّدْنَا أَسْرَهُمْ)
124	103	التوبة	(وَصَلَّى عَلَيْهِمْ إِنْ صَلَاتَكَ)

	202	61	البقرة	(وضربت عليهم الذلة)
	215	19	السباء	(وعاشروهن بالمعروف)
	243	111	طه	(وعنت الوجوه للحي القيوم)
173	33	32	الواقعة	(وفاكهة كثيرة)
	185	20	الذاريات	(وفي الأرض آيات للموقين)
	113	21	الذاريات	(وفي أنفسكم أفالا)
	28 ، 27	49	البقرة	(وفي ذلكم بلاء من ربكم عظيم) البقرة
	48	21	يوسف	(وقال الذي اشتراه من مصر لامرأته) يوسف
	156 ، 8	26		(وقال الذين كفروا لا تسمعوا لهذا) فصلت
	121	35	سبأ	(وقالوا نحن أكثر أموالا وأولادا) سباء
	24	64	طه	(وقد أفلح اليوم من استعلى) طه
	158	106	الإسراء	(وقرأنا فرقناه لتقرأه على) الإسراء
	231	33	الأحزاب	(وقرن في بيوتكن) الأحزاب
	75	53		(وقل لبعادي يقولوا التي هي أحسن) الإسراء
	195	36	البقرة	(وقلنا اهبطوا بعضاكم) البقرة
	68	35	البقرة	(وقلنا يا آدم اسكن) البقرة
	75	83		(وقولوا للناس حسنا) البقرة
	147	238	البقرة	(وقوموا لله قانتين) البقرة
	190	102	هود	(وكذلك أخذ ربك إذا) هود
	139	143	البقرة	(وكذلك جعلناكم أمة) البقرة
218	40	يس		(وكل في فلك يسبحون) يس
	20	2	النور	(ولا تأخذكم بهما رأفة في دين الله) النور
	144	29	الإسراء	(ولا تجعل يدك مغلولة) الإسراء
	71	169	آل عمران	(ولا تحسين الذين قتلوا في سبيل) آل عمران
	240	113	هود	(ولا تركنا إلى الذين ظلموا) هود

205	34	الإسراء	(ولا تقربوا مال اليتيم إلا)
190	131	طه	(ولا تمدن عينيك إلى)
66	36	فاطر	(ولا يخفف عنهم من عذابها)
168	26	الأعراف	(ولباس التقوى ذلك)
175	91	المؤمنون	(ولعلا بعضهم على)
210	130	الأعراف	(ولقد أخذنا آل فرعون بالسنين)
56	77	طه	(ولقد أوحينا إلى موسى أن أسر)
136	65	البقرة	(ولقد علمتم الذين)
246	57	الزخرف	(ولما ضرب ابن مريم مثلا)
29	31	محمد	(ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم)
244، 62	21	الحج	(ولهم مقامع من حديد)
215	228	البقرة	(ولهن مثل الذي عليهن بالمعروف)
58	96	الأعراف	(ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا)
45	93	الأنعام	(ولو ترى إذ الظالمون في غمرات)
211	220	البقرة	(ولو شاء الله لأعتنكم)
29	17	الأنفال	(وليللي المؤمنين منه بلاء حسنا)
138 ، 20	2	النور	(وليشهد عذابهما طائفة)
191	36	الكهف	(ولئن ردت إلى ربي)
59	46	الأنبياء	(ولئن مستهم نفحة من عذاب ربك)
19	19-17	الانفطار	(وما أدركك ما يوم الدين)
253	5	البينة	(وما أمروا إلا ليعبدوا الله)
80	18-17	طه	(وما تلك بيمينك يا موسى ، قال)
72	4	الأحزاب	(وما جعل أزواجكم اللائي)
205	78	الحج	(وما جعل عليكم في الدين)
186	157	النساء	(وما قتلوه يقينا)

92	67	الرمر	(وما قدروا الله حق قدره)
125	143	البقرة	(وما كان الله ليضيع إيمانكم)
96	35	الأنفال	(وما كان صلامهم عند)
48	45	القصص	(وما كنت ثاويا في أهل مدين)
214	96	البقرة	(وما هو بمزحزحه من العذاب)
71	22	فاطر	(وما يستوي الأحياء ولا)
200	54	آل عمران	(ومكروا ومحرر الله)
20	125	النساء	(ومن أحسن دينا)
56	124	طه	(ومن أعرض عن ذكري)
124	99	التوبه	(ومن الأعراب من يؤمن بالله)
68 ، 165	21	الروم	(ومن آياته أن خلق لكم)
20	85	آل عمران	(ومن يبغى غير الإسلام دينا)
202	217	البقرة	(ومن يرتدد منكم عن دينه)
227	22	لقمان	(ومن يسلم وجهه إلى الله)
226	101	آل عمران	(ومن يعتصم بالله)
171	100	النساء	(ومن يهاجر في سبيل الله)
29	35	الأنباء	(ونبلوكم بالشر والخير)
194	30	البقرة	(ونحن نسبح بحمدك)
212	43	الأعراف	(وزرعنا ما في صدورهم)
173	27	الدخان	(ونعمت كانوا فيها فاكهين)
191	110	الأنعام	(ونقلب أندئكم وأبصارهم)
190	19	مريم	(ونمد له من العذاب مدا)
197	79	مريم	(ونمد له من العذاب مدا)
75	24	الحج	(وهدوا إلى الطيب من القول)
151	72	هود	(وهذا بعلی شيخا)

158	17	الرُّحْرُف	(وَهُوَ كَظِيمٌ)
157	48	القلم	(وَهُوَ مَكْظُومٌ)
38	60	النَّسَاء	(وَيَرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضْلِلُهُمْ)
143	219	البَقْرَةُ	(وَيَسْأَلُونَكُمْ مَاذَا يَنْفَعُونَ)
128	13	الرَّعْدُ	(وَيَسْبِحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ)
246	16	إِبْرَاهِيمَ	(وَيَسْقُى مِنْ مَاءً صَدِيدًا)
133	61	البَقْرَةُ	(وَيَقْتَلُونَ النَّبِيِّنَ بِغَيْرِ الْحَقِّ)
123	3	البَقْرَةُ	(وَيَقِيمُونَ الصَّلَاةَ)
164	7	الجَاهِلَةُ	(وَيُلَمِّلُ لِكُلِّ أَفَاكِ أَثَيْمٍ)
164	1	الْهَمْزَةُ	(وَيُلَمِّلُ لِكُلِّ هَمْزَةٍ لَّمَزَةً)
164	1	الْمَطْفَفِينَ	(وَيُلَمِّلُ لِلْمَطْفَفِينَ)
190	12	نُوحٌ	(وَيَمْدُدُكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ)
192	15	البَقْرَةُ	(وَيَمْدُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ)
190	15	البَقْرَةُ	(وَيَمْدُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ)
169	205	البَقْرَةُ	(وَيَهْلِكُ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ)
99	9	الحَسَرُ	(وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنفُسِهِمْ وَلَوْ)
136	163	الْأَعْرَافُ	(وَيَوْمَ لَا يَسْبِطُونَ)
245	83	النَّمَلُ	(وَيَوْمَ نُخَسِّرُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ)
244	19	فَصَلَتْ	(وَيَوْمَ يُحَشِّرُ أَعْدَاءَ اللَّهِ إِلَى النَّارِ)
76 ، 74	70	الْأَحْزَابُ	(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ)
238	9	الْجَمْعَةُ	(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَوَّدُ)
222	104	البَقْرَةُ	(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقُولُوا رَاعُونَا)
233	10	سَبَأٌ	(يَا جَبَالُ أَوْبَيِ مَعَهُ وَالْطَّيْرُ)
164	49	الْكَهْفُ	(يَا وَيْلَتَنَا مَالَ هَذَا)
143	267	البَقْرَةُ	(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفَقُوا)

121	9		(يأيها الذين آمنوا لا تلهمكم أموالكم) المنافقون
205	28	الحج	(ي يريد الله أن يخفف عنكم)
65	37	المائدة	(ي يريدون أن يخرجوا من النار)
65	27	المائدة	(ي يريدون أن يخرجوا من النار)
156	8	الصف	(ي يريدون ليطفئوا نور الله)
219	6	إبراهيم	(يسومونكم سوء العذاب ويدبحون)
246	61	النساء	(يصدون عنك صدودا)
163	29	الكهف	(يغاثوا بماء كالمهل)
71	24	الفجر	(يقول يا ليتني قدمت لحياتي)
61	2	الحج	(يوم ترونها تذهب كل مرضعة)
162	8	المعارج	(يوم تكون السماء)
104	48	القمر	(يوم يسحبون في النار على)
21	25	النور	(يومئذ يوفيهم الله دينهم الحق)

2) فهرس الأحاديث النبوية

رقم الصفحة	طرف الحديث
144	(ابدأ بنفسك فتصدق عليها)
221	(أبوء بنعمتك وأبوء بذنبي)
123	(إذا دعي أحدكم إلى طعام)
16	(إذا رأيتم المداهين فاحثوا ...)
159	(إذا طلع النجم ارتفعت العاهات)
101	(أقيموا صفوكم وتراسوا)
91	(ألا وإن في الجسد مضغة ...)
127	(الحسد شيطان)
175	(الحمد لله الذي جعلنا من ذرية)
73	(ألسنت تحزن)
21	(الكيس من دان نفسه ...)

148	(اللهم اجعلها رياحا)
180	(اللهم اشدد وطأتك على مصر)
125	(اللهم صل على آل أبي)
128	(اللهم لا تقتلنا بغضبك)
127	(إن الغضب من الشيطان)
189	(إن المؤمن إذا أذنب ذنبا)
145	(أن رجالا أتاه بيضة من ذهب)
146	(إن هذه الصلاة لا يصح فيها شيء)
59	(أول نفحة من دم الشهيد)
146	(أي الصلاة أفضل)
64	(ثم يقيض له أعمى أصم أبكم ...)
23	(حتى خشينا أن يدركنا الفلاح ...)
115	(حمرروا الآنية وأوكوا)
144	(خير الأمور أو ساطها)
145	(خير الصدقة عن ظهر غنى)
216	(خيركم خيركم لأهله)
128	(روی أنه ملك يسوق)
33	(عجبا لأمر المؤمن إن أمره كله خير)
74	(قل اللهم اهدني وسددي)
146	(كنا نتكلّم في الصلاة)
24	(لا عيش إلا عيش الآخرة ...)
63	(لو أن مقاما من حديد وضع ...)
6	(ما من الأنبياء نبي)
73	(من صبر على لواء ...)
73	(من كان له ثلات بنات فصبر ...)

210	(واجعلها عليهم سنين كسي)
213	(وإذا استنفرتم فانفروا)
91	(واعلموا أن الله لا يستجيب)
165	(ويل واد في جهنم)
167	(يا مقلب القلوب)
33	(يبتلى الرجل على حسب دينه)
121	(يقول ابن آدم مالي مالي)

3) فهرس الأعلام

اسم العلم	رقم الصفحة
إبراهيم النخعي	27
إبراهيم بن السري بن سهل الزجاج	22
إبراهيم بن خالد الكلبي	179
ابن الأنباري	22
أحمد بن فارس	53
أحمد بن محمد النحاس	28
أحمد بن محمد بن زيد	26
أحمد بن محمد بن عطاء	38
إسحاق بن محمد أبو القاسم الحكيم	168
إسماعيل بن حماد الجوهري	58
إسماعيل بن عبد الرحمن السدي	147

107	جابر بن عبد الله الأنصاري
106	الحسن البصري
5	الحسين بن محمد الراغب الأصفهاني
106	حفص بن سليمان بن المغيرة
147	الربيع بن خثيم
133	رفيع بن مهران أبو العالية
180	زيان بن العلاء أبو عمرو
146	زيد بن أرقم
57	سعد بن مالك أبو سعيد الخدري
69	سعید بن جبیر
27	سفیان الثوری
27	سلیمان بن مهران الأعمش
85	سلیمان بن یسار
61	الضحاک بن مزاحم البلخی
115	عامر بن شراحيل الشعبي
53	عبد الحق بن غالب بن عطية
178	عبد الرحمن بن سليمان الدمشقي
57	عبد الرحمن بن صخر أبو هريرة
249	عبد الرحمن بن عمرو الأوزاعي
21	عبد الله بن أحمد النسفي
80	عبد الله بن أحمد بن بشر بن ذكوان
180	عبد الله بن عامر
39	عبد الله بن عباس
92	عبد الله بن كثير
57	عبد الله بن مسعود

22	عبد الله بن مسلم بن قتيبة
69	عكرمة بن عبد الله
28	علي بن أبي طالب
252	علي بن المظفر بن عرفة
61	علي بن حمزة الكسائي
19	علي بن محمد بن حبيب الماوردي
27	عمر بن الخطاب
50	عيسي بن عبد العزيز بن عيسى
39	قتادة بن دعامة السدوسي
69	محاحد بن جبير
115	محمد بن إدريس الشافعى
25	محمد بن الحسن بن دريد
19	محمد بن حرير أبو جعفر
205، 14	محمد بن عمر الرازي
64	محمد بن كعب
16	محمد بن محمد الجزرى
102	محمد بن محمد المهدوى
103	محمد بن يزيد المبرد
51	محمد تقي بن السيد رضا
121	مطرف بن عبد الله بن الشخير
70	معمر بن المثنى أبو عبيدة
173	مقاتل بن سليمان البلخى
64	نافع بن الأزرق
133	وهب بن منبه
249	يحيى بن أبي كثیر

يحيى بن زياد الفراء

يعقوب بن إسحاق بن السكين

83

35

4) فهرس المراجع

القرآن الكريم .

1. أحكام القرآن لأبي بكر أحمد بن علي الجصاص ، متوفى 370 هـ ، ط ، دار الكتاب العربي بيروت د ت .

2. أحكام القرآن لأبي بكر محمد بن عبد الله المعروف بابن العربي ، متوفى 543 هـ ، ط ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، الطبعة الأولى 1421 هـ ، 2001 م .

3. أساس البلاغة ، لأبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري متوفى 538 هـ ، ط ، دار الفكر ، 1409 هـ 1989 م .

4. أسباب النزول لأبي الحسن علي بن أحمد النيسابوري ، متوفى 513 هـ ، ط 2 ، مطبعة البابي الحلبي بمصر ، 1387 هـ ، 1968 م .

5. أسباب النزول للسيوطني ، متوفى 911 هـ ، ط ، مؤسسة الكتب الثقافية ، بيروت ، 1422 هـ .

6. أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن لحمد الأمين بن محمد المختار الشنقيطي ، دار الفكر بيروت لبنان 1415هـ ، 1995م .
7. إعجاز القرآن للقاضي الباقياني دار المعارف القاهرة 1374هـ 1954م .
8. إعراب القرآن الكريم وبيانه ، لخبيي الدين درويش (معاصر) ، ط 3 ، اليمامة دمشق، بيروت ، دار ابن كثير ، دمشق بيروت ، دار الإرشاد للشؤون الجامعية ، حمص سورية ، 1412هـ 1992م .
9. الأئمة الأربع لصطفي الشكعة ، ط 2 ، دار الكتاب اللبناني ، 1403هـ ، 1983م .
10. الإتقان في علوم القرآن للسيوطى ، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف 1426هـ .
11. أسباب الترول المسمى لباب النقول في أسباب الترول ، للإمام الحافظ الحجة القدوة جلال الدين أبي عبد الرحمن السيوطي متوفى 911هـ ، ط ، مؤسسة الريان ، 1422هـ ، 2002م .
12. الاستيعاب في أسماء الأصحاب لابن عبد البر متوفى 463هـ ، دار الفكر 1423هـ ، 2002م .
13. الإصابة في تميز الصحابة لابن حجر العسقلاني متوفى 852هـ ، ط ، دار الكتب العلمية ، لبنان ، د ت .
14. الإعجاز البياني للقرآن ومسائل ابن الأزرق . دراسة قرآنية لغوية وبيانية د. عائشة عبد الرحمن بنت الشاطئ ، دار المعارف ط 2 ، 1404هـ 1984م .
15. الأعلام ، لخير الدين الزركلي متوفى 1972م ، ط 6 ، دار العلم للملايين بيروت 1984م .
16. الأم ، للإمام الشافعي متوفى 204هـ ، اعنى به حسان عبد المنان ، ط ، بيت الأفكار الدولية ، د . ت .
17. أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك لجمال الدين عبد الله الأنباري ، تحقيق يوسف الشيخ محمد البقاعي ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع . ط .

18. البحر المحيط لأبي حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان ، دار الكتب العلمية لبنان 1422هـ 2001م تحقيق عادل أحمد عبد الموجود .
19. البرهان في تناسب سور القرآن ، لأحمد الثقفي متوفى 708هـ ، تحقيق الفلاح ، جامعة الزيتونة ، تونس ، 1408هـ ، ط جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية .
20. البرهان في علوم القرآن للإمام بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي خرّج حدیثه : مصطفى عبد القادر عطا ، دار الكتب العلمية بيروت ، لبنان ، ط ، 1408هـ 1988م .
21. التحرير والتنوير المعروف بتفسير ابن عاشور تأليف محمد الطاهر بن عاشور مؤسسة التاريخ العربي بيروت لبنان ط ، 1421هـ 2000م .
22. التخويف من النار ، لأبي الفرج عبد الرحمن بن أحمد بن رجب الحنبلي متوفى 795هـ ، ط ، دار النشر مكتبة دار البيان ، دمشق 1399هـ .
23. تراجم القراء للشيخ فائز عبد القادر ، ط .
24. التضمين النحوي في القرآن الكريم ، محمد نديم فاضل (معاصر) ، ط ، دار الزمان ، المدينة المنورة ، 1426هـ 2005م .
25. التعريفات ، لعلي محمد الجرجاني متوفى 816هـ ، تحقيق إبراهيم الأبياري ، ط 2 ، دار الكتاب العربي بيروت ، 1413هـ .
26. التفسير القيم لابن قيم الجوزية تحقيق محمد الفقي ، دار الكتب العلمية بيروت لبنان ، 1398هـ 1978م .
27. الجامع لأحكام القرآن للإمام أبي عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي - دار الكتب العلمية بيروت لبنان ط 1408هـ 1988م .
28. الخصائص لأبي الفتح عثمان بن جني ، تحقيق محمد علي النجار ، عالم الكتب ، بيروت ، ط .
29. الدر المصنون في علوم الكتاب المكنون للسمين الحلبي تحقيق د. أحمد الخراط . دار القلم ، ط ، 1415هـ .

30. الرسالة ، محمد بن إدريس الشافعي متوفى 204 هـ ، تحقيق أحمد محمد شاكر ، ط ، د . ت .
31. الروض الريان في أسئلة القرآن للشيخ شرف الدين الحسين بن سليمان بن ريان ، تحقيق عبد الحليم بن محمد نصار مكتبة العلوم والحكم ، ط ، 1415 هـ .
32. الزهد ، ابن المبارك متوفى 181 هـ ، تحقيق حبيب الرحمن الأعظمي ، ط ، دار الكتب العلمية بيروت ، د . ت .
33. الزهد ، الإمام أحمد بن حنبل متوفى 241 هـ ، ط ، دار الريان للتراث ، القاهرة ، 1408 هـ 1987 .
34. الطبقات الكبرى لابن سعد متوفى 230 هـ ، ط ، دار صادر ، بيروت ، 1405 هـ .
35. الفروق اللغوية لأبي الهلال العسكري ، دار الكتب العلمية بيروت لبنان ، تحقيق حسام الدين القدسي .
36. الفقه الإسلامي وأدلته ، لوهبة الزحيلي (معاصر) ، ط 3 ، دار الفكر ، 1409 هـ 1989 .
37. الفهرست ، ابن النديم متوفى 385 هـ ، ط ، دار المعرفة بيروت ، د . ت .
38. القاموس المحيط تأليف مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي مطبعة مصطفى البابي الحلبي ط 2 ، 1371 هـ 1952 .
39. القراءات العشر المتواترة ، فكرة وتنفيذ علوی بن محمد بن أحمد بلفقيه ، إشراف محمد كريم راجح ، ط 4 ، دار المهاجر للنشر والتوزيع ، 1425 هـ 2004 .
40. القراءات وأثرها في علوم العربية لحمد سالم محسن ، ط ، مكتبة الكليات الأزهرية ، القاهرة ، 1404 هـ 1984 .
41. الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأویل ، للزمخشري متوفى 538 هـ ، دار المعرفة ، بيروت ، د ت .

42. الكشف والبيان لأبي إسحاق أحمد بن محمد النيسابوري ، دار النشر دار إحياء التراث العربي ، بيروت لبنان ، 1422هـ 2002م ، تحقيق أبي محمد بن عاشر .
43. الكليات لأبي البقاء أيوب بن موسى الحسيني الكنوبي ، وضع فهارسه : د. عدنان درويش ، محمد المصري ، مؤسسة الرسالة ، ط ، 1412هـ 1992م .
44. المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز للقاضي أبي محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي تحقيق عبد السلام عبد الشافي محمد دار الكتب العلمية بيروت لبنان ط ، 1413هـ 1993م .
45. المدخل لعلم تفسير كتاب الله تعالى ، لأبي النصر أحمد بن محمد السمرقندى المعروف بالحدادى متوفى بعد 400هـ ، تحقيق صفوان داودى ، ط ، دار القلم دمشق ، دارة العلوم بيروت ، 1408هـ 1988م .
46. المستدرك على الصحيحين .
47. المعارف لابن قتيبة متوفى 276هـ ، ط ، دار الكتب العلمية بيروت ، 1407هـ 1987م .
48. المعجزة الخالدة للدكتور حسن عتر ، دار البشائر الإسلامية ، ط 3 ، 1415هـ 1994م .
49. المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوى ، لفيف من المستشرقين ، نشره : أ. ي. ونسنك ، مكتبة بريل في مدينة ليدن سنة 1936م .
50. المعجم الوجيز ، لجمع اللغة العربية ، مطبع شركة الإعلانات الشرقية ، دار التحرير للطبع والنشر .
51. المعجم الوسيط قام بإخراجه : إبراهيم مصطفى أحمد الزيات حامد عبد القادر ، محمد علي النجار ، دار الدعوة مطبع دار المعارف 1400هـ 1980م .
52. المغرب في ترتيب المعرف ، للإمام ناصر الدين المطرزي متوفى 610هـ ، تحقيق محمود فاخوري وعبد الحميد مختار ، ط ، مكتبة دار الاستقامة ، 1399هـ 1979م .
53. المقططف من عيون التفاسير ، لمصطفى المنصورى ، تحقيق محمد علي الصابوني ، ط 2 ، دار القلم دمشق ، 1417هـ .

- .54. الموسوعة العربية الميسرة ، ط 2 ، 1972 م .
- .55. النبأ العظيم للدكتور محمد عبد الله دراز ، دار القلم ، ط 6 ، 1405 هـ ، 1984 م .
- .56. النكت والعيون لأبي الحسن علي بن محمد بن حبيب الماوردي البصري ، راجعه وعلق عليه : السيد بن عبد المقصود بن عبد الرحيم ، دار الكتب العلمية ، بيروت لبنان ، مؤسسة الكتب الثقافية .
- .57. النهضة الإسلامية في سير أعلامها المعاصرین ، محمد رجب البيومي (معاصر) ، ط ، دار القلم دمشق ، الدار الشامية بيروت ، 1420 هـ 1999 م .
- .58. إنباه الرواۃ على أنباه النحاة ، للوزیر جمال الدين أبي الحسن علي بن يوسف القبطي متوفی 624 هـ ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، ط ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، مؤسسة الكتب الثقافية بيروت ، 1406 هـ ، 1986 م .
- .59. أیسر التفاسیر لکلام العلي الكبير ، لأبي بكر جابر الجزائري (معاصر) ، ط ، 1414 هـ .
- .60. بدائع الفوائد لابن قیم الجوزیة دار الكتاب العربي ، بيروت لبنان ، ط .
- .61. بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة ، للسيوطی متوفی 911 هـ ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، ط 2 ، دار الفكر ، 1399 هـ 1979 م .
- .62. تأویل مشکل القرآن لابن قتيبة ، شرحه السيد أحمد صقر ، المکتبة العلمیة ، بيروت لبنان ، ط 3 ، 1401 هـ 1981 م .
- .63. تفسیر أبي السعود المسمی إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن العکریم ، دار إحياء التراث العربي بيروت لبنان ط 4 1414 هـ 1994 م .
- .64. تفسیر البغوي المسمی معلم التنزیل لمحی السنّة أبي محمد الحسین بن مسعود البغوي ، تحقيق محمد عبد الله التمر وعثمان جمعة ضمیریة وسلیمان مسلم الحرش ، دار طيبة للنشر والتوزیع ، ط 4 ، 1417 هـ 1997 م .
- .65. تفسیر البیضاوی للإمام ناصر الدين أبو الحیر عبد الله الشیرازی البیضاوی ، دار الفكر 1402 هـ 1982 م ، ط .

66. تفسير الحلالين للإمامين جلال الدين محمد بن احمد المحتلي ، والعلامة جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي دار المعرفة بيروت لبنان .
67. تفسير الخازن المسمى لباب التأویل في معانی التتریل لعلاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم البغدادي . دار المعرفة للطباعة والنشر ، ط ، بيروت لبنان .
68. تفسير الرازی المسمى مفاتیح الغیب لأبی عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسین التیمی الرازی الملقب بفخر الدین الرازی ، دار الكتب العلمية ، بيروت 1421ھـ 2000م ، ط .
69. تفسیر الطبری المسمی جامع البیان فی تأویل القرآن لأبی جعفر محمد بن حریر الطبری ، دار الكتب العلمية ، بيروت لبنان ط 3 ، 1420ھـ 1999م .
70. تفسیر القرآن العظیم للإمام الحافظ أبی الفداء إسماعیل بن كثير الدمشقی دار الجیل بيروت ط 2 1410ھـ ، 1990م .
71. تفسیر القرآن المسمی بصیر الرحمن و تسیر المنان للعلامة علی بن احمد المهاجی ، عالم الكتب ط 2 ، 1403ھـ 1983م .
72. تفسیر اللباب لأبی حفص عمر بن عادل ، دار الكتب العلمية ، بيروت - لبنان .
73. تفسیر النسفي لأبی البرکات عبد الله بن احمد بن محمود النسفي مطبعة علی صبیح وأولاده ط ، بدون تاريخ .
74. تفسیر سفیان بن عینة متوفی 198ھـ ، لأحمد صالح محایری ، ط ، المکتب الاسلامی ، لبنان ، 1403ھـ .
75. تفسیر غریب القرآن لأبی محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة تحقيق السيد أحمد صقر ، دار الكتب العلمية بيروت لبنان 1398ھـ 1978م .
76. تنویر الأذهان من تفسیر روح البیان للشيخ إسماعیل حقی البروسوی تحقيق الشیخ محمد علی الصابوی ، دار القلم دمشق ط 1408ھـ 1988م .
77. تهذیب الأسماء واللغات ، لأبی زکریا محبی الدین النووی متوفی 676ھـ ، ط ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، د . ت .

78. تهذيب التهذيب ، لابن حجر العسقلاني متوفى 852 هـ ، ط ، الهند ، 1325 هـ
79. تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان لعبد الرحمن السعدي متوفى 1376 هـ ، ط ، مؤسسة الرسالة بيروت ، 1420 هـ .
80. تيسير المنفعة بكتابي مفتاح كنوز السنة والمعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوى لمحمد فؤاد عبد الباقي متوفى 1388 هـ ، ط 2 ، دار الحديث للطباعة والنشر والتوزيع ، 1404 هـ 1984 م .
81. حاشية الجرجاني على الكشاف .
82. حاشية الجمل على الجلالين للشيخ سليمان بن عمر العجيلي الشهير بالجمل ، طبع بمطبعة عيسى البابي الحلبي .
83. حلية الأولياء وطبقات الأصفياء ، للحافظ أبي نعيم الأصفهاني متوفى 430 هـ ، تحقيق سعيد بن سعد الدين خليل الاسكندراني ، ط ، دار إحياء التراث العربي ، 1421 هـ ، 2001 م .
84. خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية ، لعبد العظيم إبراهيم محمد المطعني (معاصر) ، ط ، مكتبة وهة ، القاهرة ، 1413 هـ ، 1992 م .
85. درة التنزيل وغرة التأويل لأبي عبد الله محمد الاسكافي ، دار المعرفة بيروت لبنان ط 1422 هـ 2002 م .
86. روح المعانى لأبي الفضل شهاب الدين السيد محمود الألوسى البغدادى ، دار إحياء التراث العربى بيروت لبنان ط 4 ، 1405 هـ 1985 م .
87. زاد المسير في علم التفسير للإمام أبي الفرج جمال الدين عبد الرحمن بن علي ابن محمد الجوزي القرشي البغدادي . المكتب الإسلامي ط 4 ، 1407 هـ 1987 م .
88. سنن الترمذى متوفى 279 هـ ، تحقيق وشرح أحمد محمد شاكر ، ط ، المكتبة الثقافية ، بيروت .
89. سنن النسائي متوفى 302 هـ ، بشرح الحافظ جلال الدين السيوطي متوفى 911 هـ ، ط ، دار الحديث ، القاهرة ، 1407 هـ .

90. سيد الشهداء حمزة بن عبد المطلب ، لامتحن العامري (معاصر) ، ط 2 ، المدينة المنورة ، 1423 هـ ، 2002 م .
91. سير أعلام النبلاء ، تصنیف محمد بن أحمد الذہبی متوفی 1374 هـ ، تحقیق شعیب الأرنووط ، ط ، مؤسسة الرسالة ، 1406 هـ .
92. صحيح مسلم متوفی 261 هـ ، بشرح النووي متوفی 676 هـ ، ط ، دار الريان ، القاهرة ، د ت .
93. صفة الصفوۃ ، لابن الجوزی متوفی 597 هـ ، ضبطه وخرج آیاته وأحادیثه عبد الرحمن اللادقی وحیاة شیخا اللادقی ، ط 4 ، دار المعرفة بیروت ، 1422 هـ ، 2001 م .
94. صفوۃ التفاسیر ، لحمد علی الصابوینی (معاصر) ، ط 5 ، دار القرآن الكريم بیروت ، 1402 هـ 1981 م .
95. صور من حیاة التابعین ، لعبد الرحمن رافت الباشا (معاصر) ، ط ، 1400 هـ .
96. طبقات الشافعیة الكبرى ، لتابع الدین أبي نصر عبد الوهاب السبکی متوفی 771 هـ ، تحقیق محمود الطناحی وعبد الفتاح محمد ، ط ، د . ت .
97. علوم القرآن وإعجازه للدكتور عدنان زرزور ، دار الأعلام ، ط ، 1426 هـ 2005 م .
98. عمدة الحفاظ في تفسیر أشرف الألفاظ للشيخ شهاب الدين أحمد بن يوسف بن محمد بن مسعود بن إبراهيم الحلبي تحقیق : محمود محمد السيد الدغیم ، دار السيد للنشر ط 1407 هـ 1987 م ، صورة المخطوط المحفوظة في خزانة مکتبة نور عثمانیہ استانبول .
99. عون المعبد شرح سنن أبي داود متوفی 275 هـ ، للعلامة أبي الطیب محمد شمس الحق العظیم آبادی ، ضبط وتحقیق عبد الرحمن عثمان ، ط 2 ، دار الكتاب العربي ، بیروت .

100. غرائب التفسير وعجائب التأويل لخالد بن حمزة الكرماني ، دار القبلة للثقافة الإسلامية جدة مؤسسة علوم القرآن بيروت ط ، 1408هـ 1988 م .
101. غريب القرآن وتفسيره ، عبد الله بن يحيى بن المبارك اليزيدي متوفى 1405هـ ، تحقيق محمد سليم الحاج ، ط ، عالم الكتب ، بيروت ، 1405هـ .
102. غريب القرآن وتفسيره لأبي عبد الرحمن عبد الله بن يحيى بن المبارك اليزيدي تحقيق محمد سليم الحاج ، عالم الكتب ط 1405هـ 1985 م .
103. فتح الباري شرح صحيح البخاري ، لأحمد بن علي بن حجر العسقلاني متوفي 852هـ ، ط ، دار الفكر ، د ت .
104. فتح الرحمن بكشف ما يلتبس في القرآن لشيخ الإسلام أبي يحيى زكريا الأنصاري ، تحقيق الشيخ محمد علي الصابوني ، دار القرآن الكريم بيروت ط 1403هـ .
105. فتح القدير لخالد بن علي بن محمد الشوكاني تحقيق د. عبد الرحمن عميرة . دار الوفاء المنصورة ط 2 ، 1418هـ 1997 م .
106. فهرست مصنفات تفسير القرآن الكريم إعداد مركز الدراسات القرآنية ، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف ، ط ، ثلات مجلدات 1424هـ .
107. في ظلال القرآن لسيد قطب . دار الشروق ط 11 ، 1405هـ 1985 م .
108. قاموس القرآن أو إصلاح الوجوه والنظائر في القرآن الكريم ، للحسين بن محمد الدامي بعد 400هـ ، تحقيق عبد العزيز سيد الأهل ، ط 5 ، دار العلم للملايين بيروت ، 1985 م .
109. كشف الظنون عن أسمى الكتب والفنون ، لمصطفى بن عبد الله المشهور بجاجي خليفة متوفى 1067هـ ، مؤسسة التاريخ العربي ، بيروت ، د . ت .
110. لسان العرب للإمام أبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور ، دار الفكر ، ط ، 1300هـ .
111. لمسات بيانية للدكتور فاضل السامرائي ، دار عمار ، ط 3 ، 1427هـ ، 3 م 2006 .

112. مباحث في علوم القرآن للدكتور مناع القطان ، مؤسسة الرسالة ، ط 12 ، 1403هـ ، 1983م .
113. مجمع الزوائد ونبع الفوائد للحافظ نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي متوفى 807هـ ، تحرير الحافظين العراقيين وابن حجر ، منشورات مؤسسة المعارف بيروت ، 1406هـ 1986م .
114. محمل اللغة لأحمد بن فارس بن زكريا ، تحقيق زهير عبد المحسن سلطان ، مؤسسة الرسالة ط 2 ، 1406هـ 1986م .
115. مختار الصحاح ، للشيخ الإمام محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي متوفى بعد 666هـ ، طبعة حديثة منقحة ، المكتبة الأموية بيروت ، دمشق ، 1398هـ 1978م .
116. مسنن الإمام أحمد متوفى 241هـ ، ط ، بيت الأفكار الدولية ، لبنان ، 2004م .
117. معاني القرآن لأبي زكريا يحيى الفراء ، عالم الكتب ط 3 ، 1403هـ 1983م .
118. معجم الدراسات القرآنية ، للدكتورة ابتسام مرهون الصفار (معاصرة) ، ساعدت جامعة بغداد على نشره ، رقم تسلسل التعضيد 4 ، لسنة 1983هـ 1984م .
119. معجم المؤلفين ، لعمر رضا كحالة (معاصر) ، ط ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، د. ت .
120. معجم مقاييس اللغة لأبي الحسن احمد بن زكريا بن فارس مطبعة البابي الحلبي ط 2 ، 1389هـ 1969م .
121. مفاتيح فهم القرآن تفسير لغريبه وتأويل لمشكله ، لأحمد علي الإمام (معاصر) ، ط ، مطبعة الصباح ، 1421هـ 2000م .
122. مفاتيح فهم القرآن لأحمد علي الإمام دار المدى ط 1412هـ 2000م .

123. مفردات ألفاظ القرآن ((نظرات جديدة في تفسير ألفاظ قرآنية)) ، عبد الحميد الفراهي متوفى 1349هـ ، ط ، دار الغرب الإسلامي ، 2002م .
124. مفردات ألفاظ القرآن للشيخ الراغب الأصفهاني . تحقيق الدكتور : صفوان عدنان داودي ، دار القلم ، الدار الشامية ، ط ، 1412هـ ، 1992م .
125. مناقب الإمام الشافعي ، لعماد الدين أبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي الشافعي متوفى 774هـ ، تحقيق خليل إبراهيم ملا خاطر ، ط ، مكتبة الإمام الشافعي ، الرياض ، 1412هـ ، 1992م .
126. مناهل العرفان في علوم القرآن للشيخ محمد عبد العظيم الزرقاني - دار إحياء التراث العربي ، بيروت لبنان ، ط 3 .
127. منهج تربوي فريد في القرآن للدكتور محمد سعيد بن رمضان البوطي ، مؤسسة الرسالة ، مكتبة الفارابي ، ط ، 1405هـ .
128. نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر ، لابن الجوزي متوفى 597هـ ، تحقيق محمد عبد الكريم كاظم الراضي ، ط ، مؤسسة الرسالة ، د . ت .
129. نصب المحانيق لنصف قصة الغرانيق ، لحمد ناصر الدين الألباني ، منشورات المكتب الإسلامي بدمشق ، 1372هـ ، 1952م .
- 130.نظم الدرر في تناسب الآيات والسور لإبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي دار الكتب العلمية بيروت ط 2 ، 2003م 1424هـ .
131. الوافي في شرح الشاطبية في القراءات السبع لعبد الفتاح عبد الغني القاضي ، مكتبة الدار ، المدينة المنورة ، ط 2 ، 1410هـ ، 1989م .
132. وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ، لأبي العباس شمس الدين أحمد بن محمد ابن أبي بكر بن حلكان متوفى 681هـ ، تحقيق إحسان عباس ، ط ، دار صادر بيروت ، د . ت .

5) فهرس الموضوعات

2	المقدمة
6	تعريف الإعجاز وأنواعه وأغراضه
10	أهمية البحث وسبب اختياره
13	الفصل الأول : الأسماء
13	البحث الأول : (ما يحتمل معنيين)
14	الكلمة الأولى (الحمد)
18	الكلمة الثانية (الدين)
22	الكلمة الثالثة (المقلحون)
25	الكلمة الرابعة (الخاشعين)
28	الكلمة الخامسة (بلاء)
30	الكلمة السادسة (صبغة)
32	الكلمة السابعة (مصيبة)
34	الكلمة الثامنة (قروء)
36	الكلمة التاسعة (سعيا)
37	الكلمة العاشرة (نباتا)
39	الكلمة الحادية عشرة (ذائقه)
40	الكلمة الثانية عشرة (نشوزا)
42	الكلمة الثالثة عشرة (شرعة)
44	الكلمة الرابعة عشرة (غمرات)
46	الكلمة الخامسة عشرة (الجمل)
47	الكلمة السادسة عشرة (عمل)
48	الكلمة السابعة عشرة (مثواه)
49	الكلمة الثامنة عشرة (حرصا)
51	الكلمة التاسعة عشرة (لا تشريب)

52	الكلمة العشرون (الدلوك)
54	الكلمة الواحدة والعشرون (زهوقا)
55	الكلمة الثانية والعشرون (طريق)
56	الكلمة الثالثة والعشرون (ضنكا)
58	الكلمة الرابعة والعشرون (نفحة)
60	الكلمة الخامسة والعشرون (جذاذا)
61	الكلمة السادسة والعشرون (مرضعة)
62	الكلمة السابعة والعشرون (مقامع)
64	الكلمة الثامنة والعشرون (غراما)
67	الكلمة التاسعة والعشرون (فارهين)
68	الكلمة الثلاثون (مساكنكم)
68	الكلمة الواحدة والثلاثون (الخبراء)
70	الكلمة الثانية والثلاثون (الحيوان)
72	الكلمة الثالثة والثلاثون (اللائي)
74	الكلمة الرابعة والثلاثون (سديدا)
76	الكلمة الخامسة والثلاثون (نحبه)
77	الكلمة السادسة والثلاثون (سراج)
79	الكلمة السابعة والثلاثون (منسأته)
81	الكلمة الثامنة والثلاثون (الأرائك)
82	الكلمة التاسعة والثلاثون (دهورا)
82	الكلمة الأربعون (واصب)
83	الكلمة الواحدة والأربعون (مناص)
83	الكلمة الثانية والأربعون (مقرنين)
85	الكلمة الثالثة والأربعون (العابدين)
87	الكلمة الرابعة والأربعون (رهوا)

88	الكلمة الخامسة والأربعون (موسعون)
90	الكلمة السادسة والأربعون (الفؤاد)
92	الكلمة السابعة والأربعون (ضيزى)
93	الكلمة الثامنة والأربعون (سامدون)
97	الكلمة التاسعة والأربعون (مهطعين)
99	الكلمة الخمسون (خصاصة)
100	الكلمة الواحدة والخمسون (مرصوص)
103	الكلمة الثانية والخمسون (الشوى)
105	الكلمة الثالثة والخمسون (الرجز)
108	الكلمة الرابعة والخمسون (قسورة)
110	الكلمة الخامسة والخمسون (فاقرة)
111	الكلمة السادسة والخمسون (أسرهم)
113	الكلمة السابعة والخمسون (كفاتا)
117	الكلمة الثامنة والخمسون (كبد)
120	الكلمة التاسعة والخمسون (التكاثر)
123	المبحث الثاني (ما يحتمل ثلاثة معانٍ)
123	الكلمة الأولى (الصلاة)
126	الكلمة الثانية (الشيطان)
127	الكلمة الثالثة (الرعد)
129	الكلمة الرابعة (بارئكم)
132	الكلمة الخامسة (الرجز)
135	الكلمة السادسة (النبي)
135	الكلمة السابعة (الصابئين)
136	الكلمة الثامنة (السبت)
138	الكلمة التاسعة (نكالا)

139	الكلمة العاشرة (وسطا)
143	الكلمة الحادية عشرة (العفو)
145	الكلمة الثانية عشرة (قانتين)
149	الكلمة الثالثة عشرة (صر)
151	الكلمة الرابعة عشرة (بعلها)
153	الكلمة الخامسة عشرة (إمرا)
154	الكلمة السادسة عشرة (معاجزين)
156	الكلمة السابعة عشرة (كظيم)
158	الكلمة الثامنة عشرة (النجم)
160	الكلمة التاسعة عشرة (المقوين)
162	الكلمة العشرون (المهل)
164	المبحث الثالث (ما يحتمل أكثر من معنى)
164	الكلمة الأولى (ويل)
165	الكلمة الثانية (لباس)
166	الكلمة الثالثة (حسنة)
168	الكلمة الرابعة (حرث)
171	الكلمة الخامسة (مراغما)
172	الكلمة السادسة (فاكهون)
174	الكلمة السابعة (متشاشون)
176	الكلمة الثامنة (ممنون)
178	الكلمة التاسعة (الريحان)
181	الكلمة العاشرة (وطئا)
184	الفصل الثاني
185	المبحث الأول : (ما يحتمل معنيين)
185	الكلمة الأولى (يوقنون)

187	الكلمة الثانية (ختم)
190	الكلمة الثالثة (يمدهم)
192	الكلمة الرابعة (يعمهون)
194	الكلمة الخامسة (نقدس)
195	الكلمة السادسة (اهبطوا)
196	الكلمة السابعة (فرقنا)
198	الكلمة الثامنة (ينظرون)
199	الكلمة التاسعة (وتزودوا)
201	الكلمة العاشرة (زللتكم)
202	الكلمة الحادية عشرة (حبّطت)
204	الكلمة الثانية عشرة (لأعْتَكُمْ)
206	الكلمة الثالثة عشرة (فلا تعصّلُوهنَّ)
207	الكلمة الرابعة عشرة (أفرغ)
209	الكلمة الخامسة عشرة (لم يتّسّنه)
211	الكلمة السادسة عشرة (فصرّهُنَّ)
212	الكلمة السابعة عشرة (تنزع)
213	الكلمة الثامنة عشرة (وسارعوا)
214	الكلمة التاسعة عشرة (زحر)
215	الكلمة العشرون (وعاشروهُنَّ)
217	البحث الثاني : ما يحتمل ثلاثة معانٍ
217	الكلمة الأولى (نسبح)
218	الكلمة الثانية (يسومونكم)
219	الكلمة الثالثة (باؤوا)
222	الكلمة الرابعة (انظرنا)
223	الكلمة الخامسة (أفضّتم)

224	الكلمة السادسة (يؤلون)
226	الكلمة السابعة (واعتصموا)
227	الكلمة الثامنة (تفتأ)
229	الكلمة التاسعة (فسينغضون)
231	الكلمة العاشرة (وقرن)
233	الكلمة الحادية عشرة (أويي)
236	المبحث الثالث : ما يحتمل أكثر من معنى
236	الكلمة الأولى (يقيمون)
238	الكلمة الثانية (أركسهم)
239	الكلمة الثالثة (تبسل)
240	الكلمة الرابعة (لا تركنوا)
241	الكلمة الخامسة (ولا تنيا)
243	الكلمة السادسة (عنت)
244	الكلمة السابعة (يوزعون)
246	الكلمة الثامنة (يصدون)
248	الكلمة التاسعة (تحبرون)
250	الكلمة العاشرة (هوى)
252	الكلمة الحادية عشرة (تبتل)
254	الكلمة الثانية عشرة (اتسق)
267	خاتمة